تحت إشراف سماحة العلامة الشيخ محمد طيب رئيس الجامعة

مجلة

دعوة الحق

مجلة عربية إسلامية تصدر عن دار العلوم بديوبند كل ثلاثة أشهر

رئيس التحرير المسئول :

وحيد الزمان الكيرانوى

المدرس بدار العلوم - بديوبند

العدد الأول / السنة العاشرة

ربيع الثانى سنة ١٣٩٤ هـ

مايو سنة ١٩٧٤ م

الاشتراك السنوى :

خمس عشرة روبية في الهند

وما يعادلها فى الخارج

للمدارس العربية عشر روبيات

طبعت بمطبعة

دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند

فهرست المحتويات

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاح و الاصلاح

فضيلة الشيخ مولانا محمد طيب مدير دار العلوم - د.

* * * *

إن السعادة البشرية فى نظر الإسلام تبتنى على صلاح الذات و إصلاح الغير . و الإسلام لا يكتفى فى تعاليمه بالنفع اللازم لشخص ، بل يجعله يتعدى إلى الآخرين ، يتناقله جميع أفراد البشر كما يدل عليه كثير من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية .

و حقيقة الصلاح هى الإتصاف بالكمال و هو يتوقف على العلم النافع و الخلق العادل ، فالعلم يكشف للانسان طريقة و الخلق العادل يمكنه من السير عليها . فالعلم المحض طريق و الخلق المحض قوة دافعة إليها ، و ظاهر أن الوصول إلى المنزل متعسر بمجرد معرفة الطريق أو بمجرد قوة المشى ، فالطريق و قوة السلوك هما أمران لا يتحقق بدونهما الوصول إلى المنزل أى الصلاح .

و أما حقيقة الإصلاح : فهى إيصال العلم النافع إلى الغير و تعديل

خلقه و تزكية نفسه، و إيصال العلم يسمى تعليما، و تعديل الخلق يعبر عنه بالتربية . و يمكننا أن نقول بعبارة أخرى : إن حقيقة الإصلاح هى التعليم و التربية . و إن وسيلة الصلاح هى الرياضة و التمرن على العلم و الأخلاق كما أن وسيلة الإصلاح هى الدعوة و النصح و الموعظة ، فلا تتم السعادة للانسان ما لم يكن عالما و عاملا بمقتضيات العلم داعيا غيره إلى العلم و العمل بمدلولاته .

{ ٭ ٭ ٭ }

خدمات علماء دار العلوم
بديوبند فى سطور

دار العلوم بديوبند تعد كبرى المدارس العربية و المعاهد الإسلامية و المعاقل الروحية فى الهند ، انبثت فروعها فى الهند و باكستان و أفغانستان و ما جاورها من البلاد الكثيرة ، و لها تاريخ حافل بالخدمات و البطولات و الأمجاد و المآثر و المفاخر ؛ فانها قامت بدور انقلابى فى تنشئة المسلمين تنشئة إسلامية و فى ريادتهم ريادة روحية أكسبتهم قوة الدفاع عن كيان الإسلام و المحافظة على شوكته و شعائره بتوفيق الله عز و جل .

و قد خرجت هذه الدار علماء الإسلام و أئمة الدين و رجال الفكر و رواد الحركات ، و إن هؤلاء العلماء قاموا بدور عظيم فى تاريخ الإسلام ، فغيروا مجرى حياة المسلمين فى الهند و ما جاورها من البلاد ، و خدموا الإسلام و المسلمين خدمات غالية فى شتى نواحى الحياة العلمية و الروحية و الفكرية و العقلية و الاجتماعية و السياسية . و هنا نذكر خدمات علماء دار العلوم بديوبند فى سطور :

١ ـ نشروا الثقافة الإسلامية و العقيدة الصافية فى بيئات المسلمين عن طريق التعليم و الصحافة و التأليف و الإرشاد .

٢ ـ أيقظوا المسلمين بعد ما كانوا فى سبات عميق ، و أحدثوا فيهم الروح العملية و الغيرة الإسلامية ، و ذكروهم بواجبهم و وظيفتهم فى هذه الحياة .

٣ ـ عرفوا الناس بتعاليم الاسلام الصحيحة الخالية من شوائب الوثنية و البدع و الخرافات ، و زودوهم بالأفكار الإسلامية النيرة المغذية للقلوب المنعشة للعقول .

٤ ـ حضوهم على التمسك بالدين النقى و القيام بالواجب و هجر العادات و التقاليد الجاهلية التى زينها لهم الشيطان .

٥ ـ أقاموا شبكة المدارس الإسلامية العربية و حولوها إلى قلاع منيعة يذودون بها عن حمى الإسلام و يحافظون على تراث الاسلام .

٦ ـ عارضوا الحملات الفكرية الصليبية و هجمات المستشرقين و دحضوا شبهات المشككين حول الإسلام .

٧ ـ قاوموا كل دعوة هدامة ملحدة و حركة طاغية ، كالقاديانية و البهائية و ما شابههما .

٨ ـ استأصلوا البدع و الخرافات التى قامت باسم الإسلام .

٩ ـ أبطلوا محاولة الاستعمار البريطانى لتلوين أفكار المسلمين و إبعادهم عن روح الدين و وضع موازين جديدة و قيما حديثة فى نفوسهم .

١٠ ـ كافحوا ضد الاستعمار حتى استخلصوا من براثنه الوطن .

١١ ـ استرعوا انتباه المسلمين إلى قوله تعالى ﴿ و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ و أثبتوا فى أذهانهم أنهم أمة أخرجت للناس تأمرهم بالمعروف و تنهى عن المنكر .

١٢ ـ ساهموا مساهمة فعالة فى كل دعوة و حركة ذات ملامح إسلامية قامت فى العالم لخدمة الإسلام و صالح المسلمين .

١٣ - أيدوا القضايا الإسلامية و العربية التي ثارت في بلاد المسلمين أو في أقطار أخرى تأييدا قوليا و عمليا بكل ما لديهم من الوسائل و الإمكانيات.

١٤ - قاموا بالتأليف و الترجمة و التحقيق و التحشية و التعليق في الموضوعات العلمية الدينية، حتى اكتسب كثير منهم شهرة عالمية بخدماتهم في الحديث خاصة و العلوم الأخرى عامة.

١٥ - حرصوا دائما على التمسك الشديد بالكتاب و السنة و تفانوا في نشر علومهما على كافة المستويات و في شتى الميادين صامتين جادين مخلصين لله بعيدين عن التظاهر و التفاخر.

و بمثل هذه الخدمات الجليلة التي ذكرت - لا على طريق الحصر - و التي قام بها أبناء دار العلوم و علماؤها و لا يزالون كذلك إلى هذا اليوم اكتسبت دار العلوم بديوبند قداسة و سيادة، و اكتسب المنتسبون إليها احتراما و إجلالا، و أصبحت دار العلوم ملتقى الأمجاد و معقد الآمال و كعبة تتجه إليها القلوب و الأفئدة و الأبصار - جعلها الله مأوى للمسلمين، و أبقاها ذخرا لهم و صانها من غوائل الدهر و الآفات و الفتن.

(ه ه ه)

الطبرى :

وصف بأنه كان ظريفا من ظاهره، نظيفا من باطنه، حسن العشرة لمجالسه. متفقدا لأحوال أصحابه، مهذبا من جميع أحواله، جميل الأدب فى مأكله و ملبسه و ما يخصه من أحوال نفسه، منبسطا مع إخوانه حتى ربما داعبهم أحسن مداعبة. و كان إذا أهدى إليه مهد هدية مما يمكن المكافأة عليها قبلها و كافأه، و إلا ردها و اعتذر إلى مهديها. هو ابن جرير الطبرى المحدث المؤرخ، المولود فى طبرستان و الذى طوف العالم الإسلامى فذهب إلى العراق ثم خرج إلى مصر مارا بأخبار الشام و السواحل و الثغور و فى الفسطاط لقى الشيوخ و أهل العلم بها عرف بالثقة بنفسه و علو الهمة و سعة المعرفة و غزارة العلم و العزوف عن الدنيا و الزهد و التقشف، حيث كان له مال من ضيعة ورثها عن أبيه، و رفض عطاء محمد بن عبيد الله الوزير وكان عشرة آلاف درهم، و مهد الطريق للمؤرخين و المفسرين، و أسلوبه يجمع بين السهولة و الجزالة، كما رصع كتبه بالشعر و الأدب، و أقدم على تفسير القرآن فى ثلاثة آلاف صفحة، و هو: «جامع البيان فى تفسير القرآن» و قد أوحى إليه كتابه «تاريخ العالم» فألف تاريخ الأمم و الملوك.. توفى سنة ٣١٠ هـ.

* * *

دراسة علمية حول قتل مالك بن نويرة

* * * *

بقلم: سماحة الأستاذ الشيخ
سعيد أحمد الأكبر آبادى
رئيس تحرير مجلة «برهان»
دهلى ـ الهند، وعضو مجلس
الشورى لدار العلوم بديوبند

*

تعريب: أبو العاص الوحيدى
المجاز من دار العلوم بديوبند

- نظرة على قتل مالك بن نويرة
- خطأ رأي الدكتور حسنين هيكل
- صور عديدة للقصة
- إطلالة على حياة مالك بن نويره
- إنكار مالك بن نويرة الزكاة
- تخلف الأنصار عن خالد بن الوليد في معركته
- هل مات مالك بن نويرة مسلما أو مات مرتدا؟
- مشكلة تاريخية وحلها
- سلطة خالد بن الوليد فى الحرب
- إثارة الفتنة حول زواج خالد بأم تميم
- كان النكاح قبل انقضاء العدة أو بعدها؟
- توجيه غضب عمر على نكاح خالد وقتله مالكا
- توجيه دية الصديق مالكا
- سبب الخلاف بين الشيخين
- الفراسة الإيمانية لأبى بكر الصديق

بسم الله الرحمن الرحيم

حينما عادت سجاح بنت الحارث المتنبئة الكاذبة إلى الجزيرة فندم بعض أثرياء بنى تميم على ما فعلوا. كوكيع بن مالك و سماعة، فلما فرغ خالد بن الوليد من معركة بزاخة سار إلى البطاح وفق ما أمر به الصديق أبو بكر، فلما وصل إلى البطاح أتاه وكيع بن مالك و سماعة و الزبرقان بصدقاتهم مطيعين، و أعلنوا إسلامهم، دون مالك بن نويرة فانه كان متأرجحا بين هذا و ذلك و مترددا فى الأمر، و لكنه لم تكن فيه كفاءة لمقاومة المسلمين و جراءة على أن يبارز الجيش الاسلامى، ففرق أصحابه و نهاهم عن الاجتماع و أمرهم بأن يرجعوا إلى بيوتهم، فلما قدم خالد البطاح و وجد أن الجو موافق خال من العراقيل فبث السرايا فى أنحاء البطاح، و كان مما أوصاهم به: «إذا نزلتم منزلا فادعوا الناس إلى الاسلام و أذنوا و أقيموا، فمن يجب الدعوة الاسلامية و يؤذن و يقم الصلاة و يقر الزكاة فكفوا عنهم و خلوا سبيلهم، وأتوا بكل من لم يجب دعوة الاسلام و اقتلوه إن امتنع». فانبثت السرايا فى أنحاء البطاح.

قتل مالك بن نويرة

فجاءت سرية بمالك بن نويرة فى نفر من بنى ثعلبة بن يربوع، فاختلفت السرية وكان فيهم أبو قتادة الأنصارى فشهد أنهم قد أذنوا و أقاموا و صلوا، و قال قوم: إنهم لم يفعلوا ذلك، فلما اختلفوا فى أمرهم فأخر خالد بن الوليد حل قضيتهم إلى وقت آخر، وأمر بحبسهم، فحبسوا

فى ليلة باردة ، و فى نفس تلك الليلة حدثت قصة قتـل مالك بن نويرة و أصحابه . ثم تزوج خالد بن الوليد بأم تميم امرأة مالك ، فغضب عليـه أبو قتادة الأنصارى غضبا شديدا و تكلم مع خالد بن الوليد فى حدة و فظاظ اللهجة حتى أنه و متمم بن نويرة أتيا المدينة و شكيا أولا إلى الصديق أبى بكر و عمر الفاروق ثانيا ، فلما سمعه أبو بكر الصديق أصابه حزن و هم و لكنه تسامح معه بمقتضى الوضع السائد و صرف عنه النظر لمصلحة و حكمـة ، و أما عمر الفاروق فثار ثائره حتى اشتد غضبه و احتدم و قال مستشيطا : إن سيف خالد فيه رهق و أكثر عليـه فى ذلك ! و ألح على أن يعزل خالد توا ، و لم يزل يزداد إصراره عليـه ، فاستدعى أبو بكر الصديق خالدا إلى المدينة فجاء ، فجرت بينه و بين الصديق أبى بكر محادثات بشأن ما حدث ، فتأكد له من حديث خالد أن قتـل مالك بن نويرة — و لو نسلم قتله مسلما — ليس بقتل عمد بل هو قتل خطأ ، فودى أبو بكر الصديق مالكا و رد خالد بن الوليد إلى معركة البطاح على الفور ، لأن أحوال المعركة قد ساءت و الأوضاع قد اختلت بغياب خالد ابن الوليد من المعركة ، فانه هو القائد الذى يسير النصر فى ركابه .

نظرة تاريخية على قتل مالك بن نويرة

إنى لا أمرّ بهذا المقام سريعا بل أقف وقفة ، لأن هذه الواقعة من المسائل التاريخية المشكلة ، فلها دلالات متعددة الجوانب مختلفة النواحى ، فقتل مالك بن نويرة بعد توبته من الارتداد ، كما يراه أبو قتادة الأنصارى ، و تزوج خالد بن الوليد بامرأته يحدث مشكلة تاريخية كبرى ، فهذه القصة تعطى عن سيرة خالد

ابن الوليد صورة قبيحة بحسب الظاهر . و فى ناحية أخرى تلوح صورة أبى بكر الصديق - لو ننظر إلى هذه القصة نظرا عابرا - كصورة تتجافى مع روح الإسلام، و إن كانت تتفق مع الاعيب السياسة العصرية، فنرى فى بادئ النظر أن أبا بكر الصديق التزم التكاسل و التباطؤ فى الشؤن الاسلامية، و سامح خالد بن الوليد، و قد زلت هنا أقدام كثير من العلماء الفحول و الأساتذة الأفاضل فجرت أقلامهم بكلمات لا تليق بمكانة يحتلها الصديق أبو بكر و خالد بن الوليد رضى الله عنهما و هى تحط من شرفهما و مجدهما، أعاذنا الله من ذلك .

عجب على الدكتور حسنين هيكل

و أعجب العجاب ما أورده الدكتور حسنين هيكل فى كتابه « الصديق أبو بكر» فى تعليل موقف أبى بكر تجاه خالد بن الوليد مما يبعد عن روح الاسلام، و إن هو يتفق مع السياسة السائدة فى هذا العصر الهابط، فكتب حسنين هيكل فى كتابه : « الرأى عندى فى خلاف وقع بين الصديق أبى بكر و الفاروق عمر أنه كان اختلافا فى السياسة التى يجب أن تتبع فى هذه الفترة الخطيرة، أما عمر - و كان مثال العدل الصارم - فكان يرى أن خالدا عدا على امرئ مسلم و نزا على امرأته قبل انقضاء عدتها، فلا يصح بقاؤه فى الجيش، و أما أبو بكر فكان يرى أن الموقف أخطر من أن يقام وزن لمثل هذه الأمور، و ما قتل رجل طائفة من الرجال لخطأ فى التأويل أو لغير خطأ، و الخطأ محيط بالدولة كلها، و هذا القائد من أعظم القوى التى يدفع بها

البلاء و يتق بها الخطر »[1] .

هذا هو تصوير الأمر فى نظر حسنين هيكل ، و غير خفى أنه يحط من منزلة الصديق أبى بكر و خالد بن الوليد كليهما . فأقدم هنا تصويرا صحيحا لهذه القصة يطابق روح الاسلام ، و تفسيرا صحيحا للواقعة تقضيه حساسية الضمير الاسلامية فى تلك الفترة ، و أختار صورة تليق بشأن أبى بكر الصديق و خالد بن الوليد كليهما .

للقصة صور عديدة وجوانب شتى

إنى أبحث قبل كل شىء عن صورة صحيحة للواقعة ، فالتاريخ يهيئ لنا روايات عديدة .

الرواية الأولى للطبرى ، يذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى أن السرية حينما اختلفت فى مالك بن نويرة و أصحابه ، فأمر خالد بأن يحبسوا فى مكان ، فحبسوا فى ليلة باردة ، لا يقوم لها شىء ، و جعلت تزداد بردا فأمر خالد مناديا فنادى « ادفئوا أسراكم » ، و هى فى لغة كناية عن القتل ، فظن القوم أن خالد بن الوليد أراد القتل – و لم يرد إلا الدفء – فقتلوهم ، فقتل ضرار بن الأزور مالكا ، و سمع خالد الداعية فخرج و قد فرغوا منهم فقال « إذا أراد الله أمرا أصابه »[2] .

و ذكر أبو جعفر الطبرى رواية أخرى أن خالد بن الوليد دعا مالكا

---

(١) « الصديق أبو بكر » للدكتور حسنين هيكل ص ١٥٠ .

(٢) تاريخ الطبرى ٣/٢٤٢ .

ليفحص الحالة و يستكشف أن أية شهادة صادقة من الشهادتين في مالك: شهادة أنهم أذنوا و أقاموا و صلوا ، أو شهادة أنهم لم يفعلوا ذلك ؟ فجرى الحديث بين خالد و مالك ، فقال مالك خلال المحادثة و هو يراجع كلامه: « ما أخال صاحبكم إلا يقول كذا وكذا » و يشير إلى محمد صلى الله عليه و سلم ، فقال خالد: أو ما تعده لك صاحبا »؟ ثم قدمه و ضرب عنقه و أعناق أصحابه[1] .

و الرواية الثالثة لابن خلكان: أن خالد بن الوليد تحدث مع مالك ابن نويرة فقال مالك أثناء الحديث: أنا أصلي و لكني لا أؤدي الزكاة! فقال خالد: ألا تعلم أن الصلاة و الزكاة كلتيهما فريضتان في الشرع الاسلامي؟ فلا تقبل إحداهما بدون أخرى[2]! فقال مالك بن نويرة: « قد كان صاحبكم يقول كذا وكذا »! فتيقن خالد بأن هذا الرجل لم يعتنق الاسلام إلى الآن. فقال: أو ما تراه لك صاحبا؟ فهدده بقتله ، فصار الحديث بينهما في حدة و فظاظ اللهجة ، و لم يزل يردد مالك بن نويرة « قد كان صاحبكم يقول كذا و كذا » فأمر خالد بن الوليد بضرب عنقه فقتل[3] .

و الرواية الرابعة لليعقوبي أن أبا بكر الصديق كتب إلى خالد بن الوليد أن يسير إلى مالك بن نويرة ، فوصل إليه و دعاه فجاءه و صاحبته امرأته

---

(١) الطبري ٣ / ٢٤٣ (٢) لا يغلط هنا شخص ، فإن خالد بن الوليد أراد أن الصلاة و الزكاة كلتيهما فريضتان في الاسلام ، فلا تقبل أية عبادة صلاة أو زكاة ما دام يقر الانسان بافتراض واحدة دون أخرى (٣) ابن خلكان ٥ / ٦٦ ، طبع مصر .

فأثر حسن امرأة مالك وجمالها فى خالد تأثيرا، وخاطب خالد مالكا بأن قال: «والله لا نلت ما فى مثابتك حتى أقتلك»! فناظر مالك بن نويرة[1] وضرب عنقه وتزوج بامرأته[2].

والرواية الخامسة للياقوت الحموى، ملخصها أن جماعة مالك بن نويرة والسرية الاسلامية التى يقودها ضرار بن الأزور قد تبارزتا فى الحرب، فاحتدم الوغى بينهما فقتل ضرار بن الأزور مالك بن نويرة[3].

فقصة قتل مالك بن نويرة لها صور أربعة فى ضوء الروايات السالفة، وأما الرواية التى ألم بها كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى وغيره كقصة غرامية مزخرفة بولغت فيها، فهى لاغية، ثرثرة فاحشة، فلا تليق بأن يقام لها وزن فى التاريخ.

تصوير صحيح للواقع

فالتاريخ يهيئ لنا روايات مضطربة وصورا مختلفة للقصة السالفة. أما التصوير الصحيح للامر فما هو؟ فأذكره هنا واضحا فى ضوء الدراية والقرآن، مع استعراض الروايات السالفة.

أما الرواية التى أفادها الطبرى فهى غير معقولة، فان الإدفاء يطلق فى الغالب على التغطية والتستير وإيصال الدفء إلى الشيء، والإدفاء استعمل بهذا المعنى فى القرآن والسنة أيضا، فمعناه القتل أو الكناية

---

(١) قد طبع فى الكتاب «فنظر مالكا» ولكنه تصحيف كما أراه، فالصحيح «فناظر مالكا» وتؤيده روايات الطبرى وغيرها (٢) تاريخ اليعقوبى ٢/١٤٨.
(٣) معجم البلدان ١/٦٦.

عنه احتمال بعيد كل البعد ، و لو التبس الأمر على حراس الأسرى و وقعوا فى الشبهة فكان لزاما عليهم أن يسألوا خالد بن الوليد عن المعنى الصريح المراد و يستكشفو الأمر ، فقتلهم شخصا كبيرا مع أصحابه بناء على هذا الاحتمال البعيد غير مفهوم و لا معقول فى ضوء الدراية ، فان الشرع الاسلامى يأمر المسلمين بدفع الجرم و الخطأ مهما يمكن ، و معلوم أن الجرم يندفع بالشبهة ، فكيف يمكن أن يقتلوا رجلا بناء على معنى محتمل بعيد ! و لو قتلوه عاجلين ، فكان لازما لخالد بن الوليد أن يؤاخذهم به و يعنفهم و يعاقبهم و لا يكفيه أن يقول : « إذا أراد الله أمرا أصابه » ! و لو كان الأمر كذلك فخالد بن الوليد معذور غير خاطئ فلماذا طار طائر عمر و غضب عليه شديدا و قال له : « قتلت امرءا مسلما ثم نزوت على امرأته و الله لأرجمنك بأحجارك » ! و ألح على أن يعزل خالد فورا ، فقال أبو بكر الصديق : يا عمر « تأول فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد فانى لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين » ؟ و ودى مالكا ! فهذا الحديث الذى جرى بين الصديق أبى بكر و الفاروق عمر تكون لاغية بدون معنى على الصورة المذكورة ، و لو التمسنا لجميع هذه الأشياء توجيها و تفسيرا فماذا نقول فيما أتى به من تزوج امرأة مالك بعد قتله فورا و قد كان مسلما ! فرواية الطبرى مضطربة معنى و غير معقولة .

و أما الروايات الثلاث الباقية فهى تفيد شيئا واحدا ، و تتفق على معنى واحد ، فكل واحد منها كشرح و تفسير لمتن واحد ، و لكنى أتخذ الرواية الثالثة للقاضى ابن خلكان كأصل تاريخى فى هذا المبحث ، وهى أصح

الروايات كما أراها ، فانها أوضح بالنسبة إلى جميع الروايات ، فالرواية الثانية و الرواية الرابعة لليعقوبى غير واضحة و صريحة .

إطلالة على حياة مالك بن نويرة

بعد أن حددت صورة أصيلة فى هذا المبحث ألقى ضوء على حياة مالك بن نويرة ، فانه يساعدنى فى هذا المبحث ، فيكتب الحافظ ابن حجر العسقلانى : اسمه مالك بن نويرة بن حمزة بن شداد بن عبد بن ثعلبة بن يربوع التميمى اليربوعى ، و يكنى أبا حنظلة ، و يلقب الجفول ، و كان رئيس قبيلة بنى يربوع و هى بطن من بنى تميم ، و كان شاعرا شريفا و فارسا معدودا فى فرسان بنى يربوع و أشرافهم فى الجاهلية ، و كان من أرداف الملوك ، و لكنه متى أسلم ! فالموعد الصحيح لاسلامه مجهول ، و لعله أسلم فى العام الثامن الهجرى أو التاسع الهجرى ، و كان النبى صلى الله عليه و سلم قد استعمله على صدقات قومه ، فلما بلغته وفاة النبى صلى الله عليه و سلم أمسك الصدقة و فرقها فى قومه و قال فى ذلك :

فقلت خذوا أموالكم غير خائف ولا ناظر فيما يجىء من الغد

فان قام بالدين المخوف قائم أطعنا و قلنا الدين دين محمد[1]

الاتفاقية بين سجاح و مالك

و هذا بالاضافة إلى أن سجاح بنت الحارث حينما أرادت غزو المدينة

---

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة ٣/٣٥٧ ، طبع فى الأصل « المحوق » و لكنه غير صحيح ، فالصحيح « المخوف » .

و المهاجمة عليها فصالحها مالك و دبر معها مؤامرات و مكائد ضد المسلمين، و صار لها الساعد الأيمن و العون الكبير، و حثها على أن تشن الغارة أولا على قبائل بنى تميم و هم كانوا مسلمين و أبوا اتباع سجاح بنت الحارثة، فأغارت سجاح عليهم و ساعدها مالك بن نويرة فى جميع المراحل و نصرها نصرا مؤزرا، فانهزمت هى و مالك، و بعد أن صالحتهم و بادلتهم الأسرى سارت إلى الجزيرة نحو الشمال قاصدة اليمامة .

إصرار مالك على الارتداد

فحينما انصرفت سجاح إلى الجزيرة فندم الزبرقان و وكيع بن مالك و سماعة على ترددهم فى الأمر بعد وفاة النبى صلى الله عليه و سلم ، فتبين لهم خطؤهم و أحسوا به ، فتنبهوا له و أتوا بصدقاتهم ، و لكن مالك بن نويرة لم يرجع من صنيعه و لم يتب إلى الإسلام بل لم يزل مترددا فى الأمر ، فذهب بأصحابه إلى قبيلة بنى يربوع[1] ، و السرية التى أرسلها خالد بن الوليد لاقتفاء آثارهم و تعقبهم فأوصاها مؤكدا بأن الذين يقيمون الصلاة مع إقرار الزكاة فكفوا عنهم و خلوا سبيلهم[2] .

مالك بن نويرة أنكر الزكاة

فقبضت السرية على مالك بن نويرة و أصحابه ، و جاءت بهم إلى خالد بن

(١) فيكتب ابن الأثير : و عرف وكيع و سماعة قبح ما أتيا فرجعا رجوعا حسنا و لم يتجبرا و أخرجا الصدقات فاستقبلا بها خالدا، و سار خالد يريد البطاح و بها مالك بن نويرة قد تردد عليه أمره ـ الكامل فى التاريخ ٣/٢٤٢ .

(٢) الطبرى ٣/٢٤٢ .

الوليد، فهذا دليل حاسم على أن مالك بن نويرة كان منكرا للزكاة و إلا لم يقبضوا عليه بموجب أمر خالد بن الوليد، و قد مضت الرواية الثانية للطبري و رواية القاضي ابن خلكان فانهما صريحتان فيما قلت. فالحديث الذي جرى بين خالد بن الوليد و مالك بن نويرة يصرح بانكار مالك الزكاة و إصراره المتواصل عليه، و مزيدا عليه أن مالك بن نويرة عبر عن النبي صلى الله عليه و سلم بقوله: «ما أخال صاحبكم إلا يقول كذا و كذا» فكل ما أسلفته بالذكر يتأكد منه أن مالك بن نويرة لم يزل مصرا على إرتياده و ما تاب إلى الاسلام.

شهادة إسلام مالك بن نويرة

و الآن أتفقد الشهادة التي يهيئ لنا التاريخ باسلام مالك بن نويرة، فنرى قبل كل شيء أن السرية التي قبضت على مالك كانت تتكون من أفراد كثيرين، و لكن الذين شهدوا بالإسلام ما كانوا إلا اثنين أحدهما متمم ابن نويرة الأخ الشقيق لمالك بن نويرة و أنه كان يحبه حبا جما تشهد به مراثيه التي كانت في مجال المراثي كمراثي الخنساء، فانه رثى أخاه بأشعار كثيرة مهيجة للاحاسيس محركة للمشاعر، و الثاني أبو قتادة الأنصاري فلا ريب في أنه من الأنصار و من أعظم الصحابة لا يمكن أن تتهمه بالكذب، و لكن لا بد أن نلاحظ في شهادة أبي قتادة الأنصاري أمورا آتية تساعدنا في تحديد صورة صحيحة للامر. فأولا ننظر في شهادة أبي قتادة الأنصاري، فجاء في «البداية و النهاية» أنه شهد بأن مالكا

و أصحابه أقاموا الصلاة و لم يذكر أنهم أقروا الزكاة أم لا[1] . و ذكر الحافظ ابن حجر أن أبا قتادة الأنصارى شهد بأنهم أذنوا و أقاموا و صلوا[2] ، فهنا أيضا لم يذكر الزكاة .

تخلف الانصار عن خالد بن الوليد

حينما فرغ خالد بن الوليد من معركة بزاخة و قصد البطاح ، فتخلفت الأنصار عن خالد و امتنعوا عن الذهاب معه إلى المعركة و قالوا : ليس عندنا مرسوم حكومى من قبل الخليفة ، و ما هذا بعهد الصديق أبى بكر إلينا إن نحن فرغنا من بزاخة فى أن نقيم حتى يكتب إلينا ! فقال خالد : قد عهد إلىّ أن أمضى فانا قاصد اليمامة و من معى و لست أكرههم ! و مضى خالد ، فلما وصل الجيش الإسلامى إلى أقصى المكان ندمت الأنصار و تأسموا على عدم انقيادهم لخالد بن الوليد ، و انحيازهم عن الجيش الإسلامى و الانقطاع عنه ، فظنوا أنهم لم يحسنوا صنعا ، و فى ناحية خيل إليهم و خطر بالهم أن الجيش الإسلامى لو ما لقيهم النجاح و الفلاح و أصابه خير حرمناه ، و لا نكون مساهمين فيه ، و لو فشل الجيش و انهزم و أصابه شر و أصيب بخسارة (لا جعل الله) فالناس يلوموننا و يوجهون إلينا سهام الطعن و الاعتراض ! فندموا على ما فعلوا و التحقوا بالجيش الإسلامى[3] .

حقيقة لا تجحد

إنى لا أستهدف بذكر هذه القصة التاريخية أن أجعل أبا قتادة الأنصارى

---

(١) البداية و النهاية ٦/٣٢٢ (٢) الاصابة فى تمييز الصحابة ٣/٢٥٧ (٣) الكامل فى التاريخ لابن أثير ٢ / ١٧٣ .

- وهو صحابي كبير - عرضة للطعن و الاعتراض ، بأنه كان من الأنصار فلم يكن راضيا بالذهاب إلى المعركة مع خالد بن الوليد ، لأنه كان بينه و بين خالد خلاف قديم ، و مع ذلك لا يختلف فيه الاثنان ، و هذه حقيقة لا تجحد ، و إن هذه الحقائق التاريخية الفرعية لا يمكن أن يصرف عنها النظر ، فانها تؤثر فى مجال الشهادة لتحديد صورة صحيحة للأمر تأثيرا بالغا ، فالتاريخ يقول : إن أبا بكر الصديق حينما عذر خالد بن الوليد و تجاوز عنه ثم رده إلى معركة البطاح على الفور ، فلم يمنح تفكر قلب أبي قتادة الذى حدث قديما ، فعاهد الله أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حربا أبدا[1] ، فهنا لا أقضى بشيء بل أطالب عالم النفسية بأن ينظر أن موقف أبي قتادة تجاه خالد بن الوليد بماذا ينطق ؟

تعليق على المبحث السالف

كل ما أسلفته بالذكر يتأكد منه أننا لو سلمنا أن مالك بن نويرة يمكن أن ندم على ما فعل و تاب من الارتداد و صار مسلما جادا مخلصا ، فأمره هذا بينه و بين الله ، و لكن الحقائق التأريخية التى تثبت بعد البحث و الدراسة تبرّئ خالد بن الوليد - دون شك - و تؤكد على أنه لم يقتل المسلم عمدا لأن مالك بن نويرة لم يزل مصرا على الارتداد و لم يتب إلى الإسلام فى رأى خالد بن الوليد ، فلما قال خالد بن الوليد معتذرا إلى أبي بكر أن مالك بن نويرة كان يقول أثناء الحديث : « ما أخال صاحبكم إلا يقول كذا و كذا »[2] فقلت له : أو ما تعده لك صاحبا ؟ فتكلم معى فى حدة

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤٨ (٢) الإصابة فى تمييز الصحابة ٣ / ٣٥٧ .

و فظاظة اللهجة ؛ فتأكد لى أنه مرتد لم يرجع إلى الإسلام فقتله فعذره أبو بكر الصديق فكأنه أيضا اعترف بالارتداد المستمر لمالك بن نويرة و عدم توبته منه ، و إلا لم يعذر خالدا و لم يتجاوز عنه .

تساؤل

و ما روى عن أبى بكر الصديق أنه عذر خالدا و تجاوز عنه ردا على عمر : « تأول فأخطأ » فلو كان ما يبدو منه حقا صحيحا أن خالد بن الوليد قد التبس عليه الأمر فظن مالك بن نويرة مرتدا كافرا وكان مسلما فقتله مخطئا . فلا ريب فى أن خالد بن الوليد يكون بريئا من قتل المسلم عمدا ، و لكن زواجه بامرأة مالك و لم تنقض عدتها يبقى بلا مبرئ فأى تأويل يختار لحل هذه المشكلة تبرئته من هذا الخطأ ! فانه خطأ فاحش كبير . فان النكاح قبل انقضاء العدة فاسد غير صحيح ، فلا بد لخالد أن يفارقها و ينقطع عنها أولا ، أو يأمره أبو بكر الصديق بمفارقتها و الابتعاد عنها ، و لكن كل ذلك لم يكن .

رد على التساؤل

و ما روى الحافظ ابن الحجر العسقلانى عن زبير بن بكار فى الإصابة أن أبا بكر الصديق أمر خالدا بأن يفارق امرأة مالك بن نويرة[1] فيمكن أن تكون هذه الرواية صحيحة و أمر الصديق خالدا بالمفارقة و الانقطاع ، و لكن الشيء الذى يثبت بالحقائق التأريخية هو أن خالد بن الوليد

---

(١) الإصابة ٣ / ٣٥٧ .

لم يفارق امرأة مالك بن نويرة فى حين من الأحيان ، فهى كانت معه حينما حارب بنى حنيفة ، فيكتب ابن الأثير الجزرى : « لما انهزم المسلمون و خلص بنو حنيفة إلى مجاعة و إلى خالد فزال خالد عن الفسطاط و دخلوا إلى مجاعة ، و هو عند أم تميم امرأة خالد . و كان سلمه إليها فأرادوا قتلها فنهاهم مجاعة عن قتلها و قال : أنا لها جار ! فتركوها [1] . فأقول بالانشراح : ليس الأمر كما ذكره الحافظ ابن الحجر ، فنكاح خالد ابن الوليد مع أم تميم امرأة مالك صحيح شرعا ، و لذا لم يفارقها خالد و لم يعتن فيه بمشورة الصديق أبى بكر أى اعتناء لو سلمنا رواية الحافظ صحيحة .

مشكلة تاريخية و حلها

إن سلمنا أن مالك بن نويرة لم يزل مصرا على ارتداده و لم يرجع إلى الاسلام فيكون هو السبب فى قتله ، و لكن هنا مشكلة تاريخية فى موقف خالد بن الوليد ، لا نمر بها بدون حلها ، و هو أن كثيرا من أثرياء قبيلة خالد بن الوليد حينما أسروا فى معركة بزاخة كقرة بن هبيرة و الفجاءة السلمى و أبى شجرة و عيينة بن حصن الفزارى فلم يقض خالد فيهم بشىء بل بعث بهم إلى أبى بكر الصديق فى المدينة ، فلماذا لم يلتزم خالد بن الوليد هذا الموقف تجاه مالك بن نويرة ؟ مع أن مالكا و رؤساء قبيلته كانوا سواء فى المرتبة و لم تكن جريمة مالك بن نويرة أشد من جريمتهم

---

(1) الكامل فى التاريخ ١٧٧/٢ .

و أكثر منها [1] ؟ لحل هذه المشكلة أن أبا بكر الصديق كان يثق بقواد جيوشه و يعتمد عليهم في الشؤن الخارجية ، و يعطيهم سلطة كاملة في مثل هذه الامور ، و يثبت هذا من الحقائق التأريخية فنرى من نافذة التاريخ أن أبا بكر الصديق أرسل قعقاع بن عمرو بجيش إلى علقمة بن علاثة الذي قد ارتد عن الاسلام و ثار على المسلمين ، فأوصاه الصديق أبو بكر : « أينما تدركه فاما تقتله أو ترسله إلى المدينة ، و اعلم أن شفاء النفس الخوض فاصنع ما عندك » [2] .

سلطة خالد في شؤن الحرب

و إن الصديق أبا بكر قد فوض حسب سياسته العامة معظم الشؤن الحربية إلى خالد بن الوليد ، و أعطاه سلطة كاملة فيها ، فكان جرا في أسرى الحرب يتصرف فيهم كما يشاء يقتلهم أو يرسلهم إلى المدينة ، ويتأكد هذا من رسالة أرسلها الصديق إلى خالد بن الوليد ، ذكرها محمد بن جرير الطبري في كتابه « تاريخ الأمم و الملوك » [2] و هذا نصه : « ليزدك ما أنعم الله به عليك خيرا ، و اتق الله في أمرك فان الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون ، جد في أمر الله و لا تنين و لا تظفرن بأحد قتل المسلمين إلا قتلته و نكلت به غيره ، و من أحببت ممن حاد الله أو ضاده ممن ترى أن في ذلك صلاحا فاقتله » [2] .

و الشيء الذي يبرر موقف خالد بن الوليد و ينزهه هو أننا نجد في التاريخ أن أبا بكر أعطى خالد بن الوليد موسوما حكوميا خاصا بمالك

(١) « الصديق ابوبكر » للدكتور حسنين هيكل ص ١٥٦ (٢) الطبري ٣/٢٣٢ .

ابن نويرة و عهد إلى خالد بن الوليد أن يقتله أينما يجده و يضرب عنقه بدون تردد أو رحمة لو يقع فى يده، و هو الذى دفع خالد بن الوليد إلى قتله، فيكتب الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادى فى كتابه: «إن أبا بكر الصديق عزم على خالد بن الوليد ليقتلن مالكا إن أخذه»[1].

الحق يعلو و لا يعلى عليه

إن الحقائق التأريخية السالفة قد أكدت أن مالك بن نويرة كان مرتدا حينما قتل، و لم يندم على ما فعل، و لم يقبل الإسلام، فقتله خالد بن الوليد بناء على السلطة الخاصة التى خولها له الصديق أبو بكر فى الشؤن الحربية، فكان خالد بن الوليد فى فعله هذا إلى جانب الحق، و معلوم أن الحق يعلو و لا يعلى عليه، فان متمم بن نويرة الأخ الشقيق لمالك أيضا اعترف بأن أخاه حينما قتل كان مرتدا و لذا تأسف عليه عند عمر بن الخطاب حينما أنشد مراثيه فقال عمر الفاروق: لو كنت شاعرا لرثيت أخى زيد بن الخطاب! فقال متمم ابن نويرة: إنى لا أبكى على شيء إلا أن أخى قتل على غير الإسلام و مصير حياته وخيم جدا و لكن أخاك المحترم قتل على الإسلام فله درجة رفيعة و مكانة ممتازة عند الله عز وجل فلا تحتاج إلى أن ترثى أخاك فانهما ليسا بسواء .. فاستدل به العلامة ابن الشاكر على قتل مالك بن نويرة و قال:

---

(۲) قد ألف أبو رياش أحمد بن هاشم كتيبا خاصا بموضوع خالد بن الوليد ومالك ابن نويرة، و نقل الشيخ عبد القادر البغدادى مقتبسات منه فى كتابه «خزانة الأدب على شواهد شرح الكافية» و الجملة التى أسلفتها بالذكر مأخوذة من تلك المقتبسات، خزانة الأدب للبغدادي ۱ / ۳۲۷.

« و مما يؤيد خالدا و أن مالكا قتل مرتدا أن متمما لما أنشد عند عمر الفاروق مراثيه فى أخيه مالك قال عمر: و الله لو ددت أن أحسن الشعر فأرثى أخى زيدا بمثل ما رثيت أخاك! فقال متمم: لو أن أخي مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته! فقال عمر: ما عزا أحد عن أخي بأحسن مما عزانى به متمم »[1].

زواج خالد بأم تميم كان من جملة أسباب الفتنة

و هنا أكشف النقاب عن الحقيقة الآخرى، و أقدم توجيها صحيحا للفتنة التى أثيرت ضد خالد بن الوليد، فتاثر بها بعض الكتاب و نسجوا كتبهم على منوالها، غيروا عين حقيقتها، و معلوم أن خالد بن الوليد لم يقتل مالك ابن نويرة فحسب بل ضرب أعناق جميع أصحابه، و لكن الفتنة ما اثيرت إلا فى قتل مالك بن نويرة، و الذى أثر فى إثارة الفتنة تأثيرا بالغا هو زواج خالد بن الوليد بأم تميم امرأة مالك بن نويرة، فاغتنم الناس هذه الفرصة و ما زالوا يقولون: إن الزواج هو الذى سبب قتل مالك[2].

و الشيء الآخر الذى أثار الفتنة هو مرائى متمم بن نويرة فى أخيه المقتول، فان مراثيه هى التى أثارت الفتنة و هيجتها أكثر مما أثارتها أشياء أخرى، فتداولتها السنة جميع الناس حتى أطفال المدينة فتراهم منشدين فى

---

(١) فوات الوفيات ٢ / ١٤٣ (٢) و مما يثير الإعجاب أن صاحب الأغانى و غيره قد كتبوا أن خالد بن الوليد كان قد هام بأم تميم هياما من عصر الجاهلية فقيل زوجها للحصول عليها، و لكن هذا كلام رجل يجهل طبائع العرب و خصائلهم فان العرب كانوا يستنكرون استنكارا شديدا أن يقتلوا رجلا للحصول على زوجته، و كان يعد هذا عندهم من أفعال جبن و دناءة خلقية فلا يتصور هذا لأى عربى فضلا عن الرجل الشجاع مثل خالد بن الوليد فانه سيف الله.

جميع الأوقات ، و قدّ ذكر الامام البخارى أن عائشة رضى الله تعالى عنها حينما رثت أخاها عبد الرحمن بن أبى بكر فاستخدم مراثى متمم بن نويرة ، فهياج الفتنة بنطاق واسع ليس إلا من مؤثرات تلك المراثى ، ولذا ترى أن بطون كتب التاريخ مملوءة بها ، ع :

فلو لا التقى لقلت جلت قدرتها

كشف النقاب عن الحقيقة

و الحقيقة الحقة أن زواج خالد بن الوليد بأم تميم له صورة أخرى كما أراه ، فلعل خالد بن الوليد جعل أولا أم تميم جاريـــة له ، لأن مالكا و أصحابه قد جعلوا سبياء و أسرى فى تلك المعركة ، فيمكن أن أم تميم قد أسلمت بعد أسرها على الفور ، فتزوج بها خالد بن الوليد بعد مـدة ، و الذين يطعنون على خالد يقولون : إن خالدا قد عشق أم تميم عشقـا و صب بها صبابـة فتزوج بها ! فلو نسلم قولهم صحيحا فنقول غير شاكين أو مترددين : إن مالك بن نويرة حينما قتل مرتـدا كان نكاح خالد مع أم تميم جائزا فى الشرع ، فلا قباحـة شرعا فى صبابته بها ، و هذا لو نسلم قول الطاعنين ، و إلا فيمكن أن يقال نظرا إلى مكانة خالد بن الوليد : إنه لم يتزوج بأم تميم إلا لتعليلها و تسليتهـا و تضميد جراحها ، فانها كانت امرأة رجل عظيم المرتبة فصارت بعد قتله أرملة بائسة من الأرامل ، فنوى خالد أن يسليها و يضمد جراحها ، فتتجلى هنا روحه الاسلامية أنه تزوج بامرأة أيم تمشيا مع أمر الله عز و جل ﴿ فانـكحوا الأيامى منـكم ﴾ .

النكاح قبل انقضاء العدة أم بعد

و ما روى أن خالدا تزوج بأم تميم بعد قتل مالك بن نويرة قبل انقضاء العدة فليس هو إلا من وهم الراوى و خطأه ، فأصل الرواية التى ذكرها الطبرى[1] هــكذا: «و تزوج خالد أم تميم ابنـة المنهال و تركها لينقضى طهرها»، و التصوير للواقع دون هذا التصوير ، فلعل خالدا أتى بأم تميم إلى فسطاطها كسبية فأسلمت فتزوج بها خالد بعد أيام ، فذكره الراوى كالرواية السالفة ، و رأينا هذا ليس بلا دليل و برهان ، فله أصل تاريخى نعتمد إليه .

إن أبا زيد وثيمـة بن الوشاء المتوفى سنة ٢٣٧ كان مؤرخا فـذا فى القرن الثالث الهجرى ، فانـه ألف كتابا معروفا اسمه « كتاب الردة » و كان يحتوى على ذكريات فتنـة الردة التى ثارت فى العصر الصديق ، و لـكن الأسف فوق الأسف أن ذلك الـكتاب لا يوجد اليوم فى العالم ، و هو كتاب يحتل مكانـة عظمى فى التاريخ ، فان الحافظ ابن الحجر قد نقل منه كثيرا من المقتبسات فى كتابه « الإصابة فى تميز الصحابة » . و قد نسق عالم ألمانى تلك المقتبسات بصورة كتاب نشره باسم « كتاب الردة » و إن أبا زيد وثيمة بن الوشاء له ذكرى خالدة فى كتابى « وفيات الأعيان » و « فوات الوفيات » فهو رجل ممتاز لا يجود بمثله الزمان ، فذكر العلامة ابن الشاكر قصة خالد بن الوليد و مالك بن نويرة ناقلا عن كتاب وثيمة بن الوشاء و كتاب المؤرخ الإسلامى الواقدى ، فذكر فيها زواج

(١) ٢/٢٤١ .

خالد بن الوليد بأم تميم بعد انقضاء العدة، و هو يؤيدنا تأييدا قويا، فكتب ابن الشاكر : «و قيل إن خالدا اشترى أم تميم من الفئ و تزوج، و قيل أنها اعتدت بثلاث حيض ثم خطبها إلى نفسه فأجابته[1]، و هذا هو الأصل الذى نقول فى ضوئه ان خالدا تزوج بأم تميم بعد انقضاء العدة .

لما ذا طار طائر عمر؟

قد مضى أن عمر الفاروق حينما بلغه أن خالدا قتل مالك بن نويرة فاشتد غضبه و ثار ثائره و قال لأبى بكر : «إن سيف خالد فيه رهق»! فألح على أن يعزل فورا و خاطب خالدا مستشيطا : «و الله لأرجمنك بأحجارك»! فلما كان موقف خالد فى هذه الفترة بريئا نزيها فلما ذا طالب عمر الفاروق أبا بكر بعزل خالد و رجمه ؟ هو الدافع و الحامل عليه . فها هى رواية تحل هذه المشكلة التاريخية ، و توصلنا إلى توجيه نجتلى فيه موقف الجميع من عمر الفاروق و خالد و أبى بكر بريئا نزيها طاهرا :

إن الحافظ ابن الحجر العسقلانى ذكر فى تذكرة ضرار بن الأزور أن خالد بن الوليد بعث فى العصر الفاروقى بسرية إلى بنى أسد يقودها ضرار بن الأزور ، فأغارت على بنى أسد و قبضت على امرأة ، فجعل ضرار ابن الأزور تلك المرأة ملك يمينه بأن سمح له بذلك جميع المسلمين ، و لكنه ندم فيما بعد فرفع الطلب إلى خالد بن الوليد أن يطلع عليه عمر الفاروق ،

---

(۱) فوات الوفيات ۲/٦٢٥ – ٦٢٨ .

لينال منه الموافقة رسميا . فقال خالد : لسنا بحاجة إليه ! و لكنه ألح عليه ، فاطلع خالد عمر الفاروق على ما فعل ضرار بن الأزور ، فحينما بلغه الخبر غضب غضبا شديدا ، وأمر خالدا بأن يرجم ضرار بن الازور على الفور ، و من حسن طالع ضرار بن الأزور أنه انتقل إلى رحمة الله قبل أن يصل إلى خالد مرسوم فاروقى ، فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه : ما كان الله ليخزى ضرار بن الازور[1] . فنحن نجتلى فى هذه القصة موقف عمر أنه يرى و يعتقد أن التصرف فى مال الغنيمة بغير إذن الخليفة حرام ، و يرتكب فاعله جريمة عظيمة ، وهكذا لما بلغه أن خالدا جعل أم تميم ملك يمينه بغير إذن الخليفة اشتد غضبه عليه . وألح على عزل خالد و رجمه ، فاشتداد غضب عمر فى مثل هذه المواقف عوامله رفيعة و دوافعه عظيمة ، و هى الروح الإسلامية المعنوية ، و اليقظة الإيمانية الدائمة ، و الحساسية الدينية المرهفة .

و إن التصرف فى مال الغنيمة كان جائزا شرعا فى رأى خالد بن الوليد ، و لذا جعل أم تميم ملك يمينه . و يمكن أن خالدا قد نال الإذن من أبى بكر الصديق سرا و لذا لم يغضب عليه أبو بكر حينما بلغه الخبر ولم يقم له وزنا .

مباحث ضمنية

حينما شكا أبو قتادة الأنصارى خالدا إلى أبى بكر فلم يعتن به أى

---

(١) الإصابة ٢ / ٢٠٩ .

اعتناه ، ثم شكاه إلى عمر الفاروق فثار غضبه واختار تجاه خالد من السلوك ما اختار ، فقال الصديق أبو بكر : « لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين »[١].
ولكن غضب الفاروق لا يزال يزداد ، فكتب أبو بكر إلى خالد أن يقدم عليه ، فجاء خالد ودخل المسجد وعليه قباء وقد غرز فى عمامته أسهما ، فقام عمر فنزعها وحطها وقال ما قال ، وخالد لا يكلمه ويظن أن رأى أبي بكر مثله ، ودخل على أبى بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه ، فعذره وتجاوز عنه ، وقدم أخوه متمم بن نويرة على أبى بكر يطالبه بدم أخيه ويسأله أن يرد عليهم سبيهم ، فأمر أبو بكر برد السبى وودى مالكا من بيت المال .

غير أن سير وليام موير Sir William Muir يكتب فى كتابه « الخلافة » The caliphate إن أبا بكر أمر برد الأسرى لكنه رفض أن يدى مالكا[١] من غير أن يشير إلى الذى استند إليه فى الرفض ، وهذا يخالف ما جاء فى تاريخ الطبرى والكامل لابن الأثير وأسد الغابة ، فقد ورد فى هذه المراجع أن أبابكر أمر برد السبي وودى مالكا ، ثم رده إلى معركة البطاح توا لأن أوضاع المعركة قد اختلت بغياب خالد عنها .

بعد دارسة ما ذكر تنشأ أمور آتية فى أذهاننا كنقطة سؤال : لو كان خالد بن الوليد غير خاطئ فى رأى أبى بكر فلماذا ودى مالكا ؟ ولماذا وقع خلاف شديد بينه وبين عمر الفاروق ؟! فأنى أدفع هذه الشبهات ،

---

(١) الخلافة ص ٢٦ طبع سنة ١٩٢٤ م .

و أقدم صورة صحيحة للأمر، و تفسيرا يتفق مع حساسية الضمير الاسلامى فى تلك الفترة، و أختار منهجا لتعليل موقف عمر الفاروق و أبى بكر الصديق، مما يوافق روح الإسلام.

توجيه دية الصديق مالكا

إن الصورة الواقعية لقصة قتل مالك بن نويرة قد اجتلت لأبى بكر بحديث جرى بينه و بين خالد بن الوليد، و بطرق أخرى، و لكن لا يختلف الاثنان فى أن خالد بن الوليد قد استعجل فى الأمر و لم يلزم جانب الحذر و لم يأخذ لنفسه من الحيطة، وكان من الحذر أن يرسل مالكا إلى المدينة دون أن يقتله، فكان من الممكن أن يرجع إلى الإسلام حينما يرى أن أثرياء الناس يدخلون فى دين الله تعالى أفواجا، و لا ريب فى أن نكاحه بأم تميم كان جائزا فى الشرع، و لكن صنيعه هذا يتجاوز حيز الحذر و الحيطة، و لذا كرهه الصديق أبو بكر[1] فودى مالكا نظرا إلى ما اخيار من عدم الحيطة و الحذر، و تأليفا لقلب متمم بن نويرة و مواساة لعمر الفاروق، فكانت دية الصديق أبى بكر مالكا على أساس المصلحة و الحكمة، لا على أن خالدا مخطئ و مجرم فى نظره، كما أن خالدا حينما قتل جيشه فى معركة

---

(١) ذكر الزبير بن بكار أن خالدا إذا صار إليه المال كان قسمه فى أهل الغنائم، و لم يرفع الى أبى بكر، و كان فيه تقدم على أبى بكر بفعل أشياء لا يراها أبو بكر أقدم على قتل مالك بن نويرة و نكح امرأته فكره ذلك أبو بكر و عرض الدية على متمم بن نويرة و أمر خالدا بطلاق امرأة مالك و لم ير أن يعزله ـ الإصابة ١/٤١٤ـ٤١٥.

العراق عبد العزى و لبيد بن جرير - و كانا مسلمين - لأنهما كانا فى معسكر الأعداء ، فجاء فى تاريخ الطبرى [1] أن جرير بن عبد الله قد أصاب فى المضيح من النمر عبد العزى بن أبى رهم و لبيد بن جرير ، و كان معهما كتاب من أبى بكر باسلامهما ؛ فوداهما الصديق أبو بكر ، و قال : أما أن ذلك فليس علىّ شىء إلا نازلا أهل الحرب .

و إن ننظر من شرفة التاريخ لنجد أن أبا بكر الصديق اختار فى قصة قتل مالك موقفا اختاره النبى صلى الله عليه و سلم تجاه خالد بن الوليد فى قصــة أخرى ؛ فذكر الإمام البخارى عن سالم عن أبيه قال : بعث النبى صلى الله عليه و سلم خالد بن الوليد إلى بنى جذيمـة فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يستحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون : صبئنا صبئنا ! فجعل خالد يقتل و يأسر ، و رفع إلى كل رجل منا أسيره ، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره فقلت (قائله عبد الله بن عمر) : و الله لا أقتل أسيرى و لا يقتل رجل من أصحابى أسيره ! حتى قدمنا على النبى صلى الله عليه و سلم فذكرنا له ، فرفع النبى صلى الله عليه و سلم يده فقال : اللهم إنى أبرء إليك مما صنع خالد - مرتين [2] ، ثم إن النبى صلى الله عليه و سلم بعث إليهم عليا و أعطاهم نصف الدية بكل من قتل منهم . يقول فضيلة الشيخ أستاذنا النبيل العلامة أنور شاه الكشميرى : « هذا عندى محمول على نحو مصالحة ، فانهم و إن لم يطالبوه بشىء لكن النبى صلى الله عليه و سلم لم يرض بأن يهدر

---

(١) ٤ / ٢٤ (٢) الجامع الصحيح للامام البخارى ج ٢ ص ٦٢٢ كتاب المغازى .

دمهم»[1] . ومع هذا لم يعزل النبى صلى الله عليه وسلم خالدا فلم يزل يتولى قيادة الجيش فى الحياة النبوية من البداية إلى النهاية ، هذه هى الأسوة الحسنة النبوية التى اتخذها الصديق أبو بكر قدوة رائعة ومثلا يحتذى به فى هذه الفترة الخطيرة .

سبب خلاف بين الشيخين

لم يبق هنا بحث إلا فى خلاف شديد وقع بين الصديق أبى بكر وعمر الفاروق رضى الله عنهما ، فها هو تصوير صحيح للأمر وتفسير مطابق للصورة الواقعية فى هذه الفترة ، فاذا ألقينا نظرة على التاريخ الماضى لوجدنا أن هذا الخلاف الواقع بين الصديق أبى بكر والفاروق لم يكن أول خلاف بينهما ، فنرى فى العصر النبوى أيضا خلافات عديدة بينهما فى مختلف الشؤن الدينيه والسياسية ، كما نرى أنهما خالفا بعد الوفاة النبوية فى إرسال سرية أسامة ومحاربة الذين منعوا الزكاة .

ومعلوم أن كل خلاف وقع بين الصديق أبى بكر والفاروق عمر فكثيرا ما يكون فيه الصديق مصيبا فى قوله وفعله ، فكان الفاروق يعترف باصابة رأيه أخيرا ، وهنا أيضا نرى أن عمر الفاروق قد اعترف أخيرا باصابة رأى أبى بكر فى قصة مالك بن نويرة . وقال أخيرا : «رحم الله أبا بكر هو كان أعلم منى بالرجال»[2] ، فحينما جاء متمم بن نويرة إلى عمر الفاروق فى عصر خلافته يطالب خالدا بدم أخيه ، فرد عليه الفاروق قائلا : «لا أرد شيئا صنعه أبو بكر» .

---

(١) فيض البارى ١١٧/٤ (٢) خزانة الأدب ٢٣٨/١ .

و الأصل الفارق بين الصديق و الفاروق أن الصديق أبا بكر كان لين الجانب ، و كان الفاروق عمر أشد الناس فى الدين ، و لذا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فى شأن عمر : « أشدهم فى أمر الله عمر » . فحينما قص عليه أبو قتادة الأنصارى قصة مالك بن نويرة تماما اشتد غضبه على خالد ابن الوليد نظرا إلى أن خالدا فعل هكذا مع بنى جذيمة و عبد العزى و لبيد ابن جرير ، فذكر الطبرى أن عمر كان يعتد على خالد بقتلهما إلى قتل مالك بن نويرة[1] ، و إن عمر كان يعلم أن خالد بن الوليد غير مجرم و لكنه لم يعمل بدقة و لم يأخذ لنفسه الحذر ، و معلوم أن « حسنات الأبرار سيئات للمقربين » فكان عمر رضى الله تعالى يستبعد كل الاستبعاد أن يعمل رجل كبير بدون دقة و يختار أعمالا بدون حذر و حياطة ، فضلا عن الصحابى الكبير مثل خالد بن الوليد و هو قائد الجيش الإسلامى و سيف الله على الكافرين ، فغضب عليه بدافع الروح الإسلامية و الإحساس الدينى الكبير .

الفراسة الإيمانية للصديق أبى بكر

و فى جانب آخر كان الصديق أبو بكر ألين الناس خلقا ، و كان من طبيعة الصديق أبى بكر أنه كان يجعل حياة النبى صلى الله عليه و سلم قدوة رائعة و أسوة حسنة فى جميع مراحل حياته الدينية و السياسية ، و كثيرا ما يطبق حياته على الحياة الطيبة النبوية حذو النعل بالنعل ، و إنه يعرف ما يعتور الإنسان من ارتفاع و هبوط و تطلع و انكماش ، و كان يعلم أن الإنسان يتغلب عليه أحيانا الضعف البشرى ، و كان متيقظا جدا فى مجال السياسة

(1) تاريخ الأمم و الملوك للطبرى ٢٤/٤ .

الخارجية و الداخلية و التدابير الحربية و السلمية ، فيختار موقفا معتدلا فى جميع الشؤن و الأمور ، و يتبع فى جميع مراحل الحيـاة أفضل السبل و أمثل الطرق ، و هنا أيضـا اختار موقفا معتدلا تجاه خالد بن الوليد ، ولا ريب فى أن خالدا لم يلزم جانب الحذر و لم يأخذ لنفسه الدقة و الحياطة ، و مع ذلك كله كان خالد بن الوليد بريئا نزيها غير مجرم ، فرأى الصديق أبو بكر أن الموقف أخطر من أن يقام لمثل هذه الأمور وزن ، و الخطر محيط بالدولة كلها ، و الفتنة ناشية فى بلاد العرب من أقصاها إلى أقصاها ، و هذا القائد الذى يتهم بأنه أخطأ من أعظم القوات الإلهية التى يدفع بها البلاء و يتقى بها الخطر . فلم يعزله عن قيادة الجيش الإسلامى فانه كان أحوج إلى خالد بن الوليد . لأنه هو القائد الذى كان النصر يسير فى ركابه .

و أما عدم اختيار خالد الحياطة و الحذر فى ذلك الأمر فيكفى لتداركه القول بأن خالدا قدم إلى المدينة ، فزجره الصديق و الفاروق زجرا ، و أما فى العصر الحاضر فلو تصدر جريمة عن شخص كبير فلا تتخذ إجراءات ما ضده بزجره و تعنيفه ، بل تكفى كلمة « الأسف » فحسب .

كما ذكرت أن عمر الفاروق كان أشد الناس ، و لكنه لم يكن على شدته إلا فى بادئ ذى بدء من حياته ، فانه لم تلق على كواهله إعباء الشؤن الخارجية و الداخليـة و مسؤليات دينية و سياسية أخرى من الحكومة الإسلامية رسميا فى بدء حياته ، و لكنه حينما تولى الحكومة و أخذ بيده زمام الحكومـة و السياسة صار معتدل الطبع و الخلق و عديم الشدة ،

و تحول عمر رضى الله تعالى عنه دون عمر السالف أشد الناس، كما نبأ عنه الصديق أبو بكر فى آخر حياته حينما رشح اسم عمر الفاروق للخلافة الإسلامية، و قد تحققت نبوءة الصديق أبى بكر عن الفاروق عمر فى التاريخ، فما أحسن ما قال النبى صلى الله عليه و سلم:

«اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله».
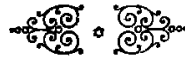
الفتنة

كما يقول الزمخشرى: الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان، و مجاهدة الأعداء، و سائر الطاقات الشاقة، و هجر الشهوات و الملاذ، و بالفقر، و القحط، و أنواع المصائب فى الأنفس و الأموال، و بمصابرة الكفار على أذاهم و كيدهم و ضرارهم.

***

* * * *

آية واحدة من كتاب الله تحول دون تعميم الحكم على الفطرة بأنها كلها خيرة، و هى قوله تعالى: « و ان الانسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا و إذا مسه الخير منوعا ». فى هذا النص دلالة واضحة على أن الجزع عند مس الشر و الشح عند مس الخير صفتان خلقه بهما الإنسان، و أودعا فى الجبلة.

* * * *

قد دعا القرآن إلى تنمية العقل، فحث على التأمل فى ملكوت السماوات و الأرض و فى آفاق النفوس البشرية لمعرفة أسرار الكون و عجائب الفطر و ما تدركه الحواس من مظاهر الحياة، ثم التأمل الداخلى فى النفس لهذه المدركات. هذا هو ما ينمى هذه القوة الفطرية التى أودعها الله فى جبلة الإنسان، و هى العقل.

أضواء من سورة الكهف

لفضيلة الشيخ محمد محمد المدنى

تلخيص عبد الخالق المدراسى

« سورة الكهف » إحدى السور المكية ، والشأن الغالب فيما نزل من القرآن بمكة أنه لا يتحدث عن الأحكام و تفاصيل الشريعة من عبادات و معاملات ، كما نزل من القرآن بالمدينة ، و لكنه يتحدث عن أصول العقيدة ، و أمهات الأخلاق ، لأنه يضع الحجر الأساسى لأمة يريد أن يبنيها و يجعل لها فى العالم شأنا ، و الأمم لا تبنى إلا على هذين الأساسين : عقيدة تطمئن إليها قلوبها ، و أخلاق تستقيم عليها شؤنها ؛ فاذا ضاع أحدهما تزلزل بناؤها ، و انهدم كيانها .

و أبرز ما عنيت به سورة الكهف من العقائد أمر البعث و الدار الآخرة ، و هو أصل فى العقيدة طالما أعاد القرآن فيه و أبدأ ، و ضرب له الأمثال ، و حكى فى شأنه القصص العجيب الدال على قدرته تعالى ، و أيده بالبراهين الدامغة ، و نظر له بما يشاهد من صنع الله فى الخلق و آياته فى الآفاق ، حتى يتبين لهم أنه الحق ، و أن الله على كل شيء قدير .

و لو أن ناظرا فى القرآن الكريم أراد أن يجمع كل ما ذكره

فى هذا الشأن ويستوعب نواحيه المختلفة لاخرج من ذلك بحثا ضخما ، ولبين أن الله قد استقصى نواحى الأمر فيه استقصاء ، وأزاح عنه كل شبهة مما طرأ على الأذهان وما قد يطرأ ، حتى أصبح العقل منه على بينة وتسليم ، كأنه أحد المحسات التى تبصرها العيون ، وتلمسها الأيدى .

وقصارى القول فى ذلك أن إنكار البعث أو الشك فى أمره يرجع فى ذهن المنكر أو الشاك إلى إحدى أمور :

١ - إما مخالفته لما ألف من السنن ، حيث لم يعهد الأحياء أن ميتا بعث من رمسه ، وعادت إليه الحياة كرة أخرى ، حتى يمكن قياس ما لم يشهدوا على ما شهدوا .

٢ - وإما استبعاده واستعظام أمره ، فان عودة الأجسام بعد تفرقها وتحللها وفسادها وفنائها فى الأرض واختلاط موادها بالتراب وتحولها إلى جنسه أمر تستبعده العقول ، ولا تسلمه فى سهولة ويسر .

٣ - وإما كونه أمرا لا تدعو إليه حاجة البشر ، ولا تقضى به حكمة الحكيم .

٤ - وإما العناد فى أمره والإصرار على تكذيب الدعوى فيه ، بعد تبين الحجة ، وقيام البرهان كفرا ومكابرة .

وقد عالج القرآن الكريم ذلك كله ، ورد على كل فريق من المكذبين بما يناسبهم .

١ - فقال للذين حسبوه مخالفا للسنن المألوفة : إنكم قد غفلتم عن كثير

من آيات الله التي تشاهدونها بأعينكم ، و قد صارت لديكم أمورا مألوفة لكثرة حدوثها و تكرر رؤيتها . فهذه الأرض تكون ميتة هامدة ، فينزل الله عليها الماء فتصبح مخضرة ناضرة بالزرع و النبات ﴿ و ترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت و ربت و أنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق و أنه يحيي الموتى و أنه على كل شيء قدير و أن الساعة آتية لا ريب فيها و أن الله يبعث من في القبور ﴾ .

و هؤلاء هم الناس ينامون و يضرب الله على آذانهم مدة من الزمان يكونون فيها كالموتى ، ثم يبعثون ، و ذلك هو المعنى الذي صح أن رسول الله صلى الله عليه و سلم نادى به قومه أول مبعثه ، إذ يقول : « و الله لتموتن كما تنامون و لتبعثن كما تستيقظون » . و قد جاء به القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها و التي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت و يرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ . و هذه هي الحبة الجافة يحولها الله بالإنبات إلى زرع نضير ، و النواة المتحجرة يصيرها نخلة فارعة مثمرة ﴿ إن الله فالق الحب و النوى يخرج الحي من الميت و مخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تلفت إلى نظائر البعث و النشر فيما ألف الناس .

٣ - و قال الذين يستبعدون ذلك ، و يستعظمون أمره : إن الله لا يعجزه شيء ، و ليس شيء عليه بمستبعد ، فهو القادر الذي خلق الخلق و أنشأه من العدم ﴿ و هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده و هو أهون عليه و له المثل

الأعلى فى السموات و الأرض و هو العزيز الحكيم ﴾ ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ ﴿ وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة ﴾ ﴿ يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ﴾ إلى غير ذلك من الآيات التى تذكر قدرة الله، و تذكر بنشأة الخلق، و ترد عليهم استبعادهم للأمر و استعظامهم إياه، فى مثل قولهم: ﴿ أيعدكم أنكم إذا متم و كنتم ترابا و عظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا و ما نحن بمبعوثين ﴾ .

٣ - و يقول للذين يزعمون أنه أمر لا تدعو إليه حاجة، و لا تقضى به حكمة: ﴿ ليجزى الذين أساؤا بما عملوا و يجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ ﴿ و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون و ستردون إلى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ إلى غير ذلك من الآيات التى تذكر حكمة البعث و رجوع الناس إلى الله فى يوم مشهود، ليحاسبهم و يجزيهم بالسوء سوءا و بالإحسان إحسانا .

٤ - أما المعاندون المكابرون فيجابههم بالدعوى، و يكررها عليهم، و يقسم عليها فى مقابلة قسمهم، و يصور لهم يوم القيامة و أهواله كما لو كانوا يشاهدونه: ﴿ و أقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا و لكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى و ربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم ﴾ ﴿ قالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا و ما نحن بمبعوثين و لو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس

هذا بالحق قالوا بلى و ربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ إلى غير ذلك من الآيات التي تصور أهوال القيامة و حيرة الكافرين و اعترافهم بعد رؤية العذاب .

و إنما عنى القرآن الكريم هذه العناية بشأن البعث و الدار الآخرة لأنه شأن يترتب على الإيمان به صلاح العالم و استقراره ، و للايمان به بركات على الأفراد و الجماعات ، و المراد بالبركات البركات العملية التي هي النتائج و الآثار التي ربطها الله بأسبابها على سنة منه لا تتبدل و لا تتحول ، ذلك أنه إذا استقر في العقول أن بعد هذه الدار دارا أخرى ، و أن كل إنسان محاسب في تلك الدار على ما اقترف من خير أو شر : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره و من يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ ، ﴿ و الوزن يومئذ الحق ﴾ كان ذلك عصمة للعالم ، و وقاية من كثير من الشرور و الآثام ، و مدعاة للعمل الصالح و البر و الخير ، و كل ما يعود على المجتمع خاصة و عامة بالصلاح و القرار . أما إذا شاعت في الناس فكرة الملحدين المنكرين ، الذين يصورون هذه الحياة الدنيا على أنها تفاعلات من نفسها و مصادفات لا تنتهي ، و أنه لا غاية من ورائها ، و لا دار بعدها ، و لا حساب و لا ثواب و لا عقاب : فان كل إنسان يفعل حينئذ ما يشاء ، و العالم إذا سارت أموره على هذا الأساس يكون جحيما لا يطاق ، و لا يلبث أن يصير خرابا يبابا .

و ها نحن أولا نرى المادية و الإلحاد حين تفشيا في الناس تفشت معهما الشرور و المظالم ، و أصبحت الأمم الأوربية و مثيلاتها طعمة

الحروب ، يوقدون بأيديهم نيرانها ، و يجمعون لها المال و الفن و العلم و الصناعة و السياسة و فلذات الأكباد ، ثم يركسون ذلك جميعا فيجعلونه فى النار .

لهذا يهتم القرآن الكريم بأمر البعث و الدار الآخرة ، و يقرره على كل مؤمن عقيدة من عقائد الحق التى لا تقبل الشك ، و لا يقبل الله فيها تأويلا و لا شقاقا ، و يستقصى كل ما يدل عليه ، و يثبته فى القلوب ، و يزيل عنه الشبهات .

و قد نزلت « سورة الكهف » فى وقت كانت سهام الأدلة و البراهين فيه تصوب إلى شبه المكذبين و باطل المبطلين فى أمر البعث .
و قد سبقها فى ذلك عدة سور نراها تهتم بهذا الأمر اهتماما بالغا .
فالسورة التى نزلت قبلها و هى « سورة الغاشية » تبدأ و تنتهى بحديث الساعة ، و إياب الناس جميعا إلى الله ليحاسبهم على ما قدموا . فتقول فى أولها ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾ و تقول فى آخرها ﴿ إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم ﴾ و توازن بعد البدء و قبل الختام بين فريقين فريق الكافرين ، و فريق المؤمنين ، مبينة ما لكل من الجزاء فى دار الجزاء ، ثم تذكر دلائل قدرة الله فى الإبل و السماء و الجبال و الأرض ، و تأمر الرسول بأن يذكر بهذا كله ، و يترك الناس بعد ذلك و ما يشاءون ، فإنما هو مذكر لا مسيطر .

و السورة التى نزلت قبل « الغاشية » و هى « سورة الذاريات » تبدأ بقسم عظيم من الله جل جلاله ، و يكون المقسم عليه هو صدق

الوعد الذي يوعدون ، و تحقق يوم الدين الذي ينكرون ، ثم تذكر الخراصين الذين يتساءلون أيان يوم الدين ، فتجيبهم عن تساؤلهم بوصف هذا اليوم و ما فيه من أهوال يصيرون إليها جزاء على تكذيبهم ، و من نعيم يصير إليه المؤمنون المصدقون بأمر ربهم ، ثم تمضي في ذكر الدلائل على قدرة الله مما يشاهد الناس و مما يحفظ التاريخ من أخبار المرسلين و أقوامهم ، حتى تنتهي إلى إنذار للظالمين تنخلع له القلوب ، ثم تمضي في بيان سنن الله في الخلق و التصريف ، و تقليب الأمم و الناس ، و التمكين لقوم و إهلاك آخرين ، حتى تنتهي بهذا النداء الجامع القوي على لسان نوع مما خلق الله : ﴿ يا قومنا أجيبوا داعي الله و آمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم و يجركم من عذاب أليم و من لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض و ليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات و الأرض و لم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير و يوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى و ربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ . ثم يكون ختامها المقترن بهذا النداء تسلية و تثبيتا للرسول ، و إنذارا و تهديدا للنكرين المكذبين ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل و لا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾ .

و قد نزل بعدها كذلك عدة سور تتحدث عن هذا الشأن الخطير ، مبينة وحدانية الله و قدرته ، و ما كان من عقوبته للكذبين و أخذه للظالمين .

فمن ذلك « سورة النحل » التى نزلت بعد الكهف مباشرة ، و هى تبدأ بهذا النبأ الخطير الذى تؤكد فيه مجىء أمر الله ، و تصوره كما لو كان قد وقع فعلا فتقول : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه و تعالى عما يشركون ﴾ و تمضى فى ذكر ما كان للسابقين من مكر و دهاء ، و ما أصابهم من جزاء ، تصور حالة الناس حين الموت و بعد الموت ، واصفة حال الظالمين لأنفسهم ، و حالة الطيبين ، و جزاء كل يوم الجزاء ، ثم تقول فى قوة و ثقة و رد على المكذبين ، و بيان لحكمة الله من بعث الناس و قدرة الله على ما يريد ، و هكذا تمضى فى بيان نعم الله و عجائب تصريفه فى ملكوت السماوات و الأرض ، و يجىء فيها أمر البعث بين الحين و الحين كما فى قوله : ﴿ و لله غيب السموات و الأرض و ما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شىء قدير ﴾ و قوله : ﴿ و يوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا و لا هم يستعتبون ﴾ و قوله ﴿ يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها و توفى كل نفس ما عملت و هم لا يظلمون ﴾ .

بهذا يتبين أن سورة الكهف قد نزلت فى وقت اشتدت فيه الحملة على المنكرين المكذبين بيوم الدين ، و أن ما جاء قبيل نزولها و بعيده كان شديد العناية بهذا الشأن ، فلا عجب أن يكون أبرز ما عنيت به هو الاشتراك القوى فى هذه الحملة الشعواء .

و قد كان أسلوب هذه السورة فى إثبات هذه القضية و الحجاج عنها جامعا لكثير من طرائق الجدل و الاستدلال على حقيتها ، مبرزا ذلك فى

صورة واضحة قد اكتملت فيها عناصر القوة و الروعة و الاحكام . و نستطيع أن نجمل مظاهر ذلك فيما يأتى :

١ - بدأت السورة بقوله تعالى : ﴿ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا ﴾ و هى تتحدث فى هذا البدء عن الدار الآخرة و ما فيها من بأس شديد يصيب أقواما ، و أجر حسن يفوز به أقوام آخرون .

٢ - و ختمت بقوله تعالى : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحىٰ إلىّ أنما إلٰهكم إلٰه واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا و لا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ و هى تتحدث فى هذا الختام عن الدار الآخرة أيضا و عمن يرجو لقاء ربه ، و ما يجب عليه أثر لهذا الرجاء و الإيمان من عمل صالح و توحيد لله لا يخالطه إشراك .

و هكذا يتلاقى أول السورة و آخرها : أولها يتحدث عن الآخرة بطريق التقرير لها ، و بيان مهمة القرآن فى إثبات ما يكون فيها من الجزاء إنذارا و تبشيرا ، و آخرها يتحدث عن هذه الحقيقة التى تركزت و تقررت و يحاكم الناس إليها فى الايمان و العمل الصالح .

أما فى أثناء السورة و ما بين بدئها و ختامها ، فقد جاء أمر البعث عدة مرات : جاء فى مقدمة قصة أصحاب الكهف التى ساقها الله حقيقة من حقائق التاريخ الواقعية ، دليلا على قدرته ، و تنظيرا لما ينكره الكافرون من أمر البعث و النشور : ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف و الرقيم

كانوا من آياتنا عجبا ﴾ و فى ثنايا هذه القصة ﴿ و كذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق و أن الساعة لا ريب فيها ﴾ .

و جاء أمر البعث مرة ثانية فى هذه السورة حين قررت أن الحق من الله ، و أن كل امرئ مخير فى الإيمان أو الكفر ﴿ و قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر ﴾ فهنالك دار أخرى غير هذه الدار يحاسب فيها كل امرئ ، و يجزى بما يستحقه ﴿ إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ﴾ و للذين آمنوا و عملوا الصالحات ﴿ جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار ﴾ .

و جاء أمر البعث فى المثل الذى ضربه الله للناس عن صاحب الجنتين و زميله ، و ما كان من إنكاره قدرة الله ، و شكه فى الساعة ، و نصح صاحبه له ، و تبرئه منه ، و أن الله قد أحال الجنتين صعيدا زلقا ، و حينئذ تنبه الكافر فقال : ﴿ يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا ﴾ .

و جاء فى السورة أيضا إشارة إلى قصة آدم و إبليس ، حيث طلب الله من الثانى أن يسجد للأول فأبى ، فتقررت بينهما العداوة منذ ذلك اليوم إلى أبد الدهر ، و حذر الله أبناء آدم من أن يتخذوا الشيطان و ذريته أولياء من دونه مع هذه العداوة المتأصلة ، ثم ذكر لهم أمرا من أمور الآخرة — بعد هذا التحذير من اتخاذ الأولياء أو الشركاء — حيث ينادى الشركاء فلا يجيبون ، و يستجار بهم فلا يجيرون ، و تبرز الجحيم فيراها المجرمون ، و يظنون أنهم مواقعوها و لا يجدون عنها مصرفا .

و فى هذا الأسلوب جمع بين المبدأ و المعاد ، وضع لقضية الخلق

و البعث مقترنتين بين يدى العقل ، ليدرك الإنسان أنه منذ أول نشأته هدف لعدو مبين ، يحاول إضلاله و لفته عن الطريق المستقيم حسدا له و انتقاما منه .

و جاء فى هذه السورة أيضا – مما يتصل ببراهين البعث – قصة موسى و فتاه و العبد الصالح ، و هى قصة عظيمة حافلة بالفوائد و المعانى الجليلة . و فيها يساق الحديث على نحو يشعر معه كل سامع شعورا قويا بأن لله علما فوق علم الناس ، و تصريفا للكون على سنن منها ما هو معروف و منها ما هو خفى .

و جاءت السورة أيضا – بعد هذه القصة – بقصة أخرى عن عبد مكن الله له فى الأرض ، و أتاه من كل شىء سببا ، حيث سخر له العلم و القوة و الآلات و المواصل و أسبابا أخرى كثيرة ، ذلك هو « ذو القرنين » . فنجد هذه القصة قد انتهت إلى أمر البعث و الدار الآخرة و ما فيها ، و تخلصت إليه فى براعة و قوة ، مذكرة به ، منذرة ما هنالك من الأهوال و الشدائد .

ثم تأخذ السورة بعد ذلك فى تهديد الكافرين الذين اتخذوا من دون الله أولياء و ما أعد لهم ، و توازن هؤلاء جميعا بالذين آمنوا و عملوا الصالحات و أما أعد لهم ، و يأتى ختامها بعد إثبات القدرة و العظمة لله .

بهذا يتجلى للناظر فى السورة أنها منتظمة النسق ، مطردة السياق ، واضحة الغرض ، قوية الأسلوب ، متماسكة فى أولها و آخرها و أثنائها ، يجول فيها معنى واحد تلتقى عليه الآيات و الأمثال و القصص و الوعد

والوعيد والتذكير والبيان، ولذلك يقول الله عز وجل فى آية من آياتها: ﴿ ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ﴾.

* * * *

الدعوة إلى العمل:

هى سنة الله، وطبيعة العمران، حاجة من عاش لا تنقضى، ولا ثمرة إلا بكد، ولن تنبت الشجرة وتؤتى أكلها حتى تتهيأ لها الأسباب الطبيعية التى قدرها الله، ومما هو معلوم لكل عاقل وجاهل أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة.

لذلك دعا القرآن إلى السعى فى الأرض، وإلى الأخذ فى أسباب الكسب، وحذر من التوانى والكسل حتى لا يهلك الناس جوعا وظمئا.

نظرية الامانة : الامانة فى الاسلام

* * * *

بقلم :
سماحة الأستاذ الشيخ قاضى
زين العابدين ، رئيس القسم
الدينى بالجامعة الملية ، وعضو
مجلس الشورى لدار العلوم
بديوبند

*

تعريب :
نور الحق القاسمى

- معنى الأمانة فى الحرف و الاصطلاح
- المدلول العام للامانة فى القرآن
- المدلول العام للامانة فى الأحاديث
- تقسيمات الأمانة
- الحقوق و الواجبات و المسؤليات
- مفهوم الخيانة
- أهمية الأمانة فى الإسلام
- تأثير الأمانة على الحياة الاجتماعية
- حال المسلمين و اللامبالاة بالأمانة

(ه ه ه)

حامدا و مصليا و مسلما

الأمانة تطلق فى العرف على ما يودعه المالك شخصا آخر من المال و غيره ليحفظه و يؤديه إليه عند الحاجة أو الطلب بعينه، وإن المحافظة على الأمانة و ردها إلى أهلها من أهم مسؤلية أخلاقيـــة . تعد من الفضائل الإنسانية عند جميع الملل و النحل .

و أما فى اصطلاح الشريعة فنطاقها واسع جدا ! كل حق يجب على الإنسان بأى اعتبار كان تطلق عليه الأمانة ، و هى بالنظر إلى أهلها تنقسم إلى أقسام كثيرة تستوعب جميع نواحى الحياة الإنسانية .

و منها ثلاثة أقسام كبيرة بالنسبة إلى صاحب الحق : (١) الحقوق التى تجب على العباد من قبل الله تعالى، كالصلاة ، و الصوم ، و الحج و غيره. (٢) الحقوق التى تجب على الانسان للمخلوق ، كاعانة الفقراء و المساكين . و مساعدة المظلومين و المستضعفين ، و حسن معاملة ذوى الرحم و الأقربين . (٣) الحقوق التى تجب عليه لنفسه ، كطلب العلم ، و المحافظة على الصحة ، و كسب الحلال و غيره . و قد ورد فى الحديث عن هذا القسم الثالث : « فان لنفسك عليك حقا[١] » .

و هذه القسمة بالنظر إلى صاحب الحق ، و أما بالنسبة لنوعية الحق فتقسم هذه الأقسام إلى أقسام أخرى كثيرة ، فيمكن مثلا أن تقسم حقوق الله على النحو الآتى : (١) حقوق الله التى تتعلق بالعباد (٢) الحقوق التى تجـــب فى أموالهم (٣) الحقوق التى تجـب

(١) الجامع الصحيح للبخارى .

لأولادهم و غيرهم من الأقربين . و هكذا يمكن تقسيم حقوق العباد إلى أنواع كثيرة متفرعة بالنسبة إلى صاحب الحق ، كحقوق الوالدين ، و حقوق الأولاد ، و حقوق الزوجين ، و حقوق الأساتذة و الطلبة ، و حقوق الحيوانات . و بالنظر إلى نوعيته : كالحقوق المتعلقة بالعلم و الموعظة ، و الحقوق المتعلقة بالإكرام و الإحسان ، و الحقوق المتعلقة بالخدمة و المواساة . و كذلك تقسم الحقوق التى تتعلق بالنفس إلى أقسام عديدة .

و جملة القول أنه إذ أمعن النظر فى ذات الإنسان علم أن كل عضو من أعضائه مربوط بسلسة من الحقوق و الواجبات ، و حياة الإنسان كلها محصورة بها . و لقد قرر القرآن الكريم جميع هذه الحقوق و المسؤليات - التى هى بالنسبة إلى الغير حقوق و بالنسبة إلى النفس مسؤلية - أمانة و أوجب أداءها على الإنسان ، فقد قال الله سبحانه و تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها و إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا ﴾[1] .

" و سبب نزول هذه الآية - بناء على الأحاديث الصحيحة - أنه لما فتح رسول الله صلى الله عليه و سلم مكة فى العام الثامن من الهجرة دعا عثمان ابن طلحة الشيبى ، فلما أتاه قال « أرنى المفتاح » فلما بسط يده إليه قام إليه العباس رضى الله عنه و قال : يا رسول الله - بأبى أنت و أمى ! اجمع لنا الحجابة مع السقاية ! فكف عثمان يده ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أرنى المفتاح يا عثمان ! فقال : هاك أمانة الله ! فقام رسول الله صلى الله

---

(۱) سورة النساء .

عليه وسلم وفتح باب الكعبة فدخل البيت فخرج وهو يتلو: ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ فدعا عثمان ودفع إليه المفتاح وأمر بأن الحجابة فى أولاده أبدا، فصارت الحجابة فى نسله إلى اليوم، وصار ذلك سببا لاسلامه"[1].

بالنظر إلى التفصيل المذكور يكون الدين كله أمانة، لأن الشريعة الإسلامية إنما هى اسم لمجموعة حقوق الله وحقوق العباد وحقوق النفس، ولا معنى للاسلام سوى أن يخضع العبد لأوامر الله فى كل مرحلة من مراحل الحياة، وأن يقوم بجميع الواجبات والمسؤليات التى ألقيت عليه. وفى هذا المعنى قال تعالى ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما ﴾[2].

وإنما فسر الشاه عبد القادر الدهلوى رحمه الله الأمانة بأنها هو الدين والشريعة، وقد عبر عنها بأمر من أوامر الله، كما تؤيد ذلك الأحاديث النبوية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»[3].

وعن عبد الله بن مسعود ما مفهومه: أن الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، وأن أهم الأمور فى هذا الباب هو أمر الودائع؛ ويقول

---

(1) ملخص من تفسير ابن كثير ج 1 سورة النساء طبع البابي بمصر (2) سورة الأحزاب (3) رواه أحمد عن أنس فى مسنده.

الراوی : إنی حکیت روایة ابن مسعود لبراء بن عازب فقال : صدق ابن مسعود! ثم تلا الآیة المذکورة ﴿ إن الله یأمرکم أن تؤدوا الأمانات إلی أهلها ﴾[1].

و قد أوغل الصوفیة فی هذا الباب ، فیقولون : إن الوجود و متعلقاته و جمیع المواهب التی توجد فی غیر الله لیست له ذاتیة ، بل إنما هی مستعارة من وجود الله و أمانة من أمانات الخالق عند مخلوقه ، و مقتضی الآیة ﴿ إن الله یأمرکم أن تؤدوا الأمانات إلی أهلها ﴾ أن ترد هذه الأمانات إلی أهلها بحیث یشعر الإنسان بأنه لا یملك شیئا منها علی الإطلاق ، و أن وجوده و ما یتعلق به من صفات کلها أمانة الله ، کمثل ملك ینعم علی کناسه بتولیة منصب الإمارة لمصلحة فیجب علیه أن لا یحسبه حقه و إنما یعده حق المالك ، و حینما تعتری هذه الکیفیة علی الصوفی یظن نفسه معدوما و خالیا عن جمیع الفضائل و الکمالات ، و تسمی هذه الکیفیة فی اصطلاحهم « مرتبة الفناء » ثم تأتی علیه مرحلة یفارقه هذا الإحساس أیضا ، و یقال لهذه المرتبة « مرتبة فناء البقاء » ثم تأتی مرحلة یحسب فیها نفسه موجودا بوجود مستعار من الله و یجدها متصفة بصفات متعلقة بذات الله ، و هذه هی « مرتبة البقاء » و هذه هی المرتبة التی ورد عنها فی الحدیث القدسی : « کنت سمعه الذی یسمع به و بصره الذی یبصر به - الحدیث » .

و هذه المرتبة التی عبر عنها بمرتبة « أداء الأمانة » .

ضد الأمانة الخیانة ، عم استعمالها فی الکتاب و السنة فی الإلحاد

---

(1) مسند أحمد و غیره .

و اللادينية ، و الفسق و النفاق ، و هى محيطة بجميع نواحى الحياة الانسانية أيضا .

و الآن أذكر أمثلة و نماذج من استعمالاتها من الكتاب و السنة توضح ما أسلفته بالذكر ، و يعلم أنه كم من أمور مهمة و مسؤليات متنوعة كلف بها الإنسان ، و كم من حقوق وجب عليه أداؤها فى كل مرحلة من مراحل الحياة .

الامانة فى القرآن

وردت كلمة « الأمانة » فى ستة مواضع من القرآن : (١) آية سورة الأحزاب ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات و الأرض و الجبال ﴾ الآية . كما أسلفت بالذكر أن الأمانة هنا على أرجح الأقوال بمعنى الدين و الشريعة، و هى تعم جميع المسؤليات التى كلف بها الإنسان بسبب كرامته و كونه خليفة الله فى الأرض ، و هى تتضمن : حقوق الله ، و حقوق العباد ، و حقوق النفس . (٢) آية سورة النساء ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله و الرسول و تخونوا أماناتكم و أنتم تعلمون ﴾ و المراد هنا من خيانة الله و رسوله مخالفة أوامرهما ، كما فسره البيضاوى « بتعطيل الفرائض و السنن » ؛ و المراد من الخيانة فيما بين العباد التكاسل فى حقوق العباد ، كما قال البيضاوى « فيما بينكم » أى الحقوق التى تجب لأحد على الآخر[١] .

و يكتب العلامة رشيد رضا المصرى : « لا تخونوا الله » بتعطيل فرائضه ، أو تعدى حدوده ، أو انتهاك محارمه التى بينها لكم فى كتابه ،

---

(١) تفسير البيضاوى ١/٣١٤ طبع أحمدى بدهلى ـ الهند .

«أو الرسول» بالرغبة عن بيانه لكتاب الله تعالى إلى أهوائكم، أو المخالفة أمره إلى أوامر أمرائكم و ترك سنته إلى سنة أوليائكم بناء على زعمكم أنهم أعلم بمراد الله و رسوله منكم. «و تخونوا أماناتكم» أى و لا تخونوا أمانـاتكم فيما بينكم و بين أوليـاء أموركم من الأمور السياسية و لا سيما الحربية، فيما بينكم بعضكم من بعض من المعاملات المالية و غيرها حتى الاجتماعية و الأدبية[1].

و قد بينت صفـات عديدة للمؤمنين الكاملين فى إيمـانهم فى سورة «المؤمنون» و «المعارج»، منها: ﴿ و الذين هم لأماناتهم و عهدهم راعون ﴾ المراد هنا من الأمانـة كذلك المسؤليات التى تقع على الإنسان من قبل الخالق أو المخلوق. و كذا المراد من العهد العهود التى يعاهد عليها الإنسان ربه و رسوله بعد الإيمان، أو التى يتعاطيها مع الناس فى الشؤن المدينية، كما كتب البيضاوى فى تفسير هذه الآيـة: «و عهدهم» لما يؤتمنون عليه و يعاهدون من جهة الحق أو الحق «راعون» قائمون بحفظها و إصلاحها[2].

و قيـل فى سورة البقرة: ﴿ فليؤدِ الذى ائتمن أمانتـه و ليتق الله ربه ﴾. و يفهم هنا أن الأمانـة لم تستعمل فى معناها الأعم، بل المراد منها الديون التى يجب أداؤها على المديون.

الامانة فى الحديث

١ ـ ذكرت فى الصحيح البخارى رواية تشتمل على الجزئين، جعل الراوى

---

(١) تفسير المنار ٩/٦٤٣ للعلامة رشيد رضا المصرى طبع مصر (٢) التفسير البيضاوى ٢/٩٠.

كلا الجزئين حديثا مستقلا، فيقول: حدثنا رسول الله صلى الله عليه و سلم حديثين رأيت أحدهما و أنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة، و حدثنا عن رفعها؛ قال: «ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى فيها أثرها مثل أثر المجل كجمر دحرجت على رجلك فنفط فتراه منتبرا و ليس فيه شىء، يصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدى الأمانة، فيقال: إن فى بنى فلان رجلا أمينا، و يقال للرجل: ما أعقله و ما أظرفه و ما أجلده، و ما فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، و لقد أتى على زمان و لا أبالى أيكم بايعت؛ لئن كان مسلما رده على الإسلام، و إن كان نصرانيا رده على ساعيه، و أما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانا و فلانا»[1].

فى الجزء الأول من هذا الحديث المبارك أريد بالأمانة «التكليفات الشرعية» التى بث بزرها فى القلوب الإنسانية فى العهد الذى أخذه الله على العباد، و أولج جوهره فى الفطرة الإنسانية. ثم علم تفاصيله من الكتاب و السنة، كان زمن ازدهاره عهد النبى صلى الله عليه و سلم الذى أدركه الراوى بحسن حظه. و يذكر حذيفة رضى الله عنه فى الجزء الثانى آخر عهده أن الأمانة بدأت تنقص، و لم يبق جلاء الجوهر الإيمانى كالسابق لاختلاط جديدى العهد بالإسلام مع غيرهم بعدد كبير

(١) الجامع الصحيح للبخارى ج ٢ باب إذا بقى حثالة من الناس.

نتيجة للفتوحات ، و أخذ الناس يهملون الشريعة فى المعاملات و إن لم يأت الزمن الذى تنبأ به رسول الله صلى الله عليه و سلم أن الأمانة فيه لا تبق أصلا ، و يهمل اقتضاء الإيمان و الديانة فى المعاملات كليا ، و من يكون ذا سمعة عالية فى الأمانـة تكون أمانته شكلية و ظاهرية ، كما يظهر الوكت مملوءا فى الظاهر و لكن لا تكون فيه قطرة دم .

٢ - و عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « إذا ضيعت الأمانـة فانتظر الساعة ! قال : كيف إضاعتها يا رسول الله (صلى الله عليه و سلم) قال : إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة »[1] . المراد هنا من الأمانة المسؤليات المتعلقة بالحكومة ، كما صرح بـه النبى صلى الله عليـه و سلم ، فمن واجبات جماهير الأمة أن يختاروا رجالا صالحين لقيادة الأمة و سيادة الملك ، و على رؤساء الحكومة أن يفوضوا مناصب الحكومة إلى أشخاص أولى بصيرة يقوموا بمسؤلياتهم بالبصيرة و الأمانة . و إن لم يكن الأمر كذلك و يصل زمام القيادة إلى أيدى فاسدة متمردة ذات أغراض نفسية و منافع شخصية فلتنظر الساعة كما تنبأ به النبى صلى الله عليه و سلم .

٣ - عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليـه و سلم : « إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهى أمانة »[2] .

٤ - عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « المجالس بالأمانة ، إلا ثلاثة مجالس : سفك دم حرام ، أو فرج حرام ، أو اقتطاع مال بغير

---

(١) الجامع الصحيح للبخارى (٢) الجامع للترمذى .

حق»[1]. هكذا المراد هنا من الأمانة، الأحاديث السرية التي تجري في مجلس خصوصي. فتجب المحافظة عليها كالأمانة، إلا ثلاثة أقوال: مشورة إضرار النفس، اقتطاع المال، هتك الحرمة، فإنه لا يجوز كتمانها لأن فيه حفاظا على أمر حق الغير.

٥ ـ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المستشار مؤتمن»[2]. سميت المشورة الصحيحة هنا الأمانة، أي إن استشير أحد في أمر فعليه أن يشير عليه بمشورة صحيحة مفيدة، وإن كان يجهل ذلك الأمر فليعتذر.

٦ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»[3].

٧ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «آية المنافق ثلاثة وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»[4].

٨ ـ عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الخازن المسلم الأمين الذي يعطي ما أمر به كاملا موفرا طيبة به نفسه، أحد المتصدقين»[4].

أي إن كان عامل بيت المال لا يعطي من عنده نفسه، ولكن بسبب أنه يؤدي حق المحتاجين كاملا عن رضا النفس والأمانة يؤتى أجره.

---

(١) سنن أبي داود (٢) التاج الجامع ج ٥ (٣) أبو داود والترمذي (٤) الجامع الصحيح للبخاري.

٩ـ عن عبد الرحمن بن أبي قرد أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ يوما فجعل أصحابه يتمسحون بوضوئه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما حملكم على هذا؟ قالوا: حب الله ورسوله! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من سره أن يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله فليصدق حديثه إذا حدث، وليؤد أمانته إذا ائتمن، وليحسن جوار من جاره»[1]. أوضح النبي صلى الله عليه وسلم هنا أنه لايكفي لمؤمن أن يحب النبي صلى الله عليه وسلم عاطفيا وحسب، بل لا بد أن تظهر آثاره على حياته العملية، وأن المؤمن الصادق الذي يحب النبي صلى الله عليه وسلم يجب عليه أن يمتثل أوامره ... فالمراد من الأمانة في الأحاديث الأربعة المذكورة الأمانة المتعلقة بالمعاملات، ولها أيضا في الشريعة أهمية قصوى، لأن الخيانة تسبب فقد ثقة الناس بعضهم ببعض ويختل نظام الحياة الاجتماعية. ثم هي من حقوق العباد وهي لا تغفر بالتوبة حتى يعفو عنها صاحب الحق بنفسه، وبالنظر إلى هذه الأهمية كان النبي صلى الله عليه وسلم يرغب أصحابه إليها مرة بعد مرة.

١٠ـ عن أنس قال: قلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»[2]. ولو أن شراح الحديث أرادوا نفي كمال الدين والإيمان، أي من لم يهتم بالأمانة ولم يعتن بها اعتناء بالغا لم يستكمل إيمانه، ومن لا يراعي العهد ليس إيمانه

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٢) مشكاة المصابيح.

كاملا ، ولكن لاتخفى أهميته بسبب أن النبي صلى الله عليه وسلم داوم على ذكره فى الخطبات . وفى حديث آخر ألقى ضوءه علـى أهميتها كما يأتى :

١١ـ عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خليقة ، وعفة فى طعمة »[1] .. وأخيرا أذكر حديثين يحملان أهمية بصورة خاصة فى الوقت الحاضر :

١٢ـ « أول ما يرفع من الناس الأمانة ، وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة ، ورب مصل لا خلاق له عند الله »[2] .

١٣ـ « أول ما تفقدون من دينكم الأمانة ، وآخر ما تفقدون الصلاة ، وسيصلى قوم لا دين لهم »[3] .

والغرض من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم هذه أن الرسوم الشكليات فقط تبقى بين المسلمين باسم الدين ، وتتلاشى روح الإيمان وحقيقته الأصلية ، تكون المساجد معمورة وتكون قلوب المصلين خالية عن خشية الله ، جباههم تكون متسمة بآثار العبادة ولكن القلوب تخلو عن نور الإيمان ، وعبادتهم الشكلية لا تؤثر على أعمالهم وأخلاقهم . فيا للأسف على أن أحوالنا نحن المسلمين اليوم ، قد تغيرت وفسدت ، وأن أسلوب حياتنا هذا قد أضر الإسلام أكثر مما أضرنا ، كما هو لا يخفى . جعلنا

(١) مشكاة المصابيح (٢) كنز العمال ج ٢ (٣) سنن البيهقى ج ٦ .

حقانية الإسلام مظنا للريب فى أعين الناس ، فينظرون إليه نظرة الارتياب ، فكما أنهم كانوا يدخلون فيه بالنظر إلى حياة أسلافنا الطاهرة صاروا يبعدون عنه بشناعة أعمالنا الفاسدة .

وعصارة القول : ان الأمانة من الناحية الدينية تشابه الدين والإيمان تماما ، باعتبار جميع معانيها ومدلولاتها والاعتناء بها ، وتطبيقها على جميع نواحى الحياة هو جوهر الحياة الإسلامية .

فعلى أولى الأمر أن يؤدوا جميع المسؤليات التى على عواتقهم من حقوق الشعب ، وعلى الجماهير أن يولوا سلطة الحكم جماعة تملك مؤهلات واستعدادا كاملا للقيام بمسؤلياتهم على أحسن وجه ، ويكونون خير أعوان لهم فى الشؤن الملكية والاجتماعية .. وعلى أصحاب المصانع والمعامل أن يراعوا حاجات العمال الحيوية ويوظفوهم بقدر ما يعيشوا به عيشة مرفهة ، وعلى العمال أن يؤدا وظائفهم بالجهد والأمانة ، ويعدوا منافع المستأجرين وخسائرهم منافع وخسائر أنفسهم .. وعلى الأساتذه أن يربوا الطلاب تربية فكرية أخلاقية صحيحة . ويحبوهم كمثل الأولاد وعلى الطلاب أن يحترموا أساتذتهم وينقادوا لأمرهم انقيادا تاما .. وعلى رجال الصحافة والسياسة أن يقودوا الوطن قيادة فكرية وسياسية ، ولا يجعلوا أقلامهم آلة الأجير ، وعلى القراء أن يختاروا موقفا حقيقيا ، ويفرقوا بين سريع السير والقائد .. وعلى الأزواج أن يقوموا بحقوق الزوجات ، وعلى الزوجات أن يكرسن جهدهن فى تعهد أعراض أزواجهن

و أموالهم و أولادهم .. و على الوالدين أن لا يتكاسلا في تربية الأولاد، و على الأولاد أن يقوموا بخدمة الوالدين و إطاعتهما خير قيام .

و الحاصل أن الامانة التي أمر بأدائها الكتاب و السنة مرة بعد مرة تستوعب جميع نواحي الحياة الإنسانية ، و هي سلسلة من مسؤليات ربط بها جميع أعضاء الإنسان . فلو يشعر كل واحد منا بما يجب عليـــه و يوقظ إحساس ، أداء الواجب ، بدل المتافات لطلب الحقوق لتكون الدنيا هادئة مطمئنة .. و هذا هو ما يهدف إليه الإسلام .

* * * *

منتزه القارى

إعداد : عبد الخالق

الصحبة

قيل لإبراهيم بن أدهم : لم لا تصحب النـاس؟ فقال : إن صحبت من هو دونى آذانى بجهله ، و إن صحبت من هو فوق تكبر عـلىّ ، و إن صحبت من هو مثلى حسدنى ، فاشتغلت بمن ليس فى صحبته ملال ، و لا فى وصله انقطاع ، و لا فى الأنس به وحشة .

المـال

قال عمرو بن العاص لمعاويـة : ما أشد حبك للمال ! قال: و لم لا أحبه و أنا أتعبد به مثلك ، و أبتاع به مروءتك و دينك .

و قال بعض الفرس : من زعم أنه لا يحب المال فهو عندى كاذب حتى يثبت صدقه ، و إذا ثبت صدقه فهو عندى أحمق .

و قال يونس : لو أن الدنيـا مملوءة دراهم عـلى كل دراهم مكتوب « من أخذه دخل النار » لأمست و ما على ظهرها درهم يوجد .

و قيل : لما ضربت الدراهم و الدنـانير صرخ إبليس صرخة و جمع أصحابه فقال : قد وجدت ما استغنيت بـه عنكم فى تضليل الناس ، فالأب يقتل ابنه و الإبن يقتل أباه بسببه .

ذو المـال

كان العباس يقول : الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس ، و من الذنب للصر ، و من الجلم للعر ، و هو عندهم أرفع من السماء ، و أعذب من الماء ، و أحلى من الشهد و أذكى من الورد ، خطؤه صواب ، و سيئته حسنة ، و قوله مقبول ، يغشى مجلسه و لا يمل حديثه .

قال الإمام الحافظ أبو زكريا يحيى بن معين البغدادى :

المال يذهب حله و حرامه   طوعا و تبقى فى غد آثامه
ليس التقى بمتق لإلهــــه   حتى يطيب شرابه و طعامه
ويطيب ماتحوى وتكسبه كفه   ويكون فى حسن الحديث كلامه
نطق النبي لنـا به عن ربه   فعلى النبى صلاته و سلامه

أى الأجلين ؟

عن سعيد بن جبير قال : قال يهودى بالكوفة - و أنا أتجهز للحج - إنى أراك رجلا تتبع أهل العلم ، فأخبرنى : أى الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أعلم ، و أنا الآن قادم على حبر العرب - يعنى ابن عباس - فسائله عن ذلك . فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك ، و أخبرته بقول اليهودى ، فقال ابن عباس : قضى أكثرهما و أطيبهما ، إن النبى إذا وعد لم يخلف . قال سعيد : فقدمت العراق ، فلقيت اليهودى فأخبرته ، فقال : صدق و ما أنزل على موسى ! هذا والله العالم .

مفاخرة فى الخـير

تفاخرت الأوس و الخزرج ، فقالت الأوس : لنا غسيل الملائكة حنظلة

الراهب، و منا عاصم الأفلح الذى حمت لحمه الدبر، و منا ذو الشهادتين خذيمة بن ثابت، و منا الذى اهتز عرش الرحمان لموته سعد بن معاذ . فقالت الخزرج: منا أربعة قرؤا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يقرأ غيرهم: زيد بن ثابت، و أبو زيد، و معاذ بن جبل، و أبيّ بن كعب سيد القراء، و منا الذى أيده الله بروح القدس حسان ابن ثابت .

رجل إيجابى

كان لثرى مصانع و متاجر أصابتها النار، فأتت عليها، و قدرت الخسائر بالألوف، و كان هذا الثرى فى السنين الأخيرة من عمره، و ليس له قوة الشباب و لا أمل الشباب، و كانت ثروته الضائعة ثروة العمر، و جاءه رجل يواسيه و يسأله عن أسباب الكارثة، فاجابه: لست أفكر فى شيء من ذلك، و إنما يملك على كل فكرى: ماذا أنا صانع غدا .

إلى بيت مال المسلمين

تفقد عمر بن الخطاب يوما إبل الصدقة. فوجد بينها إبلا سمينة، فقال: لمن هذه الإبل الجيدة؟ قيل: لابنك عبد الله! فاستدعاه و قال له: بكم اشتريت هذه الإبل؟ قال: بكذا! قال عمر: لك ما اشتريت به، أما الإبل فهى لبيت المال . قال عبد الله: و كيف ذلك؟ فقال عمر: إنهم يقولون: هذه إبل ابن أمير المؤمنين فارعوها! هذه إبل ابن أمير المؤمنين فاسقوها! هذه إبل ابن أمير المؤمنين فلا تهيجوها! لك ما اشتريت به ثم هى لبيت مال المسلمين .

أنفع الناس لك

أنفع الناس لك : رجل مكنك من نفسه حتى تزرع فيه خيرا أو تصنع إليه معروفا ، فانه نعم العون لك على منفعتك و كمالك ، فانتفاعك به فى الحقيقة مثل انتفاعه بك أو أكثر . و أضر الناس عليك : من مكن نفسه منك حتى تعصى الله فيه ، فانه عون لك على مضرتك و نقصك .

هـذا سلاحهم

كان لنساء بنى إسرائيل فى القديم عادة شاذة يستعملنها فى العراك ، فكانت الواحدة منهن إذا رأت رجلا يشتجر مع أخيها أو زوجها أوابنها تهب لنجدته ، فتهجم على خصمها ، و تقبض بيدها فى ضغط على خصيتيه حتى يهلك أو يستسلم ؟ فجاءت الحادية عشرة من الإصحاح الخامس و العشرين فى سفر التثنية عندهم تنهاهم عن ذلك و تقول :

« إذا تخاصم رجلان ، بعضهما بعضا ، رجل و أخوه ، و تقدمت امرأة أحدهما لكى تخلص رجلها من يد ضاربه ، و مدت يدها ، و أمسكت بعورته : فاقطع يدها ، و لا تشفق عينك » .

كـذلك كنـتم

قدم حماد بن جميل من فارس ، فأتى آل المهلب فى حق لهم ، و عليه جبة وشى ، فنظر إليه يزيد بن المنجاب و قال : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ﴾ فقال حماد : ﴿ كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم ﴾ .

حروف القرآن

قال أبو عبيدة : القرآن علـى عشرة أحرف : حلال ، و حرام ، و محكم و متشابه ، و عظة ، و أمثال ، و بشير ، و نذير ، و أخبار الأولين ، و أخبار الآخرين .

الإيمان

سأل رجل الحسن البصرى : أمؤمن أنت ؟ فقال : إن كنت تريد قول الله تعالى ﴿ آمنا بالله و ما أنزل إلينا ﴾ فنعم ، به نتناكح ، و نتوارث و نحقن الدماء ، و إن كنت تريد قول الله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ فنسأل الله أن نكون منهم .

***

يقول على محمد حسن العمارى :

إنى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا فى يومه إلا قال فى غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ... ! فهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

* * * *

قيل لبعض الحكماء : متى يكون الأدب شرا من عدمه؟ قال : إذا كثر الأدب ونقص العقل . وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله . ويقال : من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حتفه فى أغلب خصال الخير عليه . قال شاعر :

رأيت اللسان على أهله إذا ساسه الجهل ليثا مغيرا

الحركة الاستغلالية للمراكز التبشيرية

الأستاذ أبو بكر الغازيبوري،
المجاز من دار العلوم بديوبند
والمدرس في الجامعة الإسلامية
بدابهيل - غجرات

- طريقة اقتناص المبشرين للشباب إليه
- نظام المراكز التبشيرية
- مجاراة المراكز للبلاد التي تقام فيها
- طريقة التأثير و وسائل التبشير
- توذيع نشرات و دروس خاصة مجانا
- إعطاء الشهادات و التوظيف بعد إتمام دراسات المراكز التبشيرية

دعوة الحق

أحاول منذ زمن قريب أن أتعلم اللغة الإنجليزية التى أصبحت أوسع اللغات انتشارا، وأطولها باعا وأخصبها علوما بعد الفرنسية والعربية (١) وقد احتلت اليوم محل الصدارة من بين لغات العالم. أتعلمها رغبة فى توسيع مطالعتى و إنماء دراستى، و الاطلاع على المصادر الأجنبية العلمية و الدينية، و حرصا فى معرفة ما يكتبه الغربيون و المستشرقون عن الإسلام بصفة خاصة، فأصل هذه إلى المصادر شخصيا و أنتفع بها بغير واسطة. فأحرص كثيرا فى الاتصال بالمراكز التبشيرية العاملة المنتشرة فى مختلف بلاد الهند بالمكاتبة أحيانا و باللقاءات الشخصية طورا، و أقتنص كل فرصة أراها عونا فى مطلبى هذا، و أقتنى من هذه المراكز الكتب الدينية أدرس ما يكتبون عن الإسلام بوجه خاص، و أطلع على السموم التى يبثونها بين أولادنا وشبابنا عن طريق هذه الآداب و المنشورات فى أسلوب معسول يتدرجون به إلى عقولهم و أفكارهم، و يسيطرون على آرائهم و مداركهم، و يغيرون على دياناتهم و عقائدهم، و ينحونهم عن أخلاقهم و آدابهم بإيجاد الشكوك و الشبهات مرة و بالطعن فى تعاليمها و مبادئها أخرى، و مرة بالقول أن العلوم الحديثة و البحوث العصرية المبتكرة و الاكتشافات الجديدة المتلاحقة قد هيأت دليلا و برهانا على أن الإسلام قد هرم و شاخ، و لم يعد صالحا لأن يجارى هذا العصر المتقدم و النهضات التى نتجت من هذه البحوث و الاكتشافات و العلوم و الآداب فقد انقضى دهرها و ولت أيامها أدبارها

---

(١) كتبت هذه المقالة حين إقامتى بمدينة غازيبور.

فلابد للإسلام أن ينطبع بالطابع الجديد، و يفسح المجال للتحول و التغير، و يتسع لهذه العلوم و الاكتشافات حتى يمكنه المسايرة لعصرنا هذا الراقي، ولابد لأبنائه أن يتخلوا من عقائدهم البالية و تقاليدهم التالدة، و يجردوا أذهانهم من الأفكار العتيقة و الأدب المنقرض عهدها، ليستطيعوا المجاراة للأمم الراقية الناهضة.

يتأثرون بذلك أبناؤنا و شبابنا شاعرين أو غير شاعرين، فيبتعدون رويدا رويدا عن دينهم، و يكفرون به آخر الأمر بتاتا، و يعودون أشد عداوة و ضراوة و ثورة عليه.

و في ترددي الكثير إلى هذه المراكز التبشيرية و ما لي معهم من الاجتماعات و الزيارات اطلعت على أعمالهم و جهودهم و روائع خدماتهم، و جدهم و نشاطهم في تأدية واجبهم و القيام بوظيفتهم، و تحقيق مشروعهم و ما لهم من شعور عميق بمسؤليتهم، و ما لهم من مساعي جبارة في نشر أحابيلهم و نصب شبكاتهم لاقتناص الشباب المثقفين و الهجوم على عقيدتهم ودينهم وإيمانهم و قرآنهم بكل لباقة وحيطة، و ما يبذلون من أموال طائلة للحصول على مرامهم و تحقيق غرضهم و إنجاح مشروعهم الهدام، وكيف يلقون الزائر لهم متظاهرين بالأخلاق الدمثة فاتحين قلوبهم للقادم مع حسن الوفادة و الاحترام و لو كانت شخصيته حقيرة وذليلة و مهما له مكانة منحطة في المجتمع و البيئة التي يعيش فيها، فلا يرجع هذا الزائر عنهم إلا و هو متأثر بأخلاقهم غاية التأثر، و قد ألقوا في قلبه بذرة مرجوة تأتي بأكلها في حين و آن، و تتسع دائرة الأحبولة المحوكة ضد شباب الشرق و الإسلام.

اطلعت على كل ذلك من كتب ، و درست أعمالهم و نظامهم المحكم بامعان ، و عرفت نظام التبشير القائم على أس متين ، و ما يلاقى حيرة و استجابا و تأثرت بذلك نفسي تأثرا قويا هو إخلاص القائمين بالأعمال ، و تفانيهم فى أدائها ، و حبهم لمشروعهم ، و احتمالهم على المكاره صابرين راضين متجلدين . أعرف بعضهم لم يزر بلاده منذ أمد بعيد ، و ما لقى أسرته منذ زمن طويل إلا هو مثابر على ما نيط به من العمل ، و ما اضطره شوقه إلى زيارة الأسرة و الأهل إلى رفض الوظيفـــة و النكوص عن العمل .

يعيش المبشرون فى البلد أجنبي مدة كبيرة ، يتقنون لغته ، و يختلطون بأهله ، و يتشربون آدابهم و عاداتهم ، و يعرفون أخلاقهم و تقاليدهم ، و يتحدثون بلغتهم كأحد أبنائه .

زرت مرة فى مدينتى « غازيبور » مركزها التبشيرى للاجتماع بقسيسه الذى كان يشرف على هذا المركز ، فلم أجده و لقيت هنالك قسيسا آخر عرفت من بعد أن أصله من انجلترا ، تكلمت مع هذا القسيس و بدأت كلامى بالانجليزية المتكسرة ظنا منى أنه لا يعرف غير هذه اللغة ، و قد بهت عند ما وجدت منه الرد بالهندية الفصحة ! و ما نطق هذا الرجل بكلمة واحدة من لغته أثناء كلامه مع محاولتى الكثيرة أن ألجئه على الكلام بالأردية أو بالانجليزية ، فانى برغم أن أعيش فى الهند ولدت فيها و غذيت من غذائها و أعيش بين إبنائها لا أفهم هذه اللغة – اللغة الهندية الرسمية – و لا أستطيع أن أتكلم بها مطلقا .

كنت أتكلم مع هـذا الرجل وكنا نتدرج من موضوع على موضوع، وكان فى ذهنى شئ يدور، وكانت خواطر النفس قد قذفتنى إلى بعيد فى عالم التصور، وقد أصبحت غريقا فى بحر الدهشة لما سمعت من نفس الرجل يقول إنه يسكن فى الهند من مدة تربو على خمس وعشرين سنة، ولم يزر فى هذه المدة الطويلة مرة واحدة أهله و بلاده.

و قد أطلعنى على بعض الأعمال البنائية الحيوية التى تقوم بها الجاليات التبشيرية فى الهند من إنشاء المستشفيات و المدارس و المطابع و المكاتب و إسعاف المنكوبين و المظلومين، و إيواء اليتامى و المحرومين ما أورث فى نفسى الحيرة و الغبطة.

و أشهد نفسى أن أولاد المسلمين و غير المسلمين يؤمون المدارس التبشيرية إعتقادا منهم بأن دراستها أحسن من أية مدرسة أخرى، و أساتذتها أكثر و أشد اهتماما بهم و إشفاقا عليهم من أساتذة مدارسنا وكلياتنا. عرفت إحصائيات هذه المدارس و تكاليفها السنوية الضخمة ما بعث فىّ حيرة و استغرابا، و أن هذه الأموال الطائلة الباهظة الثقيلة تأتيهم من بلادهم من المؤسسات و الهيئات التى أنشئت لتوسيع نطاق الديانة المسيحية و الأدب المسيحى.

زوروا بلاد الشرق، زوروا الهند و باكستان، زوروا مصر و إيران، سيروا فى آسيا و إفريقيا: تجدوا فى جميعها آثار التبشير ملموسة ظاهرة، تشهدون فيها معالمها و علائمها، يقيمون المدارس و الكليات، و ينشؤن المستشفيات، لهم مطابع و جرائد ومجلات يكتبون و ينشرون و يرسلون

إلى طالبيها مجانا، يرتحلون من بلاد إلى بلاد ، و من مدينة إلى مدينة يشقون الجبال و يقطعون الوديان ، و يصلون إلى أناس و أقوام لا يزالون بعيدين حتى اليوم من المدنية و الحضارة ، و يمكثون بين أظهرهم طويلا و يسكنون معهم حقبا طويلا ، يتعلمون لغاتهم و يتقنونها ، و يشربون أخلاقهم و آدابهم ، و يمتزجون بينهم امتزاجا ، و يتدرجون إلى بواطنهم و عواطفهم إلى أن يتسلطوا عليهم بآدابهم و أخلاقهم ، و تنجح فيهم حيلتهم ، ويتحقق مطلوبهم .

رأيت إعلانا من مركز تبشيرى بلكناؤ :

« إن مركزنا قد طبع دروسا للاناجيل فى أقساط و هى ترسل إلى طالبها مجانا ، فمن تعلم هذه الدروس و أتم منهجها فالمركز يعطى له شهادة يمكن بها التوظف فى دوائرنا »

قرأت هذا الاعلان و قد حدثتنى نفسى أن لهؤلاء حقا أن يعيشوا و ينجحوا و يحتلوا مكانة الصدارة من بين الأمم و الأقوام ، ويتسيطروا على العقول و الأفهام .

قلت فى نفسى : أين الغيرة الإسلامية و الحمية الدينية ، غيرة الشرق ، غيرة العرب ، غيرة أبناء الإسلام ، غيرة الدول العربية التى أفاض الله على أرضها منابع الثروة و المال و فجرت لها أنهار الزيت و السوائل ؟! أين الغيرة الإسلامية من هذه الغيرة و من هذه الحمية ؟! و أين جهدهم فى نشر الدعوة الإسلامية من هذا الجهد البالغ و هذه الأعمال الرائعة و هذه الخدمات الجليلة التى تقوم بها الجاليات التبشيرية التى نصبت شبكتها فى الشرق و الغرب و الدانى و القاصى .... ؟

أتساءل: هل اهتمت الدول الإسلامية بهذه الناحية من مهمتها وهى أكبر مهمة وأعظمها شانا وخطورة من بين مهماتها، وأسمى فريضة من فرائضها، وهى أولى مسؤلية من مسؤلياتها!

قولوا بالله هل اهتمت دولنا - التى تعتزى إلى الإسلام وتدعى الإيمان والتى من فرائضها الدعوة والتبليغ - بهذه المهمة وبهذه المسؤلية؟! وعملت عملا مجديا وعملا مثمرا؟! هل جعلت هذه الفريضة والقيام بها من هواياتها؟! فما لنا إذا كنا عبيدا أذلاء، خائرين، ساقطين، متخلفين، مغلوبين، منهزمين.

فيا أمة الإسلام! مهلا من بذخكم وترفكم، مهلا من إسرافكم فى أموركم، وجناية على نفوسكم، مهلا من تجميل الأثاث والبيوت، وتزيين المبانى والأوانى، مهلا من جمع متعات العيش ولذائذ النفس، فلم يبق الآن لكل ذلك وقت، الوقت خطير، والعمل كبير. وإذا انفلتت هذه الفرصة السانحة لا ترتد أبدا؛ فهل من معتبر؟ وهل من مدكر؟ وما يذكر إلا أولو الأبصار.

* * * *

الاجرام الفلكية تشهد بوجود خالق الكائنات

الأستاذ صالح القعيطى

دلائل نيوتن بوجود خالق الكائنات

هو أكبر علماء الفلك فى عصره من الإنجليز، جعل قاعدة فلسفته النظر فى خواص المادة، و استنتج من ذلك عقيدة وجود الخالق و معرفة صفاته. لما اشتهر نيوتن ببعد النظر و قوة الإقناع سأله الناس أن يؤتيهم بدليل على وجود الخالق يكون فى درجة المحسوسات، فأجابهم قائلا :

لا تشكوا فى وجود الخالق، فانه مما لا يعقل أن تكون الضرورة وحدها هى قائدة الوجود، لأن ضرورة عمياء متجانسة فى كل مكان و فى كل زمان لا يتصور أن يصدر منها هذا التنوع فى الكائنات، و لا هذا الوجود كله بما فيه من ترتيب أجزائه و تناسبها مع تغيرات الأزمنة و الأمكنة، بل إن كل هذا لا يعقل أن كان يصدر إلا من كائن أولى له حكمة و إرادة.

و قبل أن نذكر لك براهين نيوتن استحسنا ذكر بعض الأشياء المتعلقة بالسماوات و الأرض، و بعض النواميس الطبيعية كالجاذبية و غيرها، ليسهل على القراء فهم براهين نيوتن، لأنها متوقفه على معرفة الطبيعيات و الفلك، لأن كثيرا من علمائنا يجهلون الطبيعيات و علم الفلك، فتفيدهم المعلومات الآتية لفهم الحجج الدامغة التى ذكرها نيوتن لإثبات الخالق بالدلائل الحسية .

اعلم أن سائر الأجرام السماوية كالكواكب و السيارات تدور بمقتضى مبدأ ثابت، هو سبب انتظام العوالم الشمسية و الأرضية فى حركاتها العلوية و السفلية . و قد هتك حجاب هذا الناموس العظيم العلامة نيوتن، فقرر أن سائر الأجسام ذات الوزن تتجه إلى مركز الأرض، كذلك الأجسام العلوية التى يتألف منها النظام الشمسى تميل باتجاه عام إلى نحو الشمس، فالأرض تجذب إليها جميع الأشياء بقوة الجذب، و هى علة سقوط الأجسام نحوها، و تنجذب نحو أجرام أخرى . و كذلك الشمس تجذب إليها جميع الأجرام السماوية التى يتألف منها النظام الشمسى . و هذه الخاصية تسمى بالجاذبية العامة، و لكن لو كانت هناك القوة الجاذبة وحدها لدنت جميع الأجسام من الشمس و سقطت فيها، فتبين لنيوتن بعد البحث أن هناك قوتين إحداهما «القوة الجاذبة» و هى التى تجذب الكواكب نحو الشمس، و الأخرى تسمى «القوة الدافعة» و هى التى تدفع الأجسام أو الكواكب عن الشمس، و تسمى «القوة الطاردة

عن المركز » أو « قوة التباعد عن المركز » فاذا كانت القوتان متعادلتين فانهما تتكافآن و تبقى الأجرام حافظة لمواقعها فى الفضاء بالنسبة للشمس . فأرضنا كرة معلقة فى الفضاء ، و هكذا الشمس و القمر و سائر الكواكب ، و تبقى هذه الأجسام معلقة فى الفضاء بقوة الجذب و الدفع ، فالأرض تجذب الشمس ، و بقية الكواكب و الشمس تجذب الأرض ، فيجذب بعضها بعضا كأنها مرتبطة بحبال ، و قد وضعها البارئ سبحانه و تعالى على أبعاد متناسبة بحيث يكون تجاذبها واسطة لتوازنها .

و قانون الجذب العام الذى قرره هذا العالم هو أن الأجسام تتجاذب تجاذبا طرديا بالنسبة لأحجامها ، و عكسيا بالنسبة لمربع المسافة بينها ، و بمقتضى هذا الناموس تدور حول الشمس الكواكب التسعة و هى : عطارد ، الزهرة ، الأرض ، المريخ ، المشترى ، زحل ، أورانوس ، نبتون ، و بلوتو ؛ و حول كل من هذه السيارات تدور نجوم صغرى تدعى بالنجيمات ، و كلها خاضعة لناموس الجاذبية ، و للارض منها نجمة و هو « القمر » .

و الآن أشرح لك حجج نيوتن فى إثبات الخالق بالبراهين الحسية ؛ قال نيوتن : « من المحقق أن الحركات الحالية للكواكب لا يمكن أن تنشأ من مجرد فعل الجاذبية العامة ، لأن هذه القوة تدفع الكواكب نحو الشمس ، فيجب لأجل أن تدور هذه الكواكب حول الشمس أن توجد يد إلهية تدفعها على الخط المماس لمدارتها » . ثم قال : « من الجلى الواضح بأنه لا يوجد أى سبب طبيعى استطاع أن يوجه جميع الكواكب و توابعها

للدوران فى جهة واحدة و على مستوى واحد بدون حدوث أى تغير يذكر، فالنظر لهذا الترتيب يدل على وجود حكمة سيطرت عليه . ثم إنه لا يوجد سبب طبيعى استطاع أن يعطى هذه الكواكب و توابعها هذه الدرجات من السرعة المتناسبة تناسبا دقيقا مع مسافتها بالنسبة للشمس و لمراكز الحركة تلك الدرجات الضرورية : لأن تتحرك هذه الأجرام على مدارات ذات مركز واحد مشترك بين جميعها ، فلأجل تكوين هذا النظام مع جميع حركاته يجب وجود سبب عرف هذه المواد ، و قارن بين كميات المادة الموجودة فى الأجرام السماوية المختلفة ، و أدرك ما يجب أن يصدر منها القوة الجاذبة و قدر المسافات المختلفة بين الكواكب و الشمس و بين توابعها و زحل و المشترى و الأرض ، و قدر السرعة التى يمكن أن تدور بها هذه الكواكب و توابعها حول أجسام تصلح أن تكون مراكز لها . إذن فمقارنة هذه الأشياء و التوفيق بينها و جعلها نظاما يشمل على هذه الاختلافات بين أجزائه كل هذا يشهد بوجوب وجود سبب ليس بأعمى و لا بحادث ، بل ذات علم راسخ بالميكانيكا و الهندسة » .

ثم قال : « ليس هذا كل ما فى هذه المسألة فانه ضرورى أيضا ، سواء لإدارة هذه الأجرام على بعضها و هو الأمر الذى لا يمكن أن ينتج من مجرد قوة الجاذبية أو لتحديد وجهة هذه الدورات لتتفق مع دورات الكواكب ، كما يرى ذلك فى الشمس و الكواكب و توابعها ، بينما ذوات الأذناب تدور فى كل وجهة على السواء » .

ثم قال: وغير هذا فى تكون الاجرام السماوية كيف أن الذرات المبعثرة استطاعت أن تنقسم إلى قسمين، القسم المضىء منها انحاز إلى جهة لتكوين الأجرام المضيئة بذاتها، و القسم المعتم تجمع فى جهة أخرى لتكوين الأجرام المعتمة كالكواكب و توابعها! كل هذا لا يعقل حصوله إلا بفعل عقل لا حد له».

* * *

خذوا الحكمة ممن سمعتوها منه، فانه قد يقول الحكمة غير الحكيم، و تكون الرمية من غير الرامى.

ماهو القرآن ؟

علي محمد حسن العماري

القرآن كتاب الله ، ومعجزة خاتم الأنبياء ، أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، وقد جاء موعظة من الله ، وشفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين .

هدى الناس إلى طريق الحق ، وشفى صدورهم مما فيها من عداوات واحن ، وطهر قلوبهم من ضلالات الشرك ، وحماقات الأهواء .

نزل بالحق ، ونطق بالصدق ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ﴾ وتحدث فكان أحسن الحديث : ﴿ ومن أصدق من الله حديثا ﴾ ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ﴾ .

شرع الله فيه من الدين لمحمد عليه الصلاة والسلام ما وصى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ، وأودع فيه من سياسة الدنيا ما يضمن السعادة والأمن والطمأنينة والسلام للمؤمنين .

فيه - كما قال الرسول : « نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ،

ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » .

بين فبلغ الغاية في البيان ، أوجز حيث لا يحمد إلا الإيجاز ، وأطنب فما جاء إلا بالإيجاز . وتحدى فما طمع في الإتيان بمثله أو بأقصر سورة منه إنس ولا جان .. وناجى فسرى مسرى الحياة إلى القلوب ، وأسمع فارتعدت الفرائص ، وتجافت عن المضاجع الجنوب . وعد المؤمنين بالجنان والحور ، وأوعد الكافرين بالويل والثبور ، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور . أيقظ عقولا وأفهاما ، وأخمد أهواء وأوهاما ، وأحيا قلوبا أماتتها الجهالات ، وأنار عقولا أطبقت عليها الظلمات .

وهو في كل ذلك يسوس الغرائز والطبائع سياسة الحكيم الخبير ، ويوجه الميول والنوازع توجيه العالم البصير .

تلاوته راحة النفس ، ومدارسته البهجة والأنس ، والتأمل في معانيه يشيع السكينة في القلوب المضطربة ، ويرفع الشكوك عن الهواجس القلقة ، ويملأ بالرضا واليقين قلوب المخلصين ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ .

أخبار دار العلوم

«غايتنا المنشودة: استرجاع بيت المقدس و حرية شعب فلسطين»

هذه هي الرسالة التي وجهها فضيلة الشيخ مولانا محمد طيب مدير جامعة دار العلوم إلى صاحب السعادة فتحي عبد الحميد المحترم مندوب منظمة تحرير فلسطين في دهلي، ردا على رسالة التهنئة بحلول عيد الأضحى المبارك. و قد شكر السيد فتحي عبد الحميد المحترم في خطابه المطبوع على مساعدات الهند و تأييدها القوي لقضية العرب، فوجه المدير الخطاب إليه ردا و أعرب فيه عن التأييد التام، و أن رجال دار العلوم جميعا معكم في جميع المراحل، و غايتنا المنشودة هي استرجاع القدس، و حرية شعب فلسطين.

نحن نسأل الله العلي الكبير في كل حين أن يعيد القدس و أرض فلسطين المحتلة من براثن الصهيونية المجرمة.

* * *

أطلق سرح طلاب جامعة عليگڈه على طلب فضيلة الشيخ محمد طيب مدير دار العلوم بديوبند

زار فضيلة الشيخ محمد طيب مدير الجامعة رئيسة الوزراء السيدة إندرا غاندي على دعوتها الخاصة، و قد جرى حوار بينهما يتعلق بشتى المسائل الدينية و الوطنية الهامة.

و طالب فضيلة الشيخ السيدة إندرا غاندي باطلاق سراح أسارى من طلاب «جامعة عليگڈه» فقدمت إلى شيخ الجامعة بعضا من العقبات

و العوائق القانونية لإطلاقهم ، فقال الشيخ: يناسب لرئيسة الوزراء أن تتخذ خطوة حاسمة نحو هذا الأمر العظيم .

قال فضيلة الأستاذ مولانا المفتى عتيق الرحمن العثمانى مؤيدا رأى فضيلة الشيخ: إن إطلاق الطلاب يترك أثرا حسنا فى المسلمين ! فاطلقت رئيسة الوزراء طلاب الجامعة تكريما لرأى الشيخ و إجلالا له ، فأرسل برقية شكر إلى السيدة إندرا غاندى و قال فيها : نحن جميع رجال دار العلوم نشكر شكرا قلبيا على هذه الخطوة الحسنة .

٭ ٭ ٭ ٭

دار العلوم تؤيد كاملا قرارات مؤتمر المنظمات الإسلامية العالمية ، أرسل مدير الجامعة من جهتها إلى مسؤلى مؤتمر المنظمات الإسلامية المنعقد أخيرا فى المملكة السعودية برقية التأييد و التهنئة التالية :

« إن قرارات مؤتمر المنظمات الإسلامية العالمية الذى عقدته رابطة العالم الإسلامى ، و لا سيما الاقتراحات التى تتعلق برد القاديانية : تعبر تعبيرا صحيحا صادقا عن العاطفة الإسلامية ، و لها خطورة عظيمة و أهمية كبرى ، و أسأل الله تعالى التوفيق فيما ينتظرنا من مسؤلية مقدسة ، و واجبات عظيمة » .
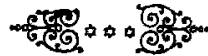
لا تغتروا باقتراحات البعثة الإسلامية البريطانية

قد نشرت فى الجريدة اليومية الموقرة « الجمعية » قبل أيام إجراءات الاجتماع « البعثة الإسلامية البريطانية » زعيمها بالهند « أرشد القادرى » رئيس المبتدعين الضالين فى الهند . فلا شك فى أن هذه البعثة و إجراءاتها لرئاسة الشرك و البدعة . و إخزاء الحق و لإسكات ندائه فى البلاد الإنجليزية .

و قد اطلعنا بخطاب مفصل وصل إلى الجامعة قبل أيام قلائل من «راجديل» البريطانية على أن البعثة الإسلامية للبريطانية و البعثة الإسلامية العالمية كلاهما من مخالفى علماء ديوبند الذين يتمسكون بالكتاب و السنة و يقاومون الحركات البدعية دائما . فاجتماع هذه البعثة البريطانية مضاد لاجتماع كبير عقدته «جمعية علماء بريطانية» بنطاق واسع، اشترك فيه علماء ديوبند و رجال الإرشاد و الدين، فأرسلت إجراءاتها إلى الهند لنشرها فى الجرائد . و قد أقيمت الدعوى الكاذبة على العلامة خالد محمود رئيس جمعية علماء بريطانية .

فنرجو من المسلمين جميعا أن يدعوا لنجاح الحق و سماحة العلامة فى قضيته، و لا يغتروا باقتراحات البعثة البريطانية الإسلامية المشوهة لصورة الإسلام النقية .

اجتماع رجال الجامعة و أساتذتها و طلابها لاصلاح الظروف الحالية فى الهند

لا يخفى على أحد أن الآونة الراهنة صارت عصيبة جدا لجميع شعب الهند، و أن عدة اضطرابات طائفية مختلفة قد حدثت بشكل خطير . و أن أسعار الأشياء قد ارتفعت ارتفاعا فاحشا. و الناس فى صعوبات بالغة الشدة و قلق شديد، و أن الأمن قد ندر و انعدم فى الهند كلها .

و قد اشتعلت أخيرا نار الاضطرابات الدامية فى بلدة «دهلى» عاصمة الهند التى فيها الحكومة المركزية و هيئة واضعى القانون، و إنها أحدثت

أضرارا مادية و أضرارا نفسية ، و أحرقت الأماكن المقدسة و المساجد و دور العبادات ، و دمرت مئات من الدكاكين و المتاجر و المنازل ، و سكانها كانوا على وشك الموت لاعتداء الضباط و البوليس عليهم . فقد تأثرت الجامعة بهذه الأحوال المؤلمة الفاجعة ، و عقد رجالها و أساتذتها اجتماعا كبيرا ، و دعوا الله عز و جل بعد ما ختموا الصحيح للامام البخاري عدة ختمات لإحلال الطمأنينة و السلام فى الهند كلها ، و قيام العدل و إصلاح الأحوال متضرعين إلى الله .

و سألوا الله العلى الكبير أن يزيل المصائب عن المنكوبين المصابين ، و ينصرهم بفضله و كرمه ، و ينقذ هذه البلاد و سكانها من الاضطرابات و الغلاء المذهل .

* * *

برقية تهنئة من الجامعة إلى السيد بهوغنا الوزير الأكبر

بعث فضيلة الشيخ محمد طيب مدير الجامعة إلى السيد بهوغنا بمناسبة انتخابه أكبر الوزراء للولاية الشمالية بالهند و زعيما لحزب المؤتمر الوطنى الإقليمى : برقية التهنئة التالية :

« نحن جميع رجال جامعة دار العلوم نهنئكم تهنئة قلبية بانتخابكم زعيما جديدا لحزب المؤتمر الوطنى ، و كبير الوزراء للولاية الشمالية بالهند ، و نسأل الله العلى العظيم مزيدا من الرقى و الازدهار للولاية » .

الوالدة الرؤفة و السيدة العظيمة فى ذمة الله

فى ليلة الثالث من فبراير ١٩٧٤ م لبت قرينة فضيلة الشيخ مولانا محمد طيب مدير دار العلوم بديوبند دعوة ربها بعد مرض عضال ألم بها

منذ زمن ، و قد وافتها المنية عن عمر يناهز حوالى خمس و سبعين عاما قضتها فى أعمال البر و التقوى و إصلاح و تربية لأسرتها ، حتى ما برحت تودي ما فرض عليها و واجباتها فى حالة المرض و الضعف .

و اشترك فى صلاة الجنازة جميع أساتذة الجامعة و طلابها ، و عدد كبير من العلماء و الرجال الكبار الآخرين . فشيع جثمانها الطاهر ٤ فبراير فى الساعة الحادية عشرة و النصف إلى مثواها الأخير فى المقبرة القاسمية بجوار ضريح الإمام الكبير الشيخ محمد قاسم النانوتوى . تغمدها الله بغفرانه ، و أمطر عليه شآبيب رحمته .

ثم اشتغل جميع رجال الجامعة و أساتذتها و طلابها بعد تلاوة القرآن طول النهار بالدعاء لمغفرة الفقيدة ، كما اشترك فى مجالس الدعاء عدد كبير من العلماء الكبار و الصالحين ، و رجال السياسة ، منهم السيد أسعد المدنى رئيس جمعية علماء الهند ، و سماحة المفتى عتيق الرحمان المحترم ، و الأستاذ محمد ميان ، و المحترم محمد يونس سليم ، و الأستاذ محمد مسلم رئيس تحرير « دعوت » و غيرهم ممن أتوا من الأمصار و القرى القريبة ، و دعوا الله عز و جل للفقيدة بغفران الله و رضوانه .

ثم انعقدت بدار العلوم حفلات التعزية ، عقدها طلبة دار العلوم و أعضاء النادى الأدبى و جمعيات علماء المديريات .

و الفقيدة كانت من أغلى النساء فى هذا الزمن و أتقاهن ، ما زالت تكرس حياتها فى ضيافة العلماء و الطلاب ، و فى أعمال صالحة أخرى . فادارة « دعوة الحق » تقاسم أسرة الفقيدة مصابها ، و تدعو الله لها أن يتغمدها برحمته و غفرانه ، و يسكنها فراديس جنانه .

الاعتذار

تعتذر إدارة « دعوة الحق » إلى الأخ الفاضل عقيل أحمد الميرتهى المتخرج من الدار فى السنة الماضية على أنها نسيت إدراج اسمه فى فهرس الطلاب الممتازين فى قسم الحديث العالى (دورة الحديث) . و تعلن أن الأخ الفاضل عقيل أحمد و الأخ واصف حسين هما طالبان نجحا كلاهما بالدرجة الأولى فى قسم الحديث العالى ، والأخ حبيب الرحمن بالدرجة الثانية ، و الأخ عبد الرؤف و الأخ بركة الله بالدرجة الثالثة .

***

تحت إشراف صاحب الفضيلة الشيخ مولانا محمد طيب رئيس الجامعة

مجلة عربية إسلامية تصدر عن جامعة دار العلوم بديوبند كل ثلاثة أشهر

رئيس التحرير المسؤل :

وحيد الزمان الكيرانوى

المدرس بدار العلوم ـ بديوبند

العدد الثانى / المجلد العاشر

شعبان سنة ١٣٩٤ هـ

أغسطس سنة ١٩٧٤ م

الاشتراك السنوى :

فى الهند : خمس عشرة روبية

فى الخارج : ما يعادلها عدا أجرة البريد

لطلبة المدارس العربية عشر ربيات

طبعت بمطبعة

دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن الهند

فهرس العدد

* * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

دار العلوم ديوبند و فتنة القاديانية

إن الإسلام لا يزال يواجه تحديات من قبل أعداء الله و أولياء الشيطان ، إنه تعرض دائما لمكر الماكرين و كيد الكائدين ، و لكنه بصلابته و رصانة روحه و تعاليمه لم يفقد أى شيء من شوكته و جلالته مهما هبت عليه أعاصير الفتن و المكايد ، كما لم يغبر وجهه المشرق الوضاء بأى غبار أثاره عليه الأعداء ، و إنه خرج من كل معركة ابتلى بها و فتنة افتتن بها واضح المعالم موفور السلامة و الحيوية ؛ فانه بنى على عقيدة أحكم بناؤها و رصص أساسها تستق من توحيد الله و طاعة رسوله و خلود رسالته و ختم نبوته صلى الله عليه و سلم . و لو لا عقيدته الموطدة الراسخة لانهار بناؤه و تهدم صرحه و ذهبت ريحه و غالته يد الدهر و آفاته و فتنه ، كما فعلت ذلك بكثير من الأديان فامحت أسماؤها و آثارها من ذاكرة الناس و بقيت أسطورة تتداولها ألسنتهم كالقصص الغابرة .

إن العقيدة هى ركيزة أساسية لكل أمة أرادت لها البقاء و الاستقلال محتفظة بملامحها الأصيلة و خصائصها الملية ، و كلما ضعفت الأمة و تعرضت لاضمحلال الذات و الشخصية من حيث الفكرة

والدين إذاً لا بد من صيانتها و الاحتفاظ بها من غوائل الدهر التي تظهر في أشكال مزخرفة و دعوات ماكرة و حركات خادعة تمد شبكتها أولا للاغرار من أفراد الأمـة ثم الشباب البسطاء ثم الآخرين من ضعفاء الإيمان .

و إن هذه الحركات الهدامة التي تأتي بفتن مخزية و آفات موبقة لا تظهر في أول أمرها بشكلها الواقعي و صورتها الطبيعية ، و إنما يغطى وجهها المنكود بقناعات كاذبة جذابة ربما يفتتن بهـا البله و الغر من أفراد الأمـة ، فيميلون إليها مخندعين مغترين غير شاعرين بما تخفي من شر و كيد ، و لكن الله لا يترك أمته و بخاصة عباده المؤمنين يتيهوا في متاهات هذه الحركات و يقعوا فريسة لها ، فيخلق من عباده جماعة تغار على دينها و عقيدتها و تتفانى في سبيل الاحتفاظ بفكرتها الأساسية و قاعدتها العقيدية ، تدافع عنها دفاعا مريرا و تحافظ عليها حفاظا قويا ، لا تترك الباطل يسترق الخطا إلى الحق ، و تلك هي الجماعة الصالحة التي عبر عنها القرآن الكريم بحزب الله : ﴿ ألا إن حزب الله هم الغالبون ﴾ .

إن الفتن التي واجهتها الأمة الإسلامية كثيرة لسنا الآن بصدد الإحصاء أو البحث ، و إنما نذكر منها إحدى الفتن الكبرى التي أثيرت في الهند قبل التقسيم لقمع شوكة الإسلام و تشويه صورته و تغيير ملامحه و تبديل معالمه ، و تلك هي فتنة « القاديانية » التي ظهرت في آخر القرن التاسع عشر الميلادي في الهند حين بدأ صراع شديد في ربوعها بين الإسلام و المسيحية ، بين الشرق و الغرب ، فجالت المسيحية بجولة و دارت

دائرتها مستغلة استيلاء الإنكليز على الهند بعد انقضاء الحكم المتولى .
و كان الإنكليز المحتل يبذل أقصى جهوده لدعم أركان حكمه فى الهند و إضعاف قوة المسلمين و إبعادهم عن روح الدين و الثقافة الإسلامية ، فاحتاج إلى أن يخلق له أعوانا و أتباعا مخلصين يمدونه فى محو آثار الحضارة الإسلامية و الروح الدينية و مسخ تعاليم الإسلام و تزويرها حتى يتمكن من إضعاف عقيدة المسلمين و تغيير فكرتهم الإسلامية و القضاء على غيرتهم الدينية ، فكان من جملة خلصانه و أكبر أعوانه « مرزا غلام أحمد القاديانى »[1] الذى وجد الظروف مساعدة و الجو ملائما لكسب ولاء الإنكليز الحكام الجدد الذين أطعموه فى حياة يرتفع فيها شأنه و تتحقق فيها أحلامه و أغراضه الدنيوية .

فكان أول ما ظهر كداع يدعو المسلمين إلى تعاليم الإسلام و يود لهم الخير فى دينهم ، إلا أنه سرعان ما كشف عن وجهه و أزاح النقاب عن أغراضه و بدأ يدعى ادعاءات لا تتطابق مع الإسلام فى شىء ، حتى خرج صريحا على العقيدة الإسلامية المسلمة « ختم النبوة برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم » و تنبأ ، فادعى أنه نبى آخر الزمان ينزل عليه الوحى . فقامت الفتنة القاديانية كحركة دينية تبغى القضاء على الدين باسم الدين ، و تساعدها فى مهمتها الشيطانية الحكومة البريطانية خالقتها و مربيتها الرؤفة .

---

(١) نسبة إلى « قاديان » و هى قرية تقع فى ولاية بنجاب بالهند .

وقد قامت هذه الحركة الزائفة منذ ولادتها على ادعاء النبوة لمرزا غلام أحمد القادياني وإنكار رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، وادعاء أن المرزا هو المسيح الموعود، والإنكار الصريح لختم نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وتزوير القرآن الكريم والتحريف فيه، وإنكار آيات الجهاد وتغيير معالم الدين كليا.

وقد صدرت من المرزا دعاوى عجيبة مضحكة متضادة، ومع ذلك أخذت هذه الحركة تتمادى في غيها وتبث شبكتها ليقع فيها الغر من المسلمين الذين بدأ الإنكليز يبعدونهم عن الإسلام وثقافته وروحه بشتى الوسائل والطرق.

أدرك علماء الهند هذا الخطر الجديد الذي بدأ يهدد عقيدة الإسلام ويتحدى غيرة المسلمين، وقد كانوا في معركة حامية مع الإنكليز يقاومونه في محاولاته الاجرامية ضد الثقافة الإسلامية وخطواته العدوانية للقضاء على شوكة الإسلام وسطوة المسلمين في الهند. وقد قام الشيخ الإمام محمد قاسم النانوتوي ورفقاؤه بتأسيس مركز إسلامي عظيم في ديوبند يكون قاعدة متينة للاسلام، تنطلق منها حملات مؤثرة ضد الأعداء، وتتخرج منها أفواج من جنود الله العلماء الراسخين المبارزين وتلك القاعدة المتينة التي هابها الإنكليز وحسب لها ألف حساب، هي الجامعة الاسلامية المعروفة بـ« دار العلوم » بديوبند التي قامت تخدم الإسلام والمسلمين خدمات جذرية مترامية الأطراف في صمت وهدوء وعظمة ووقار.

خففت

حفظت لهم عقيدتهم و أنارت لهم سبل الحق و كشفت عن وجوه الباطل و الغي و الضلال، و التي قام علماؤها البواسل الغيورون على عقيدتهم يحاربون الإنكليز و يطاردونه على كل جبهة أعدها لإضعاف روح الإسلام كبث التعليم الغربي اللاديني و نشر المسيحية عن طريق الأساقف و المبشرين الذين جاؤوا لهذا الغرض من أوربا إلى الهند . فعقد هؤلاء العلماء مناظرات شعبية ردوا فيها على أغلوطات المسيحيين و دعوتهم المزيفة ففضحوهم على رؤس الأشهاد مما ألجأهم إلى الفرار و أمن المسلمون كيدهم و شرهم .

و قد كانت القاديانية شكلا آخر للاضرار بالإسلام و المسلمين في عقيدتهم الصافية و فكرتهم الصحيحة ، اختارها الانكليز رجاء أن يفت في عضد المسلمين عن هذا الطريق الخادع و يكسب المعركة الفكرية على هذه الجبهة ، و لكن علماء دار العلوم المتنبهين لوقعة طارق و ضربة ضارب و الساهرين على مصلحة الدين و صالح المسلمين لم يتركوا عدوهم يتسلل خفية إلى قلوبهم و نفوسهم ، جعلها الله واعية للعقيدة الطاهرة و الحمية الثائرة ، فهبوا لهذا الخطر الجديد و استعدوا لمحاربته بكل عدة و عتاد ، و لم يدخروا جهدا إلا وبذلوه لوقف هذا التيار المضاد للاسلام . فبالخطب المنبرية و المناظرات الشعبية و إصدار المؤلفات و النشرات قاوموا هذه الفتنة الطاغية مقاومة ناجحة فوقف هذا التيار عن السير و تقلصت دائرتها بعد أن كادت تتسع و تنشر سمومها . و قد ساهم في هذه المقاومة إلى جانب كبار العلماء الشيخ المغفور العلامة حبيب الرحمن العثماني مدير دار العلوم الأسبق و الشيخ المغفور العلامة محمد أنور شاه الكشميري

رئيس المدرسين سابقا مساهمة ملموسة و له مؤلفات و رسائل متعددة نافعة في هذا الموضوع . ..

إن الحركة القاديانية قد ضعف تيارها فى الهند لمطاردة شديدة و مقاومة مريرة، و لكنها بعد تقسيم الهند و قيام دولة باكستان تجددت و ازداد نشاطها فانها وجدت من أعداء باكستان تشجيعا و مساعدات كبرى حتى استطاعت أن تدس أنفها فى الحكم و تتغلب على مناصب حكومية تستغلها للاضرار بالمسلمين و مصالحهم. متعاونة مع الصهيونية البغيضة و الاستعمار الغاشم .

و بعد فترة مضت على باكستان نهضت هذه الحركة نهضة قوية فى داخل باكستان و خارجها. و بدأت ترسل دعاتها إلى أقطار العالم فى أزياء منكرة ساترة للوجوه الأصلية . و قد وصلت جماعة من هؤلاء الدعاة المزورين إلى الهند بعد تقسيمها بسنوات لتجدد نشاطها و تبذر بذورها الخبيثة فى ربوعها، و لكنها لاقت مقاومة شديدة هنا كالسابق بل أشد منه، فأرسلت دار العلوم علماءها ـ غير متوانية أو متغافلة ـ إلى كل مكان أرادوا نصب الحبائل للدعوة القاديانية فيه، فطاردهم هؤلاء العلماء و المناظرون مطاردة شديدة ألجأتهم إلى الفرار من الهند . و لكن لم يكن معنى ذلك أن الحركة القاديانية اضمحلت أو ضعف نشاطها، بل إنها ضاعفت مكائدها و دسائسها فى باكستان و أخذت تستغلها لتوسيع نطاقها فى العالم فتنبه لخطر هذه الحركة الهدامة الذى لاح كخطر عالمي للاسلام و المسلمين

جلالة الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية الذى عرف بغيرته على دينه و حرصه على التمسك بعقيدته و اهاب بالمسلمين و بخاصة بزعماء باكستان و رجال حكمها إلى أن يفهموا ما يخبئ لهم القاديانيون من خبث و مكر و ما تنطوى عليه هذه الحركة من إضرار جسام .

و قد قامت « رابطة العالم الإسلامى » بعد هذا النداء الملكى باثارة القضية القاديانية باهتمام بالغ حتى اتخذ قرار خاص فى اجتماع المنظمات الإسلامية الذى انعقد فى مكة المكرمة فى شهر ربيع الأول سنة ١٣٩٤ هـ و جاء القرار صريحا فى جعل الجماعة القاديانية خارجة عن دائرة الاسلام ، و كان لهذا القرار و ما أثير قبله و بعده من مطالبات شديدة فى داخل باكستان (و فى طليعة المطالبين علماء دار العلوم الموجودون هناك على رأسهم العلامة الباحث الديى محمد يوسف البنورى و فضيلة الشيخ محمد شفيع المفتى الأكبر فى باكستان) بتقرير النحلة القاديانية خارجة عن الإسلام ضغط شديد و تأثير قوى على الحكومة الباكستانية ، بحيث أنها اضطرت إلى عرض القضية على الجمعية الوطنية الباكستانية التى بعد نقاش أصدرت قرارها التاريخى – الذى تلقاه العالم الإسلام بترحيب – بجعل القاديانيين أقلية غير مسلمة فى باكستان .

و لم تكن هذه القضية قضية باكستان فحسب ، و لكنها كانت قاعدة لها ينطلق منها نشاطها الهدام الذى لا زال ينخر جسم العالم الإسلامى و يفت فى عضده بأشكال و أساليب مختلفة ، و سيكون قرار باكستان

الحالى ضربة قاضية على هذه القاعدة المبادية لها و للمسلمين جميعا . و لو تنبه
لنشاط هذه الفئة الباغية جميع المسلمين فى أقطارهم و بلادهم و اتخـذوا
تدابير لازمة لوقاية شرها و بصاد الأبواب على نفوذها للاقت حتفها
و تلاشت بذرتها الخبيثة . وقانا الله جميعا مثل هذه الشرور و الفتن .

وحيد الزمان الكيرانوى

* * *

سيد الخطباء :

دعا معاوية رضى الله عنه الوفود ليتكلموا فى اجتماع عقده لأخذ البيعة
ليزيد ، فتقدم يزيد بن المقنع ، فقال :
أمير المؤمنين هذا ـ و أشار إلى معاوية .
ثم قال : فان هلك فهذا ـ و أشار إلى يزيد .
ثم قال : فمن أبى فهذا ـ و أشار إلى السيف .
قال معاوية : اجلس فانك سيد الخطباء .

العلاقة بين القرآن و رمضان

بقلم الأستاذ المفتى ولى حسن التونكى

تعريب : محمد أنصار على الهورروى
المتخرج فى جامعة دار العلوم بديوبند

فى التاريخ الإنسانى يومان من الأيام المشرقــة الباسمة ، لهما أهمية قصوى و مكانة مرموقـة ، و يخلدان فى الذكر ، فأحدهما هو اليوم الذى بعث فيه النبى صلى الله عليه وسلم بشيرا و نذيرا ، وكان وجوده المشرف سبب السعادة لهذه المعمورة و عاملا لقيـام وحدانية الله فيها و سببا لانتشار أشعة الهداية و الرشد فى أكناف العالم قاطبة و مرآة للاخلاق الفاضلة ، حتى أخرج الإنسان الملهوف من هوة المذلة و الهوان إلى الشرف و النور و درج به نحو الكمال و الرقى .

و أما اليوم الثانى فهو الذى أنزل فيه القرآن مشعلا للضالين فى ليل مظلم كثيف الظلام الذى ظلت فيه الشخصية الإنسانية تتمزق و تتبعثر ، فجعل القرآن شفاء للذين ران على قلوبهم ، فزحزح القلوب القـاسية من الشأفة التى كانت أرسخ من الجبل و أصلب من الحجر ، و زعزع أقدام الذنوب و الآثام التى لا تزال تطوى الطريق الضال ، و شق ينابيع الأنوار من القلوب و فجر منها عيون العلوم و العرفان التى لا تنضب و لا تنحسر ، فان القرآن يسلك بالناس الطريق المؤدى إلى الله بدقائق بدل أن يقطع مسافة أعواما طوالا ، و ينفخ روح الحياة فى الأمة الميتة ، كسيرة الخاطر ،

كما قال الله تعالى : ﴿ ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض وكلم به الموتى بل لله الأمر جميعا ﴾[1] .

وأتناول هنا بالبحث والتنقيب باختصار العلاقة بين القرآن ورمضان كما أشار إليه القرآن الحكيم ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾[2] فأوضحت هذه الآية المباركة أن رمضان تلقى من نزوله فيه الشرف والكرامة . وكذلك استهدف حديث النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن الله تعالى لم ينتخب هذا الشهر لإنزال القرآن الكريم فيه فحسب بل لجميع الأمور التي تهدي الناس إلى الصراط السوي وتقف بالأمة جميعا أمام الطريق القويم ، كما روى واثلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان ، والتوراة لست مضين منه ، والإنجيل لثلاث عشرة ، والقرآن لأربع وعشرين »[3] . وذكر في رواية أبي ذر الغفاري تاريخ صحف إبراهيم ثلاثا . وتاريخ الإنجيل ثمان عشرة ، وجمع أبو حيان بين الروايتين بأن في رواية واثلة بن الأسقع ذكرت بداية النزول ، وفي رواية أبي ذر نهايته ، فلم ينزل القرآن في هذا الشهر المبارك فحسب ، بل له شرف بنزول سائر الكتب السماوية الأخرى كذلك . .

وأما وجه تسمية هذا الشهر برمضان فذكر الامام الرازي في ذلك أربعة أقوال . ونقتصر منها هنا على القولين ؛ فقال خليل بن أحمد النحوي : إن رمضان من رمضاء ، ومعناه المطر الهاطل الذي ينزل قبيل الخريف

(1) سورة الرعد آية 31 (2) سورة البقرة آية 185 (3) البحر المحيط لأبي حيان 2 / 40 .

و ينق الأرض من الغبار و التراب ، هكذا شهر رمضان يطهر قلب الصائم من الذنوب ، و ينقي روحه من رزائل الأخلاق و ذميم الخصال . و قال البعض : إن رمضان اسم من أسماء الله عز و جل ، فعلى هذا الأساس سمي ذلك الشهر برمضان فالمعنى أن ذنوب العاصي تنمحي و تحترق برحمة الله و هكذا تعفى آثام المخطئ بفضل هذا الشهر .

و غير خاف أن بعض الأشياء تلبس الفصول و تتعلق بها و تقبس منها ما يلائم لها ، فحينما يأتي ذلك الفصل نرى تلك الأشياء وفيرة كثيرة ، كما إذا جاء الربيـــع لاح النمو و النشو من كل ناحية و بدأت النضرة من كل جانب فالى أية جهة نصرف أنظارنا لا تبصر إلا النضرة فى كل شيء ، فالشجرة الخريفية التي كادت تذوى تلبس حلة قشيبة خضرة فى الربيـع و تشب و تترعرع ، و الأرض التي فقدت صلاحيتها الإنتاجيـة لحرارة الشمس و الجفاف تستعيد انتعاشها المفقود فى الربيع فتبدو فيه الحبوب المنتثرة على وجه الأرض نضرة ناضرة ؛ و لما كان شهر رمضان من شهور الجود و الـكرم فيمطر فيه جود الله عز و جل و سخاؤه متتابعا متواصلا كالغيث الهاطل فتتجلى فيه صفاته الربوبية على وجه الأتم فى هذا الشهر و مظهرها الأكمل و هو القرآن الـكريم الذى لا ينقطـــع فيضه أبدا . فأوضح الامام الرازى بأسلوب دقيق العلاقة فيما بـين الصوم و القرآن قائلا : إن الله تعالى تكرم على رمضان بشرف خاص ، و أظهر من صفاته الربوبية بأن أنزل القرآن فيه . فلذا أمر العباد بأن يرفعوا مستواهم بالصوم و يشكروا الله تعالى أحسن شكر ، و ما سواها من الأنوار الحميدة تنزل فى

الغبراء فى كل آونة و ليست تسوقها العراقيل و الحواجز عن نزولها ، و لكن الأسف أن أرواح الإنسان لا تلتقط أشعة الأنوار الربانية بسبب الملاقات البشرية ، ففرض الصوم على الناس لتوثيق الصلة بين الله و عبده و تعزيزها لكى تنال الأرواح تلك الأنوار[1] .

و لا شك أن تجليات هذا الشهر المبارك تغير وجه الكرم و الجود ، وكانت تجعل النبى صلى الله عليه و سلم أوسع جودا وكرما من هواء الخريف ، كما رمزت إليه رواية ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن . فلرسول الله صلى الله عليه و سلم أجود بالخير من الريح المرسلة[2] . و شرح الحافظ ابن حجر العسقلانى هذا الحديث بأن تلاوة القرآن الكريم تزيد غنى النفس و تبعث عاطفة الأخوة و الود و تسبب الجود و السخاء غير أن الشهر يمنح نور الهداية و الرشد و يعطى الخير و الصلاح من قبل الله عز و جل و لأجل ذلك كان النبى صلى الله عليه و سلم يتبع سنة الله تعالى و طريقته فى رمضان أكثر . و هنا نذكر ما نقتبس من الفوائد الجمة من هذا الحديث فيما يلى :

١ - لا بد للامة المسلمة أن تتصف بالجود و الكرم مدى الحياة و تصطبغ بصبغة الله

٢ - و يجب أن تقوم بالجود و السخاء فى رمضان أكثر ما يمكن .

٣ - و يحسن أن تلتقى بأهل الصلاح و الخير ، و تتمتع بصحبة الأخيار لأنها تورث الأخلاق الفاضلة و الخصال الحميدة

---

(١) التفسير الكبير ٢ / ١٨١ (٢) فتح البارى ص ٢ / ٢٦ .

٤ - و تلتزم تلاوة القرآن الكريم أكثر من الشهور الأخرى، و تجعل التلاوة شغلها الدائم.

٥ - و إن تلاوة القرآن أفضل الذكر و أحسن الوظيفة، فلو لم تكن أفضل الذكر لم يلتزمها النبي صلى الله عليه و سلم في رمضان[1].

و موجز الكلام أن القرآن الحكيم مصدر من مصادر الأوصاف الربوبية و ينبوع من ينابيع الجود و الكرم الذى أنزل فيه الفرقان كما قال القرآن ﴿ هدى للناس و بينات من الهدى و الفرقان ﴾ فهنا عرّف القرآن بنفسه و ذكر ثلاثة ألفاظ تكشف الغطاء عن حقيقته أن الموجودات قاطبة و الكائنات المتنوعة بأسرها مظهر من مظاهر صفات الربوبية، فكل ذرة من هذه الكائنات تشهد بلسان حالها بربوبيته و مالكيته، فان الله تعالى أكرم على الناس بخلعة خلافته فلذا نسق الوسائل الملموسة و نظم الأدوات اللازمة لبقاء جسم الإنسان و نشوه و نمائه فمنح الكائنات صفات الجود و الكرم، و افترش له الأرض، و جعل السماء سقفا، و سخر له الشمس و القمر و الجبال و البحار، و هيأ له الوسائل المتوفرة للصالح المادية و الراحة الجسدية. فكان مستحيلا أن لا يوفر له أسباب الهداية و الرشد و وسائل تربية للنفوس و تنمية الأرواح بعد أن كانت الأرواح جواهر الإنسان و حقائقه. فأظهر سبحانه و تعالى صفاته الربوبية مرة ثانية لترويج تعاليمه و نشر رسالته فلذا أنزل الكتب السماوية هدى للناس، و بعث أخلاطا من الأنبياء، فلم تزل هذه التعليمات المتلاحقة

---

(١) فتح البارى ١/٢٦.

جارية منذ بداية التاريخ الإنسانى إلى يوم القيامة حتى انفجر منها ينبوع فيوض آدم عليه الصلاة و السلام، و أنزلت صحف إبراهيم و توراة موسى و إنجيل عيسى عليهم الصلاة و السلام، فلم تكن هذه الكتب السماوية إلا مصادر الهداية و وسائل الفلاح و النجاح فى الدنيا و الآخرة، و ما بثت الطمأنينة على قلوب سعيدة إلا هذه الكتب المقدسة، و لم تدل الإنسان الناسى على الهدف الرئيسى إلا هى. فالشقى الأزلى أشاح عنها و أعرض، و السعيد الأبدى اجتذب إليها و أقبل عليها و اقتنع و عمل بها.

و لما كانت مناهل الفيوض و البركات تسيل فى رمضان فأنزل الله تعالى فيه الكتاب الختامى فكان ذلك رسالة من عند الله وجهها إلى الأمة قائلا لها لا يأتى أى نبى فيما بعد النبى محمد صلى الله عليه و سلم. فطلعت فى هذا الشهر الكريم شمس الهداية الربانية و أشرق بنور ربه فصار هدى للناس. و إن الله تعالى أرسل الكتب السماوية هدى للامة السالفة، و القرآن الحكيم كان من نوعها و جنسها و لا فرق بينه و بينها، و لكنه يحمل فى أحشائه جميع الأقدار ثم يجاهر بالحق قائلا ﴿ بينات من الهدى و الفرقان ﴾ و هو يمتاز من الكتب الأخرى بأن فيه هداية ربانية تتلألأ فى صفحاته المشرقة و ترتسم قيادة رشيدة عليها بالدلائل و البرهان كما يتضح الفرق بين الحق و الباطل و بين الفضيلة و الرزيلة على وجه لا يمكن الدلالة على الخير إلا به. فلذا يلتزم على أمة محمد عليه الصلاة و السلام أن تشكر الله على هذه النعمة المغتنمة التى أكسبها بشكل القرآن.

.. و لا شك أن عبدا شكورا ليس له أحسن سبيل للاثناء على آلاء الله و الشكر على منّه به و الاعتراف باحسانه إليه إلا أن يقف عزمه للسير على أهدافه الأساسية، و هي القرآن الحكيم، و يصرف همته للعمل بتعليمات القرآن و أحكامه، و يملأ قلبه بالأنوار الربانية و التجليات الإلهية ثم يسعى سعيا حثيثا لقيادة الأمة و سيادتها. فلهذا المقصد العظيم أوجب الله عزوجل علينا ثلاث عبادات: الصوم، صلاة التراويح، الاعتكاف فى المسجد.

الصوم

و أتناول هنا بالذكر العلاقة فيما بين الصوم و القرآن، فان الصوم له أهمية قصوى فى مجال العبادات، و يعد من أهم العبادات و أقدم الطاعات، و قد كان مفروضا على الأمم السالفة أيضا كما أشار إليه القرآن الكريم ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾[1] فأفادتنا الآية أن الصوم كان موقوتا على الأمم الماضية كما فرض علينا اليوم، فكيف تحرم عن ثمرات هذه العبادة الأمة المحمدية التى حملت مسؤلية الإمامة و الخلافة على كواهلها. و فى ناحية أخرى تتحلى بحلية التقوى و تقدم بالشهادة على الناس. فنقل الإمام الرازى قول قفال المروزى ضمن إيضاح هذه الآية المباركة فقال: كلفنا الله تعالى بأن نؤدى هذه العبادة المهمة و نفكر مليا فيما هيئت لنا هذه العبادة، فقال أولا: إن الصوم ليس من شىء حديث و أجنبى يعرض عليكم، بل كانت الأمم الماضية كلها مكلفة به فيما قبل، فمن كان له أدنى بصيرة و علم

(1) سورة البقرة.

فهو يسكت على الأمر الذى هم يواجهه وتتسنى للناس السيطرة عليه، و لا يواجه أية صعوبة فى سبيله و أية عقوبة فى طريقة، ثم بين حكمة الصوم بأنه أداة فعالة لنيل التقوى، و تقوية نور الإيمان و روح الإسلام، فلو لم يفرض الصوم علينا لكنا محرومين عن نيل الهدف الأصلى، فرضنا الله عز و جل على الصيام و ألزمه علينا عدة أيام، فلو كلفنا الله بالصيام فوق الاستطاعة مدى الحياة أو أكثر من عمرنا أو سنة كاملة لعانينا متعدد الأصناف من المصائب الجسيمة و المشقات الخطرة؛ فنظرا إلى عجزنا و رحمة بنا حدد المدة للصوم و جعله فرضا على المسلمين فى رمضان، و أكد على أن لا يتغافل أحد من الصوم قط، و لا يتركه على الإطلاق إلا لعذر قابل العفو و الصفح، كمن لا يستطيع أن يصوم بالسفر أو باعتلال الصحة فلا حرج عليه، و لكن يجب أن يتدارك ما يفوته بصوم بعد رجوع الصحة أو الرجوع من الرحلة، فكان هذا تسهيلا من الله تعالى لكى لا يواجه صعوبة الرحلة و المشقة.

و ما من شك فى أن الصوم فضل من الله تعالى الذى يؤتيه من يشاء من العباد كما قال عليه الصلاة و السلام بأساليب عديدة: «قال الله تعالى: كل حسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فانه لى و أنا أجزى به» و قد روى هذا الحديث على طرق متعددة بالفاظ متقاربة، و نقله الحافظ العراقى فى تخريج إحياء العلوم بألفاظ مختلفة و قال: أنا أنقله بالعبارة التى ثبتت بعينها فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه فلا حاجة إلى الكلام عن الجزء الأول من الحديث لأنه بين الثبوت، و واضح

الثالث : و أما الجزء الثانى من الحديث فأقول : إنما سائر العبادات لوجه الله و للاخلاص له ، كما نقل بهذا الصدد العلامة مرتضى الزبيدى عدة أقوال آتية :

١ - منها : الاستغناء عن الأكل و الشرب و هو شأن رب العالمين ، فاذا صام عبد كأنه تشابه بذات الله تعالى تشابها يسيرا و تسرب صفات الله إلى أحشائه فلذا قال تعالى : الصوم لى و أنا أجزى به .

٢ - و كان كثير من الفرق الضالة قد أقاموا الصلاة و سجدوا و ركعوا و أدوا الصدقات لغير الله تعالى و لكنهم لم يصوموا و لم يتخذوا الصوم أداة الاتصال بالله كما ينطق التاريخ و يشهد ، و لم يسمع حينا من الدهر أن الوثنى نذر الصوم للاوثان لمصالح الدنيا و الآخرة ، فعلى هذا قال تعالى : إن الصوم لى و أنا أجزى به .

٣ - و من الواضح أن أحدا لو اغتصب حقوق الغير أو آذى أو ظلم الآخر ثم مات بغير أن يؤدى الحقوق الشرعية أو بغير أن يطلب العفو فالله يجزى صاحب الحق أو المظلوم بأعمال الظالم و عباداته الأخرى إلا صومه ، فلذا نمى الله الصوم إليه .

٤ - و من المعلوم أن جزاء العبادة العامة و الطاعات الأخرى بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ، و لكن جزاء الصوم لا ينقص منه و لا يحط ، فان الله تعالى يعطى أجر الصوم بغير حساب ، و وجهه ظاهر و هو أن الصوم صبر والله مع الصابرين ؛ و كذلك قال تعالى فى شانه ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ .

- دون ما شك أن ترك الطعام و الشراب من أوصاف الملائكة لأن العبد حينما يبدأ فى الصوم فهو يتصف بصفاتهم ، و لأجل ذلك لا يجزيه الله عن طريق الملائكة ، يجزى بنفسه .

٥ - و من العجب أن الله تعالى ينسب جزاء الصوم إليه ، فكان هذا على سبيل التكريم و التشريف كما يقال « بيت الله » و « كعبة الله » و « ناقة الله » .

٦ - و الصلاة و الصدقة و الزكاة أشكال ظاهرة يمكن أن تطرأ عليها شبهة الرياء ، و لكن الصوم لا مجال فيه للتظاهر و الرياء ، و لا يمكن أن توجد فيه شائبة المكر و الخداع ، فلهذا السبب نسبه الله عز و جل إلى ذاته كما أوضحت ذلك رواية البيهقى و أبى نعيم : « الصيام لا رياء فيه . قال تعالى : هو لى و أنا أجزى به ، يدع طعامه و شرابه من أجلى » .

٨ - و الصوم هو الامتناع عن الشىء الممنوع ، أو ارتفاع الشىء كما ينطق العرب عند ارتفاع الشمس وقت الظهير « صام النهار » و حيث أن الصوم يمتاز من العبادات و الطاعات الأخرى ، حتى يحتل مكانة مرموقة منقطعة النظير ، ولذا أنماه إليه . . و قال المحدث فى ختام شرح هذا الحديث : إنى جمعت هذه الأقوال العديدة من كلام العلماء الفحول و اقتبستها منها ، و ذكر الخطابى فى شرح المنهاج و قال : حينما عددت هذه الأقوال وجدتها أكثر من خمسين قولا . و قال العلامة السبكى : أحسن القول عندى قول سفيان بن عيينة و هو : إن صاحب الحق يقابل الذين لم يؤدوا حقه و يطالبهم يوم القيامة بارجاع الحقوق المغصوبة حتى تستوفى أعمالهم الصالحة عوضا عن الحقوق المغصوبة إلا الصوم إكراما و إجلالا له . و رجح العلامة

الزبيدي هذا القول : « الصيام ليس فيه رياء ، قال تعالى : هو لي و أنا أجزي به ، يدع طعامه و شرابه من أجلي » (شرح إحياء العلوم ج ٤ ص ١٩٤) . هكذا فيه حديث آخر ، كما قال عليه الصلاة و السلام : « إن لكل شيء بابا و باب العبادة الصيام » ـ رواه صعنـاء عن حمزة بن حبيب مرسلا فى شرح إحياء العلوم .

و لا شك أن منزلة هذا الشهر المبارك قد ارتفعت بنزول القرآن فيه ، و تسمو مكانته بجود الله و كرمه فيه و إليه هدف قول النبي صلى الله عليه و سلم : « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة ، و غلقت أبواب النار ، و صفدت الشياطين و نادى مناد : يا باغي الخير هلم ، و يا باغي الشر اقصر » (شرح إحياء العلوم) . و سجل العلامة الزبيدى خطبة بديعة تحت هذا الحديث سيأتي ملخصها فيما يلي :

و بحلول شهر رمضان يبتدئ زمن الصوم ، و يفتح الله أبواب الجنة ، إذ الجنة شيء مستور مكتوم ، فالصوم من العبادات المستورة التي لا يعلمها إلا الله ، و العلاقة الوثيقة بين الصوم و رمضان كالتوأمين ، فحمية الله تثور و تنبعث حتى يغلق أبواب الجحيم ، فاذا أغلقت أبواب جهنم تزداد حرارتها ، و هكذا إذا بدأ الصائم بصوم تغلق الأبواب و تقيد الشياطين بالسلاسل معدين عن فضل الله تعالى و رحمته ؛ و فى ناحية أخرى يتقرب الصائم من الله تعالى و ينال رحمته و يتصف بصفاته الجيدة لانه يترعرع فى أحضان رمضان و يتحضن فى حجره النعيم بأن يعبد الله طول اليوم ، فاذا شاء الله أن يتكرم على الصائم بشرف التقرب منه

و هو شرف عظيم ليس كمثله شيء ، فاذا تشرف العبد بقرب الله تعالى يتقيد الشيطان (شرح إحياء العلوم للعلامة الزبيدى ٤/١٩٣) . و قال فضيلة الشيخ ابن همام عن فوائد الصوم : إن الصوم يبث الطمأنينة على النفس الأمارة ، و يحجب ما ترتكب النفس من الذنوب و الآثام بالعين و اللسان و الأذن ، و ينقص حدتها ، و يمنعها عن ارتكاب الفعلة الشنيعة و الأمر المنكر ، فلذا يقال إن النفس إذا سغبت شبعت أجزاء البطن جميعا و إذا شبعت النفس جاع البطن .

و هذا إلى أن الصوم ينق النفس عن الرزائل و يزيل عنها الصفات الذميمة لأن كل ذلك تحدث باللسان و العين ، و إذا نظفت أعضاء الجسد من الذنوب حصلت النظافة للقلب ، و الصفاء للروح ، و الجلاء للنفس .
و كذلك من فوائد الصوم أنه يبعث عواطف الرحمة على المساكين و اللين بالفقراء ، لأن من المعقول أن الصائم حينما يقطع وقته فى الجوع يشعر بألم الجوع و أذى العطش و لا يميل إلى ارتكاب المعصية ، و ليس من الشك أن الصوم يشاطر أحوال الفقراء و المساكين فى القلق و الاضطراب و يوافقهم ، و يعلم الصائم الصبر .

و بهذا الصدد نقل الشيخ ابن همام قصة لطيفة ، و هى أن شخصا حضر ذات يوم بجلس بشر الحافى فى فصل الشتاء فرأى الشيخ يقشعر جلده بالبرد القارص ، و كان عباؤه معلقا بالعمود . فسأل : لما ذا نزعت ملابسك عن الجسد يا شيخ و علقته بالعمود و لم تلبسه ؟ فأجاب بصوت ضئيل : أنا فقير لا أستطيع أن أزود المساكين و الفقراء بالملابس ، و أواسيهم

بقليل

بقليل المال ، فلذا أحقق عاطفة مؤاساتي بمطابقة حالتي أحوالهم (فتح القدير الأول ، كتاب الصوم) .

فوجز الكلام أن صوم رمضان تحصل به للصائم تزكية النفس و نظافة القلب و صفاء الروح ، و يتوفر الغذاء الروحي للصائم حتى السنة القادمة ، و يقوى الصلة بين الله و عبده ، و يحدث نزعة ترك الذنب و مخالفة هواء النفس ، و يتكون فيه شعور المؤاخاة ، و أحاسيس العناية بالفقراء ، و العطف على الضعفاء ، و هذه هي مقاصد القرآن و أهدافه .

* * *

البر باليتيم :

إن عليا رضي الله عنه و أهل بيته تصدقوا بثلاثة أرغفة
من سويق - كانت لهم - على مسكين و يتيم و أسير ،
ثم باتوا على الطوى ، و قد شبع المسكين و اليتيم و الأسير .

الفرق بين المخلوق و الصادر

بين الخلق و الصدور فرق ، أما الخلق فيقتضى عدم وجود المخلوق أولا فى ذات الخالق ، بخلاف الصدور فانه يجب أن يكون الصادر أولا موجودا فى المصدر ، كمثل الشمس إذا حاذتها فتحة فى الجدار و نفذ منها نورها فتشكل على الأرض بشكل تلك الفتحة فيقال: إن ذلك النور أو الشعاع صادر من مصدره ، أى ذات الشمس ، و لكن الشكل الذى حدث بسبب الفتحة ليس بصادر عن ذات الشمس ، و إلا وجب أن يعد ذلك الشكل أيضا من وصف الشمس كالنور ، مع أن الأمر ليس كذلك ؛ فانه شيء موقت طارئ .

و هكذا ذات الله سبحانه و تعالى ، فجميع الحسنات صادرة عن ذاته ، و ما سوى ذلك فمخلوق له ، ليس بصادر ، لأن الصادر يكون وصفا ذاتيا لمصدره .

* * *

عاطفة السلم و الصلح فى الاسلام

كما تتجلى فى صلح الحديبية

بقلم الأستاذ على على منصور

حاصل ما ورد فى صحيح البخارى و فى كتب السيرة ككتاب ابن هشام أن النبى صلى الله عليه و سلم خرج العام السادس للهجرة (نحو ٦٢٨ م) و معه أصحابه، قاصدين مكة للاعتمار ببيت الله الحرام، و العمرة هى زيارة الكعبة و الطواف بها و السعى بين الصفا و المروة، و هى من مناسك الحج، و يجوز إتيانها منفردة دون الوقوف بعرفات يوم الحج. و كان منذ عهد إبراهيم لا يصدون أحدا عن البيت الحرام، حتى أن قريشا فى الجاهلية - وهم سدنة البيت - كانوا لا يمنعون أحدا من الطواف بالكعبة حتى و لو كان عريانا، لأن الذى وقر فى النفوس أن الكعبة بيت الله لا يصد عنها أحد من عباد الله أو من الناس قاطبة، حتى بعد أن صارت موئلا للتماثيل، و على هذا لم يكن اعتزام محمد صلى الله عليه و سلم و صحبه العمرة فيه ما يؤذى قريشا أيا كانت الصلة القائمة بينهما و لو كانت حالة الحرب، و لكنه صلى الله عليه و سلم إبعادا عن نفسه و صحبه الشبهة خرجوا بملابس الاحرام - و هو من مناسك العمرة و مفاده أن يتجرد الإنسان من زينة الدنيا عدا رداء و إزار غير مخيطين يستران العورة و البدن - و ساق معه الهدى سبعين بدنة (ناقة)

هو ما يهدى إلى الكعبة قربانا من زوارها ، و نهى أصحابه عن حمل أسلحة الحرب سوى السيوف فى القرب ، لدفع عادية وحوش الصحراء ، و سلخ الركب أياما منذ خروجه من المدينة . فعلمت قريش بمقدمه و بما يبغى ، و لكن أخذتهم العزة بالإثم و النعرة الكاذبة ، و خالفوا قواعدهم من عدم صد أى زائر أو معتمر بالكعبة و قالوا : لا يدخلن محمد علينا مكة فيظن العرب أنه دخلها علينا عنوة . و لما كانت الحديبيه هى الحد بين الحل و الحرم - و هى على مسيرة ثمانية عشر ميلا عن مكة و تقع بينها و بين حدة - أناخ المسلمون عندها ليصلحوا من شأنهم و ليغتسلوا من بئر هناك و يصلوا ركعتين ، و إذ بهم يجدون كفار قريش قد جمعوا جموعهم و أجمعوا على أن يحاربوا المسلمين و يصدوهم عن المسجد الحرام ، وجرت الرسل بين الفريقين فقال النبى صلى الله عليه و سلم لرسل قريش : « إنا لم نجئ لقتال و لكن جئنا معتمرين ، و إن قريشا قد نهكتهم الحرب و أجهدتهم فإن شاؤا ماددتهم مدة و يخلو بينى و بين الناس » .

و لما رجعت رسل قريش إليها استشار النبى أصحابه فيما يفعلون إن أبت قريش عليهم العمرة أو الهدنة . فقر قرارهم على أداء العمرة و لو أدى الأمر إلى إجابة قريش إلى ما طلبت من حرب ، و ذلك على الرغم من أنهم لم يقدموا للحرب ، و أنهم لم يحملوا معهم عتاد الحرب و عدتها ، اللهم إلا السيوف مع بعضهم . و بايعوا الرسول على ذلك و على الثبات فى الحرب حتى الاستشهاد ، و سجل القرآن خبر هذه البيعة يتلى على المسلمين على مر الدهور ، فقال تعالى : ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين

المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ و لذا سميت « بيعة الرضوان ». و بعثت قريش بكبير من سادتها مفوضا بالصلح مع محمد صلى الله عليه و سلم على شروط معينة سهيل بن عمرو العامري ، و جرت المحادثات ، و تم الاتفاق شفاهة على ألا يدخل المسلمون مكة هذا العام ، و يعودوا من حيث أتوا إلى العام القابل حيث يسمح لهم بدخولها و الاعتمار بالبيت الحرام و الإقامة فيه أياما ثلاثة ، تخليها لهم قريش ، و على أن لا يحملوا معهم سوى سلاح الراكب ـ السيوف فى القرب . و على أن يتهادن الطرفان و يكفا عن الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس . و يسمح لبقية القبائل أن ينحاز منها من يشاء إلى أى الفريقين ، أى أن ينضم إليه كحليف تلزمه شروط الصلح ؛ وكان النص على ذلك : « إن من أحب أن يدخل فى عقد محمد و عهده دخل فيه ، و من أحب أن يدخل فى عقد قريش و عهدهم دخل فيه » . وكان من بين الشروط شرط مجحف بالمسلمين يلزمهم و لا يلزم قريشا سيجيء ذكره و التعليق عليه . . فلما انتهت مفاوضات الصلح دعا النبى على بن أبى طالب ليكتب الكتاب - أى العهد (المعاهدة) ؛ و أملى عليه أن يكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل بن عمرو : أما « الرحمن » فلا أدرى ما هو ؟ اكتب « باسمك اللهم » كما كنا نكتب ! فهاج المسلمون و قالوا : والله لا نكتب إلا « بسم الله الرحمن الرحيم » فأمر النبى عليا أن يكتب « باسمك اللهم » و استمر يمليه ما يلى : « هذا ما عاهد عليه رسول الله » فقال سهيل : لو نعلم أنك رسول ما صددناك عن البيت و لا قاتلناك ! فقال النبي : اكتب « هذا ما صالح عليه

محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ». وكان عليٌّ قد كتب الصيغة الأولى وأبى أن يمحوها ، فطلب إليه الرسول أن يدله على موضعها من الورقة فحاها بيده . والمسلمون فى ضجر شديد ، فلما آن أوان كتابة الشرط المجحف بالمسلمين تململ المسلمون ، ودخل عليهم أمر عظيم من هذا الشرط ، أما الشرط فنصه : « وإن من خرج من مكة من قريش مسلما بغير إذن وليه وقصد محمدا بالمدينة رده إليهم ، وإن من جاء من المسلمين مكة مرتدا عن دينه لم يردوه إلى النبى »؛ وهنا تملك الغيظ المسلمين كسعد بن عبادة وأسيد بن حضير ، ومنهم عمر بن الخطاب الذى قال للرسول صلى الله عليه وسلم : ألست رسول الله ؟ قال : بلى ! قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ! قال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ فغضب لذلك أبو بكر على عمر وقال له : الزم غرزك يا ابن الخطاب ! إنه لرسول الله ولن نخالف أمره .

أرأيت إلى أى حد يحض الإسلام على الصلح ويرغب فيه ولو تضمن شروطا مجحفة ببعض حقوق المسلمين ! ثم أرأيت كيف يحرص رسول الإسلام على السلام وتجنب الحرب رغبة فى حقن الدماء رغم أن الله وعده بالنصر ! فهو يقبل أن يعود دون عمرة بعد رحلة بضعة عشر يوما لما أجيب إلى ما اقترحه من هدنة . ويقبل أن يجرد اسمه من صفته كرسول الله ، ويقبل عدم المعاملة بالمثل ، والحيف على المسلمين فى الشرط . فلما لج المسلمون فى شروط الصلح بعد إبرامه وسأل بعضهم

النبي عن السر فى ذلك فيقول: «والله لا تدعونى قريش إلى خطة يسألونى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها»؛ ثم قال: «أنا عبد الله و رسوله و لن يضيعنى»: و من أجلّ ما يذكر فى هذا الصدد بشأن احترام المسلمين لعهودهم و لو كانت شفهية لم تكتب و توثق أنه حين كتابة العهد جاء أبو جندل ابن سهيل بن عمرو، و كان قد أسلم فقيده أهله بالحديد و أذاقوه ألوان العـذاب، فلما علم بمقدم المسلمين للعمرة و نزولهم بالحديبية هرب من سجنه و دخل على النبى يرسف فى قيوده و أغلاله، و ألقى بنفسه أمامه بعد أن أنهكه التعب، و استغاث بالمسلمين أن يلحقوه بهم. فلما أن رآه والده سهيل بن عمرو - هو مندوب قريش فى الصلح - أخـذ بتلابيب ابنه يرده إلى المشركين و يقول: يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه و أطالبك بانفاذ شرطنا عليك! فأخذ أبو جندل ينادي المسلمين و يستغيث بهم و الكفار يجرونه فيقول: يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتونى فى دينى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «يا أبا جندل، قد أخذ القدم علينا و أعطيناهم، و قد لجت القضيـة بيننا و بينهم، و لا يصح لنا الغدر و نقض العهد، اذهب فسيجعل الله لك و لأمثالك مخرجا». و هكذا كان الحال بالنسبة لأبى بصير و غيره ممن أسلم من قريش و أتى المدينة فردهم إلى من طلبهم من قريش. و دلت الأيام على بعد نظر النبى صلى الله عليه و سلم فلم يرتد من المسلمين أحد ليلحق بقريش، أما من أسلم من قريش و أتى المدينة فرد عنها و سلم إلى من حضروا خلفه من قريش، فانهم فى الطريق عند عودتهم إلى مكة استطاعوا قتل حراسهم ثم آووا إلى كهوف

الجبال بين مكة و المدينة يقطعون الطريق على سابلة قريش و قوافلها ، حتى ضجت من ذلك و طلبوا من النبي صلى الله عليه و سلم أن يلحق هؤلاء «المتمردين» ليدخلوا فى عهده و ليضمن لقريش اخلادهم إلى السكينة و لتأمن قريش شرورهم ، و هكذا جعل الله لأبى جندل و أبى بصير و أمثالهما مخرجا و فرجا .

و ما أن عقدت معاهدة الصلح حتى دخلت قبيلة «خزاعة» فى عهد المسلمين و صارت حليفا لهم ، و أصبح لها بذلك ما للمسلمين من حقوق و عليها ما عليهم من واجبات و التزامات نص عليها فى العهد ، كما دخلت قبيلة «بكر» فى عهد قريش ، و كلتا القبيلتين بجوار مكة و كان بينهما ثأر واحن و حروب ، فالتزمتا بالهدنة لمدتها و هى عشر سنوات ، و حدث بعد سنوات قليلة أن اعتدت بكر أحلاف قريش على خزاعة أحلاف المسلمين ، و أمدت قريش حلفاءها بالسلاح و المال سرا . فجاءت خزاعة إلى النبي الأمى صلى الله عليه و سلم بالمدينة تنبئه بنقض قريش للعهد و تستنصره على بكر و قريش ، فكان ذلك سببا لانهاء الهدنة . و لما علم أبو سفيان بذلك ذهب إلى المدينة يطلب إلى النبي صلى الله عليه و سلم تجديد العهد ، فأعرض عنه ، و كان ذلك كله سببا فى فتح مكة على ما سيجىء .

فتح مكة

نقضت قريش هدنة الحديبية على ما أسلفنا ، فعادت بذلك حال الحرب التى كانت قائمة بين المسلمين و بين قريش ، و كانت قريش م

التى بدأتها و أعلنتها فى مكة و أكدتها بذهابها إلى المدينة حيث كانت غزوة بدر و أحد و الخندق، فسار النبى عليه الصلاة و السلام إلى مكة فى عشرة آلاف مقاتل لم تر الجزيرة مثل عتادهم من قبل، حتى أنهم كانوا لا ترى منهم إلا الحدق (حدقات العيون).

و على الرغم من توكيد ربه له بالنصر فى سورة الفتح، و على الرغم من أن الجيش كان على أحسن حال من التسلح و الإيمان و الرغبة فى الاستشهاد و لكن محمدا الداعى إلى السلام كان يرجو ألا تقع بينه و بين قريش معركة يذهب ضحيتها الكثير من المشركين. و نذكر فى هذا المقام أن أحد قواد فرق المسلمين فى ذلك اليوم قال عند ما اقترب الجيش اللجب الزاحف إلى مكة: «هذا يوم الملحمة»! فسمعه الرسول فغضب و رد عليه: «بل هذا يوم المرحمة».

و لم يتعجل الرسول صلى الله عليه و سلم بدخول الجيش مكة بل عسكر فى خارجها و أمر أن يدعى إليه أشرافها، و منهم أبو سفيان ابن حرب الذى أخذه العباس ليلا و صار يطوف به على فرق الجيش ليوقن أن النصر حليف المسلمين فيكف قومه عن الحرب. و أمر رسول الله بابلاغ أبى سفيان و أهل مكة يوم الزحف بأنه لا يريد حربا و إنما يريد أن يخلص بيت الله الحرام من الأوثان التى احتلته و أرجسته و قضت على الحنيفية دين إبراهيم. و نودى فى أهل مكة أن من دخل المسجد الحرام فهو آمن، و من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، و من أغلق عليه بابه فهو آمن.

و دخل الرسول مكة من غير حرب و دون أن يريق دما، دخلها من ثلاث جهات بثلاث جيوش قادرة قاهرة، و لو كان يريد تشفيا و انتقاما كما يرجف المرجفون لأمعن فيهم قتلا، و دخلها دخولا ما دخله أحد من قبله و لا من بعده كما قال ابن القيم الجوزية، و دخل و ذقنه يمس قربوس سرجه خضوعا و شكراً لله الذى ألبسه ثوب هذا النصر و الفتح المبين لغير حرب و لا قتال، حتى إذا أتى الكعبة أمر بما فيها و ما حولها من الأصنام فكسرت، و علا بلال فوق الكعبة بأمر الرسول ليؤذن فى الناس - بلال الذى كان يجر فى الرمضاء على جمر الفتنة بذى طوى - و لما رفع صوته بالأذان أجابته القبائل، و دخلوا فى دين الله أفواجا. فاجتمع أهل مكة ممن كان فى دار أبى سفيان و من كان مغلقا بابه عليه، و ازدحم الحرم بهذا الجمع الجامع و الحفل الحافل و كلهم فى وجل مما عساه نازل بهم من جزاء على ما قدمت أيديهم للمسلمين و رسولهم من أذى و قتل و طرد و حرمان و حصار حرب دامت عشرين عاما، فوقف الرسول البر الكريم السالم العفو يخطب فى الناس: ما تظنون أنى فاعل بكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم و ابن أخ كريم، افعل ما بدا لك! فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء. لم يفرض عليهم غرامات حرب كما يفعل القواد المنتصرون اليوم باذن من القانون الدولى، و لم يستول على املاكهم، و لم يطالبهم بدية من قتلوا من المسلمين من قبل؛ فكان اليوم كما قال «يوم المرحمة» لا «يوم الملحمة». وقف الرسول بين عضادتى باب الكعبة و خطب الناس، و مما قال: «ألا كل دم و مال

و مأثرة فى الجاهلية فانه موضوع، إلا سدانة الكعبة و سقاية الحاج فانهما مردودان إلى أهلها، ألا فان مكة محرمة بحرمة الله لم تحــل لأحد من قبلى و لا تحل لأحد من بعدى إلا ساعة من نهار أحلت لى فيها». و قال: «من كان فى بيته صنم فليكسره».. و دعا بالنساء فبايعهن و أخذ عليهن العهد و الميثاق، فاذا أقررن بألسنتهن قال: بايعتكن! و لا يمس أيديهن. فأقر بذلك حقوق المرأة و مساواتها للرجل إلا فيما أمر الله به له عليها من طاعة.

أ فبعد هـذا يسوغ لمتقول أو مفتر أن يتهم الإسلام و رسوله بما أرجفوا به من أنه قام بحد السيف....؟

* * *

أنفق ماله المدخر!

هذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه، كان له يوم أسلم أربعون ألف درهم مدخرة من ربح تجارته، و قد ربح الكثير من التجارة بعد إسلامه؛ فلما هاجر إلى المدينة مع صاحبه الرسول صلى الله عليه و سلم لم يكن قد بقى له من كل مدخر سوى خمسة آلاف درهم. لقد أنفق ماله المدخر فى افتداء الضعفاء من الموالى المسلمين الذين كانوا يذوقون العذاب ألوانا من سادتهم الكفار، كما أنفقه فى بر الفقراء و المعوزين.

العاطفة الدينية

قد يتبين العقل الطريق واضحة ، و قد تقوى الإرادة ، و لكن يتنكب الإنسان الجادة ، و يحيد عن قصد السبيل ، فليست المعرفة وحدها كافية لتوجيه الإنسان إلى الخير - كما أكد بعض الفلاسفة - و إلا لما أخطأ العلماء ، و زل كثير من العارفين . فكان لا بد أن تكون من وراء العقل و مع الإرادة عاطفة دينية سليمة ، موجهة إلى أفضل السبل ، و أحسن الأعمال .

الإنسان قد يخضع لدوافع عديدة ، تتحكم فى سلوكه ، و لكن خضوعه لعاطفته الدينية لا يعدله خضوع لأية قوة أخرى .

و هذه العاطفة لازم من لوازم الفطرة ، و الإنسان مهما بغى ، و تجبر ، و كابر : لا غنى له عن التدين .

فللدين مكان ثابت فى النفس لا يبرحه ، و إن تراكمت عليه بعض الأتربة النفسية حينا ، لكنه يظهر و يتوهج حين تضطره المناسبات و الظروف .

(على محمد حسن العمارى)

أبحاث فى السيرة

- فقه السيرة
- الفرق بين الحديث و السيرة
- الفرق بين السيرة و التاريخ
- تحليل اعتراض علمى
- بداية السيرة
- مصادر السيرة النبوية
- الحاجة إلى السيرة

بقلم :
واصف حسين نديم الواجدى
المجاز من دار العلوم بديوبند

فقه السيرة

وردت كلمة « السيرة » فى اللغة العربية بمعانى مختلفة ، أحيانا استعملها العرب للطريق ، و أطلقوها حينا على تراجم حياة الناس و أحوالهم ؛ ثم جعلوها خاصة بما يتعلق بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم . قال الشاه عبد العزيز الدهلوى (المتوفى ١٢٣٩هـ) : كلمة « السيرة » تشمل ما يتعلق بشخصية نبينا صلى الله عليه وسلم منذ ولادته إلى وفاته ، و ما يتعلق بأحوال أصحابه و آله - صلى الله عليه و سلم .

و استعمل المحدثون و الفقهاء كلمة « السيرة » بمعنى المغازى و الجهاد ، كما نرى فى الصحيح لمسلم (المتوفى ٢٦١ هـ) كتابه السير و الجهاد ، و فى فتح البارى لابن حجر العسقلانى (المتوفى ٨٥٢ هـ) كتابه المغازى والسير . و يعم هذا الاستعمال - كذلك - فى الكتب الفقهية . و تعرف من أجل ذلك كتب المغازى لابن إسحاق (المتوفى ١٥٠ هـ) و الواقدى (المتوفى ٢٠٧ هـ) بكتب السير . و تحتوى - كما أظن من أجل ما سبق إليه القول - كتب السيرة ناحية الجهاد أكثر مما تحيط بنواحى أخرى ، ثم توسعوا فى معناها حتى شملت كل ما يتعلق بحياة الرسول صلى الله عليه و سلم ، كما نرى فى « كتاب الطبقات الكبير » لابن سعد (المتوفى ٢٣٠ هـ) .

الفرق بين الحديث و السيرة

قال العلماء : إن الحديث يشمل أفعال النبى صلى الله عليه و سلم و أقواله و تقريره ، و ذهب بعض العلماء إلى إدخال كل ما يضاف إلى النبى صلى الله

 عليه

عليه وسلم من أحواله فى الحديث ، فيدخل هنا - فى ذلك - ما يذكر فى السيرة لأنها تبحث أيضا عن أحوال النبى صلى الله عليه و سلم و أقواله و تقريره ؛ فما الفرق إذاً بين الحديث و السيرة ؟ و ما الذى يجعل الحديث حديثا و يجعل السيرة سيرة ؟ و ما الذى يميز أحدهما عن الآخر ؟ فهنا أمور :

الأول : أن الحديث لا يذكر حياة الرسول صلى الله عليه و سلم إلا ضمنا و إشارة لا بتفصيل و تصريح كمقصود بالذات ، لأنه لا يقصد إلا بيان ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه و سلم مما أمر به من معروف و ما نهى عنه من منكر ، على حين ان كتب السيرة تبحث عن حياة الرسول صلى الله عليه و سلم لا عن أحكام الدين و الشريعة ، إلا ما يجيء من ذلك عفوا .

و الثانى : أن الحديث لا يتسع لإيضاح و شرح جوانب الوقائع و الحوادث عند بيانها كما تتسع السيرة ، و أذكر هنا على سبيل المثال أننا إذا درسنا الحروب التى خاضها النبى صلى الله عليه و سلم فى كتب الحديث و السيرة وجدنا فى السيرة كل ما يتعلق بها من عدد المشتركين فيها ، و عواملها ، و بواعثها ، و مضارها ، و منافعها و ما تشابه ذلك ؛ لأنها تجمع بين الإيجاز و التفصيل ؛ أما الحديث فلا يتناول هذا التفصيل و لا يتحمله .

و الثالث : أن الحديث لا يتحمل القول الضعيف كما يجوز به الأخذ فى السيرة إذا لم يتعلق بالأحكام و العقائد بل يتعلق بالفضائل و القصص ، و ممن نقل عنه الجواز للاخذ به الامام أحمد بن حنبل ، و أبو داود ، و الإمام أبو حنيفة ، و الإمام الشافعى ، و النووى ، و ابن تيمية و غيرهم من أمثال

هؤلاء الكبار من العلماء .

و الرابع : أنه تختلف أحيانا آراء أهل الحديث عن آراء أهل السيرة ، و ينشأ الخلاف بينهم ، و أبين على سبيل المثال فيما يلي بعض الوقائع التاريخية التي هي موضع الخلاف بينهم :

إن غزوة ذات الرقاع من أعظم المغازي التي غزاها رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فحدث الاختلاف في وقوعها ، رأى أهل السيرة أنها وقعت قبل الخيبر و الخندق ، و صرح المحدثون بأنها بعد الخيبر كما يصرح به تعليقا البخاري « و هي بعد خيبر » ، و يؤيده ما نقل مسلم بسند ينتهي إلى أبي موسى الأشعري و استدل به البخاري أيضا ، و الحق أن رواية أبي موسى الأشعري تكشف أن أبا موسى دافع عن دينه في ثغور الإسلام في ذات الرقاع . و معلوم أنه - رضي الله عنه - قد اعتنق بالدين الحنيف بعد الخيبر ! فهنا ينبعث السؤال و هو أن أبا موسى إذا اشترك في حرب ذات الرقاع و جاهد في سبيل الحق فكيف يمكن هذا قبل انقياده للدين ؟

و يؤيد كذلك ما مال إليه البخاري و الآخرون غيره حديث جابر حيث أنه يخبرنا بأن رسول الله صلى الله عليه و سلم صلى في ذات الرقاع صلاة الخوف ، و الحديث الذي يرويه أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي عباس الزرقي يدلنا على أول صلاة الخوف في الإسلام صلاها المسلمون في حرب عسفان و هي بعد الخندق و الخيبر .

و الدمياطي (المتوفى ٧٠٥ ه) كاتب إسلامي كبير معروف ، كان قد وضع في

فى السيرة كتابا عليا و رجح فيه اتفاق أهل السير على اتفاق الشيخين - البخارى و مسلم؛ أشار إليه عند مبحث غزوة ذات الرقاع القسطلانى (المتوفى ٩٢٣ﻫ) مؤلف « إرشاد السارى » شرح صحيح البخارى، و الحافظ ابن حجر العسقلانى (المتوفى ٨٥٢ﻫ) مؤلف « فتح البارى » فى شرح صحيح البخارى؛ و انتقد القسطلانى ما مال إليه الدمياطى، و بلغ فى إنكاره عليه كل المبلغ . و جدير بالذكر أن الدمياطى عدل عن موقفه الذى كان اختاره فى هذا الشأن، و كان يود هو - كما يقول الزرقانى فى شرحه على المواهب اللدنية - أن يغير ما كتبه فى كتابه، و لكنه قد شاعت نسخ الكتاب فى ذلك الوقت .

و خالف - كذلك - رأى المحدثين رأى أهل السيرة فى وقوع غزوة ذى القرد، فادعى أهل السيرة أنها قبل الحديبية، و أنكر عليهم المحدثون و قالوا بعد الحديبية

و استدلوا عليه برواية ابن الأكوع التى نقلها عنه ابنه سلمة، و التى تقول: كانت ثلاث ليال فى خيبر عند ما تسلح المسلمون لذى القرد . و نقل الحافظ العسقلانى فى شرحه للبخارى ما قال القرطبى: لا يختلف أهل السير أن غزوة ذى القرد كانت قبل الحديبية، و أجاب عن ما روى سلمة ابن الأكوع عن والده: « فيكون ما وقع فى حديث سلمة منه وهم بعض الرواة »، و لكن الحافظ ابن حجر أثار عليه عاصفة شديدة من النقد و قال: إن حديث سلمة حديث صحيح! و لا يزال يرجح على ما يرى أهل السير .

أين وقعت غزوة أوطاس؟ هذا أيضا يعد من مواضع خلاف بين أهل الحديث و أرباب السيرة ، يرى بعض أهل السير ـ كما يكشف الحافظ ابن حجر ـ أنها وقعت حينما وقعت الحنين ، لكن الحافظ ابن حجر لا يقبله و يرفضه بما صرح به ابن إسحاق حيث يقول : إن غزوة أوطاس فى غير ما وقعت فيه الحنين ؛ و يدل عليه بما فعل رسول الله صلى الله عليه و سلم من تقسيم جيش المسلمين إلى ثلاث جماعات و أرسلها إلى الطائف ، و النحلة ، و الأوطاس : و قاد الجماعة التى بعثت إلى الأوطاس أبو عامر الأشعرى .

فهذه ثلاثة أمثال تبين منها أن الحديث و السيرة يختلفان اختلافا كبيرا ، و يمتاز أحدهما عن الآخر. و لكن السؤال الذى يدور فى بعض الأذهان هو أنه : لماذا يقع هذا الخلاف ؟ و ما الذى يدفع العلماء إلى أن تعارض أفكارهم أفكار الآخرين و تعاكس آراؤهم آراء الآخرين ؟ فلا يصعب الرد عليه حيث نقول : إن الحديث الذى يرويه عدد من الناس فلا بد من الاختلاف فى بيانهم . فبسبب اختلاف العدد اختلاف الآراء. و يشكل خلاف الرواة خلافا فى الرواية . و هذا أمر حسى نشاهده دائما .

بذل العلماء ـ الذين لهم براعة كاملة فى العلوم الإسلامية ـ أقصى جهودهم للتطبيق بين الروايات التى يختلف بعضها عن بعض . و للتمييز بين الصحيح و السقيم ، الضعيف و القوى ألف ابن قتيبة الدينورى (المتوفى ٢٧٦ هـ) كتابا « تأويل مختلف الحديث » كما صنف فى الأردية كتابا مفيدا « اختلاف الأئمة » الشيخ محمد زكريا السهارنفورى مع أنه لا يبلغ إلى حد مطلوب من الإفادة .

و لا يهدف خلاف المحدثين و أهل السيرة إلي اختيار بعض الأحاديث و رد بعضها ، و إلي أن نضعف حديثا و نصحح حديثا آخر ، نعم نسلم أن الأحاديث التى تطابق ما شرط به الشيخان - البخاري و مسلم - راجحة على ما وافق عليه أهل السيرة ، و مع ذلك لا نقول أن ما ذهب إليه أهل السير لا يصح ، أو هو موضوع . و إذا كان الأمر كذلك فلا يسلك أحد من أهل السير ما سلكه آخر قبله ، و لا بد له من تقليد للطريقة التى اختارها المحدثون و سلكوها فى كتبهم ، و لكننا إذا درسنا كتب السيرة فوجدنا أن أهل السيرة مع أنهم يقفون إلى جانب ما قال الشيخان يضعون كتبهم على المناهج التى وضع عليها السابقون منهم . و يسلكون طريقتهم ، و لا يعدلون عنها . و أحسن مثال لذلك فى اللغة الأردية الطبيب الدانابورى مؤلف « أصح السير » حيث أنه لا يحيد عن موقف السابقين و ينص على ما سبق إليه القول . و ما قلنا من ترجيح حديث البخارى و مسلم لا يعد كليا ، لأننا لا نستطيع إنكار ما ورد من النظائر حيث أنها تدل على ترجيح ما مال إليه أهل السير على ما رأى المحدثون .

و هنا أذكر نظيرا : روى مسلم فى صحيحه أن أبا سفيان قال للنبي صلى الله عليه و سلم : إن أحسن العرب و أجملها أم حبيبة ، أزوجكها ؟ قال : نعم . و الذى وافقت عليه كتب السيرة أن النبى صلى الله عليه و سلم تزوج أم حبيبة قبل الفتح فى أرض الحبشة ، و عقد له عليها خالد ابن سعيد بن العاص و النجاشي ملك الحبشة (المتوفى سنة ٩ هـ) و أسلم أبو سفيان عام الفتح سنة ثمان من الهجرة ، و يؤيده رواية البخارى ، و أنكر الحافظ

الذهبي على حديث مسلم و قال: ما صح، ثم ذكر من أنه يحتمل أن يكون أبو سفيان طلب من الرسول صلى الله عليه و سلم تجديد عقد النكاح أو تزويج بنته الاخرى، و لم يصرح الذهبي باسم تلك البنت و اكتفى بالكناية عن اسمها . و قال الدكتور صلاح الدين المنجد - الذى أعد «سير أعلام النبلاء» للذهبي للنشر و الطبع و راجعه: إن الكتاب لا يحمل أى إيضاح أو تفسير سوى ذلك، و غرب حديث مسلم القاضى عياض كما يقول النووى، و قال ابن حزم: إنه وهم من بعض الرواة . و ذهب كذلك إلى وضعه و قال: إن السقم فيه من عكرمة بن عمار، و انتقد الحافظ عمرو بن صلاح رأى ابن حزم، و بالغ فى إنكاره عليه فقال: إن من الجسارة أن يتهم أحد عكرمة بوضع الحديث، مع أنه ما اتهمه به أحد من الأئمة الكبار، و وثقه - كذلك - وكيع و ابن معين، و قال عمرو بن صلاح: إن عكرمة كان مستجاب الدعوات. (انظر التفصيل فى شرح النووى لصحيح مسلم ٢/٢٠٤) . و لفظ ابن صلاح «إنه كان مستجاب الدعوات» إذا كان دليلا على ما ادعاه فنستغربه . لأن استجابة الدعوة لا تدل على ثقاهة أحد و إتقانه .

الفرق بين السيرة و التاريخ

تمتاز السيرة عن التأريخ مع أنها نوع منه، و قد وصف المؤرخ الكبير الكافيجى (المتوفى ٨٧٩ هـ) فى كتابه «المختصر فى علم التأريخ» التاريخ بأنه بحث عن الزمان و عن أحواله و عن ما يتعلق به . و ذكر السخاوى

السخاوى (المتوفى ٩٠٢هـ) فى كتابه «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ» أن التأريخ اسم للبحث موقتا و التاريخ دراسة حية عند المفكرين الغربيين .

و الشيء الذى يجدر بأن نلاحظه أن السيرة تعتمد على مآخذ معتبرة ، و على مصادر موثوق بها ، و التأريخ يؤمن بالقياس الاستقرائى أكثر مما يؤمن بتلك المآخذ و يعتمد عليها ، و السيرة لا تميل إلى القياس الاستقرائى ، لا بد من انطوائها على روايات تطابق الشروط الصحيحة و تستوفيها .

تحليل اعتراض علمى

كثيرا ما نسمع من بعض الأفواه أن الحديث النبوى و كذلك السيرة تتوقفان على روايات غير مكتوبة ، و هذا مما يقل عن قيمة الحديث و السيرة . و يحط من شأنهما ، و يجعل اعتماد المسلمين عليهما من ما لا أساس له .

و لا بد من أن نفهم أولا أن المحدثين وضعوا ضوابط و قوانين صارمة لقبول الروايات و لردها مما سيأتى له التفصيل ، اخترعوا العلوم الكثيرة للوصول إلى الأحاديث الصحيحة و إلى تميزها من الموضوعة و مما فيه من سقم و خلل .

و إذا تقصينا الروايات و تتبعنا أحوال صحابة الرسول و رجعنا إلى ما كان فى قلوبهم من ودّ للرسول صلى الله عليه و سلم و إخلاص له ،

و كان مقتضى ذلك أن يحفظوا كل ما يسمعوا من كلامه و يستذكروا كل ما يشاهدوا من فعله ، و لا ينسوا مهما تكن الأوضاع ، ثم إنذار الرسول صلى الله عليه و سلم : « من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده فى النار » ؛ و أى سبيل للصحابة إذا كان الأمر كذلك إلى اختلاق الكذب و نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم .

ثم إذا استعرضنا مع قطع النظر عن ذلك الاعتراض الذى التجأ إليه منكرو الحديث استعراضا علميا اتضح لنا أن الأمر ليس كما زعموه ، والحق أن الذين التصقوا هذه التهمة بالحديث و السيرة دللوا عليها بروايات تمنع عن الكتابة ، كما يروى مسلم عن أبى سعيد الخدرى : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم « لا تكتبوا عنى ، و من كتب غير القرآن فليمحه . و حدثوا عنى و لا حرج » ، و رواه أيضا سعد بن مالك ، و أبو هريرة ، و زيد بن ثابت و غيرهم من الصحابة ، لكن هذه الروايات كما يقول ابن قتيبة الدينورى فى « تأويل مختلف الحديث » : كانت مانعة عن كتابة على حين كان القرآن يوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية أن يهمل الصحابة الاهتمام بالقرآن ، و يميلوا إلى الأحاديث ، و بذا يختلط الأمر . و ملخص ما قال النووى أن المنع كان لمن يحملون ذاكرة جيدة و لا يتوقع منهم النسيان ، و كان المصابون بالنسيان على إجازة من الكتابة ، بل يجب عليهم أن لا يعتمدوا على ذاكرتهم ، و يكتبوا . و قال بعض الناس – اعتمادا على الأحاديث المانعة عن الكتابة و استدلالا بها – إن النبى صلى الله عليه و سلم كان يقف من الكاتب و الكتابة موقف

الاستنكار و الاستكراه ، و لكن الأمر يتضح - كصفاء الشمس - حينما نرى من بين الروايات الكثيرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم - كما صرح به ابن الأثير فى ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص - أمر عبد الله بأن يعلم أهل المدينة فن الكتابة ، و أمر كذلك شفاء بنت عبد الله بتعليم حفصة - زوج النبي صلى الله عليه و سلم - الكتابة .

إن الذين يدرسون التأريخ الإسلامى يكونون على معرفة بأن الإسلام روّج فن الكتابة ، و كان قبل الإسلام سبعة عشر رجلا كاتبا فى رحاب البيت العتيق ، و تسعة رجال فى مهبط الوحى المدينة ، لأن العرب كانوا يستنكفون من الكتابة . و لكن فضل الإسلام على مجتمع العرب أنه شجع هذا الفن ، و رقاه إلى الأمام . وساهم فى بناء مجتمع أفضل لا يبقى على استكراه الفنون و الاستنكاف منها . فأعد الإسلام عددا كبيرا من الذين مهروا فى هذا الفن . و نالت الكتابة أكبر نصيب من الأهمية فى مجتمع العرب ، و احتلت مكانة قصوى فى نفوسهم ، و كان إذا حذق أحد فى الكتابة و الرماية و السباحة فكان يلقب بالكامل .

و هنا سؤال : هل قيدت الأحاديث النبوية فى حياته ؟ سؤال لا بد للاجابة عليه من تتبع ما جاء فى الكتب ، فيروى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أمر بكتابة خطبة ألقاها عند قتل شخص راكبا ناقته و دفعها إلى شخص ، لم يصرح اسمه فى هذه الرواية ، و اقتصر بذكر « لأبى فلان » ولكن الروايات الأخرى تكشف عن اسم ذلك الرجل . فكان أباشاه من اليمن . و صرح ابن حجر فى ترجمة أبى رافع

بأنه كان على إجازة من الرسول صلى الله عليه و سلم للكتابة ، و كان عبد الله ابن عمرو بن العاص يقيد الأحاديث و يجمعها - على ما أظن - فى صحيفة تذكر فى كثير من الكتب ، و التى كانت تعرف بالصادقة و تحمل ألف حديث ، انضمت تلك الصادقة إلى المسند لأحمد بن حنبل . تدل الروايات - كذلك - على أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان قد أملى أحكام الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج و الصدقات فى حياته ، و كتب رسول الله صلى الله عليه و سلم كتاب الصدقة ، و قرنه بسيفه . و لم يخرج إلى عماله حتى قبض ، و كانت صحيفة حديث عند على رضى الله عنه ، و يؤيده ما يرويه البخارى عن أبى جحيفة . و كان أبو هريرة يتمتع بصحيفة همام ابن منبه الشهيرة (التى صدرت مع ترجمة أردية من حيدرآباد ، صححها الدكتور محمد حميد الله) . و صحيفة أخرى عند سعيد بن عبادة بن الصامت ، كما أخبر بها ابن سعيد ربيعة . و كانت المجموعات الكثيرة المكتوبة عند عبد الله بن عباس ، كما كانت الأحاديث المكتوبة عند عتبان بن مالك . و هذا الذى ذكرناه يحبط ما طعن به منكرو الحديث فى الأحاديث النبوية التى كتبت و قيدت - على ظنهم - بعد وفات صاحبها صلوات الله عليه و سلامه .

و نذكر فيما يلى ما عدّ مؤلف « أصح السير » من أسماء بعض الصحابة - و هو يستند فيما يكتب إلى « زاد المعاد فى هدى خير العباد » و « الزرقانى على المواهب اللدنية » - الذين خدموا السيرة تحريريا ، و قيدوا موادا تتعلق بها ، فهم : أبو بكر . عمر ، عثمان ، على ، فهيرة ، عمرو بن العاص ، أبىّ بن كعب ، عبد الله بن أرقم ، ثابت بن قيس ، حنظلة بن الربيع الأسدى ، مغيرة

مغيرة بن شعبة ، عبد الله بن رواحة ، خالد بن الوليد ، خالد بن سعيد بن العاص ، معاوية بن أبى سفيان ، زيد بن ثابت ، طلحة بن عبيد الله ، سعيد بن العاص ، أبان بن عثمان ، سعد بن أبى وقاص ، شرحبيل بن حسنة ، العلاء الدوسى و حذيفة بن اليمان رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . و كتب ابن عبد البر أن من روى فى السيرة يبلغ عددهم ثلاثة عشر ألفا .

بداية السيرة

قد ذكرت فيما قبل - و اعتمدت فى ذلك على مصادر يوثق بها - أن مواد السيرة كانت تذخر بها الصحائف ، و تحفظها صدور الصحابة وقلوبهم ، و لكن حملة الأقلام ما كانوا يميلون إلى تصنيف و تأليف ، فرغبوا فيه بتكليف خلفاء و ملوك ، كما جمع عبيد بن شريح أحوال القدماء فى « أحوال الماضيين » تمثيلا لما أمره به خليفة معاوية ، ثم كتب سعيد بن جبير تفسيرا للقرآن الكريم فى زمن عبد الملك بن مروان ، و ادعى الذهبى أنه ينتسب إلى عطاء بن دينار ، وكان العلماء قد اضطروا إلى تدوين العلوم و ترتيبها حين أجبروا من قبل الملوك مع استكراههم كتابة العلم ، كما يروى عن المحدث الكبير أبو بكر بن الشهاب الزهرى أنه ما كان يحب قيد العلم و لكنه كلف به ، و الفضل يعود - إذا قلبنا أوراق التاريخ - إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فى مجال تدوين العلوم . و نقل المؤرخ أبو نعيم الأصفهانى رواية فى تأريخه تدل على ما بذل عمر بن عبد العزيز فى هذا السبيل كل ما لديه من غال و رخيص ، و ضحى تضحيات جبارة ، و تقدم بخدمات ذهبية

لاينساها التاريخ الإسلامى ، لأنه أمر محدثى عهده و حملة أقلامه لتدوين الأحاديث فى كتب و صحائف . و قال ابن سعد : إن عمر بن عبد العزيز كلف قاضى المدينة و أستاذ العالم الكبير ابن شهاب الزهرى أبابكر بن محمد بن عمرو الأنصارى بكتابة الأحاديث . ويؤيده ما روى البخارى فى « باب كيف يقبض العلم » : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبى بكر ابن حزم : انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم فاكتبه . و روى سعد بن إبراهيم أنه أمر عمرو بن عبد العزيز بجمع السنن و الآثار . و الذى يتبين من هذا التفصيل أن الأحاديث دوّنت فى زمن خلافة عمر ابن عبد العزيز ، و أول من دوّنها - كما صرح به ابن حجر - ابن شهاب الزهرى ، نقل تصريحه هذا فضيلة الشيخ شبير أحمد العثمانى أحد علماء دار العلوم : أول من دوّن علم الحديث بأمر عمر بن عبد العزيز محمد بن مسلم عبد الله بن شهاب الزهرى . و يشير بعد عدة سطور إلى ما قال الحافظ ابن حجر : إن ما دون الزهرى كان من حيث المجموع ، أما على حسب الترتيب الفقهى فدون بعده . و اخترع ـ كذلك ـ ابن شهاب الزهرى علما آخر يتعلق بالتميز بين الصحيح و السقيم من الأحاديث .

و بذل عمر بن عبد العزيز أكبر اهتمامه و عنايته لدراسة المغازى و لإنشاء الحلقات لها فى المساجد ، فعين عاصم بن قتادة الأنصارى لهذا المنصب .

و الجهود المبذولة هذه حثت العلماء و المحدثين على التصنيف فى المغازى ، فبدؤا يؤلفون فيها ، و اختلف فيمن صنف - فى بادئ ذى بدء -

فی السیرة و المغازی، فیری حاجی خلیفه مؤلف «کشف الظنون»:
أول من صنف فیه الإمام المعروف بمحمد بن إسحاق بن یسار رئیس أهل المغازی ·

و یقدم الباحث العصری المصری الدکتور مصطفی الصبری فی تصنیفه «موقف العقل و العلم» أبان بن عثمان حیث أنه ألف فی السیرة أول مرة، و یقول: لیس المتقدم ابن هشام (المتوفی ۲۱۸ ھ) بل بدایة السیرة من أبان بن عثمان، ثم عروة بن الزبیر، ثم شرحبیل بن سعد، ثم الزهری - و هو أستاذ البخاری، و من الممکن أن یکون هو قد کتب بأمر عمر بن عبد العزیز ·

و رأی السهیلی بعد دراسته فی هذا الموضوع أن سیرة الزهری هی أول سیرة ألفت فی الإسلام · و یرجح الأستاذ شبلی النعمانی رأی السهیلی · · و هنا ثلاث مراحل للسیرة، نستعرضها استعراضا خاطفا دون استقصاء:

بدأت المرحلة الأولی للسیرة و کان المحدثون یعانون کل شقة و عناء فی سبیل جمع الأحادیث، و لا یقصدون فی الوقت نفسه إلا جمع الأحادیث لا یراعون فیها أی ترتیب، فدونت الأحادیث التی تتعلق بالسیرة کما دونت روایات الأحکام الفقهیه، و کان من رجال هذه المرحلة أبان بن عثمان، و عروة بن الزبیر، و شرحبیل بن سعد، و وهب بن منبه · و لعل الدکتور صبری جعل - من أجل ذلك - أبان بن عثمان أول من ألف فی السیرة و لکنه لا یدل علی ما أراده الدکتور، لأنه ما قصد إلا جمع الأحادیث

دون التزام لموضوع خاص أو ترتيب خاص، و تابعتها المرحلة الثانية، و جمعوا فيها الأحاديث حسب الترتيبات و حسب نزعاتهم و ميولهم إلى العلوم، فبعضهم عنى بالسيرة و جمع ما يتعلق بها، وكان من نوابغ هذه المرحلة أبو بكر بن حزم الأنصارى، و عاصم بن قتادة الأنصارى، و ابن شهاب الزهرى. ثم ازداد هذا المذاق، و جاء كثير من تلاميذ الزهرى الذين برزوا فى هذا المجال، كأصحاب المغازى و من كبارهم موسى بن عقبة (المتوفى ١٤١ ﻫ) و محمد بن إسحاق بن يسار (المتوفى ١٥٠ ﻫ) و هما على رأس هذه المرحلة، ألفا فى المغازى. و ما كتب موسى بن عقبة لم يبق بشكل مستقل، نعم يعتمد عليه فى كتب السيرة، و نال كتاب المغازى لابن إسحاق مكانة مرموقة لما يحمل من ميزات لا يحملها غيره، و يكفى للدلالة على علو مكانته فى هذا المجال الإشارة إلى أنه استند إليه البخارى فى مغازيه، و بدأها باسمه، و لكن ينكر على ثقاهته أحمد بن حنبل لأجل نقله الروايات من اليهود و النصارى، و لكن يعتمد عليه البخارى، و يثق به من كبار رجال الحديث يحيى بن معين و شعبة العجلى و أبو زرعة و ابن المبارك و أمثالهم، و ما ذكر من قول مالك « إنه دجال يضع الحديث» فنقده على بن المدينى، و لا يتهمه بشىء الحافظ الذهبى مع شدته فى هذا الأمر كما لا يخفى على أهل العلم. و لا نجد مغازى الرسول لابن إسحاق إلا فى سيرة ابن هشام، تلميذه إنه شرح ما جاء فى كتب ابن إسحاق من ألفاظ صعبة و أشعار عربية.

و أهم اسهم فى السيرة بعد ابن إسحاق : صاحب «كتاب المغازى و السير »ه
مد بن محمد الواقدى (المتوفى ٢٠٧ هـ) مع أن الواقدى متروك فى الأحكام ،
لكنه يؤخذ به فى باب السيرة ، و عدّه ابن الكثير من كبار أئمة هذا
فن لأنه كان يدخر موادا مكتوبة أفضل . و اشتد الشيخ شبلى النعمانى فى
أمر الواقدى ، و لا يعنى به أى عناية نظرا إلى أنه متروك الحديث عند
حاله ، فكأنه يريد ترك ما يقول فى باب السيرة ، مع أن أهل السير يأخذون
، و أخذ الأستاذ النعمانى بنفسه بروايات كثيرة من « كتاب الطبقات
لكبير» لكاتب الواقدى ابن سعد الذى يحيط بجميع روايات مغازى الواقدى ،
ترجم كتاب الواقدى إلى الأردية السيد عنايت حسين السيدن بورى فى
منة ١٢٨٤هـ = ١٨٦٥ م و طبعت بمطبعة نول كشور بلكناؤ ، و له تراجم
خرى فى الأردية .

ثم من جاء بعدهما جنى من أثمارهما و اقتبس مما تركا وراءهما من
راث علمى . وكان من حسن حظ الواقدى أنه وجد تلميذا رشيدا أخلد
ذكراه فى كتابه ، كما أحيا ابن هشام اسم أستاذه و أبقاه بما هذب كتابه
تقدم به فى ثوب قشيب و أسلوب جديد .

إن محمد بن سعد من أخص تلاميذ الواقدى و أرشدهم ، يحسبه صاحب
تاريخ بغداد « خطيب البغدادى من رجال العلم و الفضل و الفهم و العدالة ،
ضع كتابا ضخما يحفل مجلداه بذكر حياة الرسول صلى الله عليه و سلم . والمجلدات
لأخرى منه تجمع أحوال الصحابة و التابعين ، و نشرت من ليدن (هولندا)

*) طبع بتحقيق المستشرق مارسدن جونز بمطبعة جامعة آكسفورد بانكلترا .

فى ١٢ مجلدا كبيرا بعد تصحيح و ترتيب جديد و مع فهارس مفيدة بأمر ملك الألمان ، و الكتاب ينطوى على بعض ما لا أصل له فى الإسلام . فيتضح هنا ـ كما أعتقد ـ أن المسيحيين أظهروا فيه ما فى قلوبهم من خبث و دس نحو ديننا و تاريخنا .

ثم بدأت حركة التأليف فى السيرة ، و برزت نتيجة منها كتب فخمة جليلة فى هذا الفن .

و وضع الأستاذ شبلى النعمانى الهندى فى المجلد الأول من كتابه فهرسا كبيرا ، و مع أنه ناقص يشمل كثيرا من أسماء المؤلفين الذين أنكبوا على دراسة السيرة و على التأليف فيها فى عصور عتيقة . و نذكر بعضا منها فيما يلى :

« سير النبى » ألفه حافظ الحديث محدث بيت الله الحرام محب الدين الطبرى (المتوفى ٢٩٤ هـ) و يشتمل على روايات متصلة الإسناد يذكره صاحب كشف الظنون ـ الذى يجمع مهام الكتب فى العلوم و الفنون ـ من كتب مهمة . و تتمتع المكتبات الإسلامية بكتاب آخر بنفس هذا الاسم ألفه أبو عمرو صالح بن إسحاق الجرمى النحوى (المتوفى ٢٢٥ هـ) .

« سبيل الهدى و الرشاد فى سيرة خير العباد » وضعه المحدث محمد بن يوسف الصالحى الدمشقى رحمه الله (المتوفى ٩٢٤ هـ) كتاب ضخم فى موضوعه يستغنى عن التعريف يوجد فى سبع مجلدات كبيرة ، و اعتمد المؤلف فى إعدادها على ثلاثمائة كتاب ، و التزم ذكر الروايات الصحيحة دون الموضوعة .

و الذى يجدر بالذكر بعده « السيرة الحلبية » ألفها على بن برهان

الحلبي باسم « إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون » لبست ثوب الأردية وطبعت بديوبند .

وألف كذلك شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلانى (المتوفى ٩٢٣ هـ) كتابا كبيرا فى السيرة « المواهب اللدنية » عرفه مؤرخ كبير بقوله : « كتاب عظيم ، جليل الذكر ، كثير النفع ، لا نظير له فى السيرة » وزاده حسنا وجمالا ورفعة محمد بن عبد الباقى الزرقانى (المتوفى ١١٢٢ هـ) حيث شرحه شرحا بسيطا واضحا .

ولا بد هنا من أن نذكر كتاب « زاد المعاد فى هدى خير العباد » وضعه فى السيرة تلميذ أكبر لابن تيمية الحافظ ابن القيم الجوزى (المتوفى ٧٥١ هـ) فى أربع مجلدات ، نشرت ترجمته بالأردية أخيرا بباكستان .

ظهرت كتب عديدة فى العصر الحاضر للادباء الكبار من العرب ، ولكن لا يتسع المقام لأن نذكرها جميعا أو بعضا منها ، سوى ثلاثة كتب : « على هامش السيرة » للدكتور طه حسين ، « عبقرية محمد » لمحمود العقاد و « سيرة محمد » للسيد حسنين هيكل .

وتنقسم كتب السيرة فى الأردية إلى قسمين : نوع يشمل التراجم التى ترجمت من العربية والفارسية ، ونوع يشمل على كتب هى وليدة فكر لأصحابها . ومن الكتب التى انتقلت من اللغات الأخرى كتاب جسيم « مدارج النبوة » ألفه فى الفارسية الشيخ عبد الحق الدهلوى (المتوفى ١٠٥٢ هـ) وألبسها ثوب الأردية خواجه عبد المجيد ، يشتمل على حوالى مائتى ألف صفحة ، وطبعت بمطبعة نول كشور بلكناؤ .

و هنا رسالة في الفارسية للشيخ ولي الله الدهلوي (المتوفى ١١٧٦ ﻫ) باسم « سرور المحزون » و لها تراجم كثيرة . منها ترجمة للسيد شوكت على الشاهجهانفوري باسم « الدر المكنون » تحمل الحواشي المفيدة ، و طبعت سنة ١٢٥٨ ﻫ بمطبعة رونق الهند بكانفور . و ترجمته بنفس ذلك الاسم لمولانا سراج اليقين طبعت سنة ١٣٣٢ ﻫ بالمطبع المجتبائي . و ترجمة أخرى « ظهور المحزون » ترجمها رئيس القسم الفارسي الأسبق لدار العلوم بديوبند محمد عاقل الديوبندي . و شرح ضخم في ست مجلدات صدر من ولاية « تونك » (بالهند) على تكاليف أميرها السابق .

و هنا في العربية كتاب في السيرة (الشمائل للترمذي) أجاد فيه صاحبه الإيجاز و الاستيعاب ، لبس ثوب الأردية نظما و نثرا ، ترجمه لأول مرة مولانا كرامت على الجونفوري باسم « أنوار محمدي » . و ترجمة أخرى « خصائل نبوي » للمحدث الهندي الكبير محمد زكريا السهارنفوري ، و ترجمة للعالم الكبير الشيخ عبد الشكور اللكنوي نشرت من لكناؤ ، و ترجمة للاطفال للشيخ ثناء الله الأمرتسري . ثم بدأ التصنيف في الأردية ، فوضع الشيخ المفتي محمد كفايت الله (المتوفى ١٢٧٥ ﻫ) « تاريخ حبيب إله » و من ميزاته أنه اعتمد في إعداده على ذاكرته فحسب ، و ما رجع إلى الكتب ، و مع ذلك يحيط بجميع الروايات الصحيحة دون الضعيفة . و من الكتب التي ألفت في هذا الموضوع بالأردية تفوقها من حيث الضخامة و إجادة الأسلوب « سيرة النبي » للاستاذ شبلي النعماني الهندي و لتلميذه السيد سليمان الندوي .

معركة رمضان نحو منطلق جديد

محمد أبو بكر الغازيفورى
المدرس بالجامعة الإسلامية بدابهيل

يحلو لى أن أكتب بمناسبة حلول رمضان المبارك تلك الذكريات الخالدة التى يثيرها هذا الشهر المبارك كل ما أقبل علينا باليمن و البركات، فانه يكسبنا قوة و نشاطا متجددا لإحراز ما تبقى من الانتصار. فالذكر المتجدد لمعركة رمضان تنشيط للهمم و تجديد للاهداف، و تحضيض على الإقدام.

إن معركة رمضان كانت معركة حاسمة، فتحت ناحية جديدة من حياة العرب، و أعادت إلى الأمة العربيه الإسلامية ثقتها، و زادت صفحة مشرقة إلى صفحات فخارها و مجدها.

إن هذا المعركة غسلت العار الذى لحق بالمسلمين من أجل النكسة التى منى بها العرب فى ٥ حزيران، و ثبت أن تلك النكسة لم تكن إلا موقتة، و لم تكن هزيمة تورث الوهن و الضعف و الشعور بالنقص و التشاؤم بالمستقبل.. لم تكن تلك النكسة إلا بداية لانتصار قدر للعرب بعد خمس سنوات، و بداية هذا الظفر المبين الذى نالته الأمة العربية المؤمنة فى معركة رمضان الماضية.. لم تكن تلك النكسة إلا نقطة تحول عظيم فى حياة العرب شاهدت الدنيا آثاره بعد فترة قليلة.

و كنا نتعجب كثيرا فى ذلك الوقت من الذين كانوا يكتبون حول

تلك النكسة و يستفرغون جهودهم و يستنفدون قواهم فى الحط من شان العرب و جنودها البواسل ، و النيل من قادة الدول المحاربة ، و يعيبونهم بعيوب كانت خواطرهم أبا عذرها . و كم كنا نتأذى بصنيعهم هذا ، و كم كنا نتألم إذا ما يقع نظرنا على كلمة فيها طعن فى العرب و حط من قيادتهم و غض من مكانتهم ! و رددنا فى ذلك على هؤلاء فى ذلك الوقت حسب ما أوتينا من مستطاع و كشفنا عما كانوا فيه من خطأ .

غير أنا كانت فى قلوبنا شوكة تؤذينا حينا لآخر ، و هى شوكة تبعثر حبل العرب ، تفرق كلمتهم و انتشار صفهم و عدم تكتلهم على رصيف واحد لحل القضية المشتركة . و كنا نؤمن بأن النكسة التى كتبت للعرب فى خمس حزيران كان منشؤها الأصيل هو انتشار صفهم و تفرق كلمتهم على جانب خداع العدو الماكر ، و تألب الدول الاستعمارية على إخضاع العرب و تضعيف قواهم لتحقيق مآربهم الممقوتة و أهدافهم الخبيثة .

و لو كانت الدول العربية فى ذلك الحين متحدة الكلمة متفقة الغاية متراصة فى صف واحد لما قدر للعدو الانتصار الذى ناله على فجأة ، و لما قدرت للعرب تلك النكسة التى أساءت إلى سمعتهم و بطولتهم المثالية ، و جعلت العدو و الصديق كليهما يتفوهان بكلام كله تشاؤم و غضاضة من مكانتهم .

و لا شك أن تلك النكسة كانت من أفدح الكوارث و أغرب الأحداث شهدها تاريخ المسلمين . كانت تلك النكسة هزة عنيفة للعالم الإسلامى ، إلا أنا قد رأينا بأعيننا صدق قوله تعالى ﴿ عسى أن تكرهوا

شيئا

شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم ﴾ رأينا ما قدر الله تعالى من خير فى هذه النكسة، فأصبحت نقطة تحول فى حياة العالم العربى إذ أيقظت شعوره وهزت مشاعره، فبدأ العرب يشعرون بشدة بغسل العار الذى سود تأريخهم الزاهى، وتعمقوا كثيرا فى البحث عن الأسباب التى أدتهم إلى هذه المغبة، وأدركوا أن المجلبة الكبيرة لهذه النكسة هو تفكك حبلهم وتفرق كلمتهم وعدم ثقتهم بذوات أنفسهم والإكثار من القول بدل الإكثار من العمل.. لا نقول إنهم كانوا لا يثقون بذات الله، إلا أننا نضطر إلى القول بأن اعتمادهم على الله كان ضعيفا بالنسبة إلى اعتمادهم على أسلحة الأجانب.. أدرك العرب كل ذلك وعرفوا مواطن الداء، فقاموا بجد ونشاط وعزم صارم لمعالجته.

فأصبحت حرب خمس حزيزان درسا لهم، استفادوا منه كثيرا فيما بعد، وغلبوا على كثير من أزماتهم التى كانت عائقة فى سبيل استرداد المجد النائت واسترجاع الأرض المغصوبة. وإن حرب رمضان قد أظهرت أن العرب ما زالوا يستعدون بحيطة وحذر وجدّ ونشاط لاقتحام المعركة مرة أخرى، وما غفلوا للحظة واحدة من إعداد العدة الحربية وإزالة العوائق فى سبيل الانتصار.

وإن حرب خمس حزيزان قد أورثت فيهم يقظة وبصيرة ونفخت فيهم روح الغيرة والحمية والأنفة والإباء.. إنهم شعروا شعورا قويا بأن الطريق الوحيد إلى الانتصار وزعزعة كيان العدو أن يقضوا على جميع خلافاتهم، وأن يقوموا بلم الشعث، وتوحيد الكلمة، وجمع

الصف . فكانت حرب رمضان مشهدا رائعا للوحدة و الوئام ، و هذا كان أكبر انتصار للعرب .

كان المتشائمون يعتقدون أن العرب لا يمكنهم الانتظام فى سلك الوحدة ، و يستحيل انفكاكهم من الفرقة و الاختلاف ، إلا أن هذه المعركة قد حققت أنهم كانوا فى خيال و طيف ، و أن العرب فى إمكانهم أن يفككوا جميع أغلال الفرقة و الانتشار ، و فى إمكانهم أن ينتظموا فى سلك الاتحاد و الوفاق و الأخوة و المحبة .

لم تكن حرب رمضان إلا صورة حية ناطقة بكون العرب أمة طامحة مغيارا ، تدرك مضارها و منافعها ، و تنتهج منهج التبصر و التيقظ .

إن هذه الحرب قد خيبت جميع آمال المتشائمين . و برزت الأمة العربية فى ساحة القتال بشجاعة نادرة و بطولة مثالية ، و حطمت العدو و مطامعه تحطيما ، و زحزحت كيانه زحزحة ، و قضت على جميع مآرب الاستعمار الغاشم ، و ألجأت العدو أن يتكفكف عن غلوائه و خيلائه على رغمه منه .

شهد العالم بنظر الدهشة و الاستغراب اتحاد الدول الإسلامية ، و لا يزال يشهد ما حدث بعد هذه المعركة من آثار و نتائج هزت الدول المستعمرة و أحدثت ضجة كبيرة و صرخة عالية فى صفوف العدو .

إن هذه النتائج جعلت العدو و حلفاءه يتململون و يضطربون ، و حاول الاستعمار الصهيونى و الأمريكى أن يحدث الفرقة و الفتوق فى صف العرب ، إلا أن محاولته باءت بالفشل و الرسوب .

و كان

و كان من أكبر هذه النتائج أن عددا هائلا من دول إفريقيا قطعت علاقتها بالعدو. و كثيرا من دول أوربا انحازت إلى العرب و أيدت موقف العرب تائيدا صريحا و أنكرت بطر إسرائيل و غطرستها إنكارا سافرا.

و كذلك كان من أعظم نتائج هذه المعركة أن العدو قد أدرك أنه لا يمكنه الاستيلاء على الأراضى العربية بالقوة طويلا، و أنه سوف يرى - قريبا أو بعيدا - وبال أمره و عاقبة غطرسته الشيطانية.

و إن مؤتمر القمة الإسلامى بلاهور كان مشهدا غريبا للتجمع الإسلامى، جعلنا نتكهن بأن الغد للعرب و المسلمين، و جعلنا نتكهن بأن الأمة العربية ستسترد مجدها و شرفها، و تنال مكانة ممتازة بين مصاف الأمم، و تبرز قوة هائلة على مسرح الحياة - إن شاء الله تعالى.

و العزة لله، و الغلبة للحق

* * *

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافة أبى بكر يتعهد امرأة عمياء بالمدينة و يقوم بأمرها، فكان إذا جاءها ألفاها قد قضيت حاجتها. فترصد عمر يوما فاذا أبو بكر الصديق هو الذى يكفيها مؤنتها، لا تشغله عن ذلك الخلافة و تبعاتها، عندئذ صاح عمر حين رآه: «أنت هو لعمرى!»

قد جاء الأمر بالدعاء فى أكثر من آية ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية ﴾ و ﴿ ادعوه خوفا و طمعا ﴾ . و جاء فى الحديث الشريف أن الدعاء أفضل العبادة ، بل هو العبادة ، و قد قال بعض المفسرين فى تأويل قوله تعالى فى أول سورة الأنعام ﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ أي يسوون به غيره فى العبادة و الدعاء .

و ورد الدعاء فى كل آية أصاب فيها الإنسان ضر : ﴿ فاذا مسّ الإنسان ضرٌ دعانا ﴾ و بخاصة آيات ركوب البحر : ﴿ و إذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله ﴾ .

و الحق أن الدعاء بدفع الشر أو بطلب الخير طبيعة نفسية ، و لازمة من لوازم الإنسان . فمنذ خلق الله الإنسان إلى يومنا هذا تحدثنا الكتب و الآثار و تدلنا مشاهداتنا فى الناس و فى أنفسنا على أن الأفراد و الجماعات يدعون فى كل ما يصيبهم هذه القوة الخفية لتدفع عنهم الضر ، و يجدون فى ذلك تنفيسا عن أنفسهم و ترويحا عن قلوبهم ، و يشيع هذا الدعاء فى نفوسهم الأمل أن الله الحق ـ عند المؤمنين ـ أو الإله المزعوم ـ عند غيرهم ـ سيزيح عنهم الكرب ، و سيخفف عنهم البلاء .

* * *

عوامل تطور اللغات فى المجتمع الانسانى

فضيلة الأستاذ أحمد عبد الرحيم السائح
من مشيخة جامعة الأزهر

اللغات هى مجموعة من الرموز الاصطلاحية من حيث المفردات، ومجموعة من القواعد النحوية الاتفاقية من حيث ضبط تلك المفردات. فهى لهذا لا تخضع لمنطق عقلى عام، لأنها اصطلاحية اتفاقية تقليدية موروثة، أو بتعبير آخر: إن اللغة من الأمور الاعتبارية، والأمور الاعتبارية لا يشترط فيها أن تكون عامة بين الناس جميعا، إلا إذا اتفقوا على ما هو معتبر: أما إذا فقد عنصر الاتفاق اختلف الناس فيما هو معتبر.

وحيث أن اللغة من الأمور الاصطلاحية الاتفاقية التقليدية غير المتفق عليها بين الناس، لهذا اختلفت اللغات. فكان لكل لغة مفرداتها الخاصة بها وقواعدها ونظمها. واللغة لشدة التأثر بها والتطبع عليها تبدو لمتكلميها وكأنها من الأمور الطبيعية، ويبدو ما يخالفها شاذا غريبا لا يقبلونه إلا فى حدود معينة.

النمو والتطور:

حياة الإنسان لا تستقر على حال. علومه تتطور، وأفكاره تتسع، وحضارته تتقدم، وحياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية هى الأخرى تتطور وتتقدم وتنعقد؛ وهذا يعنى أنه يجد فى حياة الإنسان الجديد

من المعانى التى تتطلب وضع ألفاظ لها ، لهذا يلجأ الإنسان إلى لغتــه بمفرداتها و قواعدها يستعين بها ، يضع لهذه المعانى ألفاظا أو ينقل ألفاظا من معانيها التى وضعت لها إلى هذه المعانى الجديدة لتدل عليها . فان لم يجد الإنسان فى لغته ما يسعفه لجأ إلى الاقتراض من لغات أخرى ، و قد يصقل ما يقترض بمصقل لغته لينتظم فيها و كأنه منها . و لا يقتصر الأمر على الألفاظ بل يتعداها إلى الأساليب، فهى الأخرى تنمو و تتطور. و اللغة أداة و وسيلة فلا بد لها من أن تساير تطور الإنسان و إلا ماتت لأن حياتها بوفائها.

و هنا سؤال يقفز إلى الذهن و يتطلب الجواب : ما هى أسباب النمو و التطور و التبدل و تغير و الانقراض فى اللغات ؟

و الجواب على ذلك أننا نجد أهم تلك الأسباب فيما يأتى :

١ ـ النمو و التطور و التغير و التبدل فى حياة الإنسان نفسه، و هذا يدفعه إلى أن يضع لما يجد من جديد ألفاظا و أساليب و نظما لغوية

٢ ـ نقل الألفاظ الموضوعة للمعانى ، فتطاول الزمان يدعو إلى وضع ألفاظ جديدة

٣ ـ من المعانى ما يرتبط بعصر من العصور ، فاذا انقضى العصر لا تكون هذه المعانى من التراث الفكرى و الحضارى للجيل اللاحق ، فتهمل ثم تنسى باهمال ألفاظها

٤ ـ عدم وفاء اللغة بحاجة الإنسان إلى التعبير و التفاهم و حفظ و نقل

واتخليد

تخليد تراثه الفكرى و الأدبى، و أزاء ذلك يضطر الإنسان إلى أن يغير
يبدل . أو يهجر لغته

التحريف و التغيير و التبديل فى اللغة قد يستقر فى دلالاتـــه فيخرج
'صيل حتى ينسى

و لما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية اتفاقية غير مستقرة لهذا فقد تلد
ـات أو لهجات . و قد تستقر هـــذه اللغات ، اللهجات المولدة تهجر
ـة الأم

تسرب الدخيل و المولد إلى اللغـة مع عدم الحاجة إليهما ، و بمرور
مان قد يتغلب الدخيل و المولد على الأصيل

تجاوز الأمم و اختلاط الشعوب سبب من أسباب تطور اللغة و نموها
قترض اللغة من لغـات الأمم و الشعوب ما تقترض مما هو ليس
جودا فيها

تعرض الأمم للغزوات و النكبـات يعرض أحيانا الأمم المغلوبة إلى
ـان لغتها عند ما تفرض الأمم الغالبة لغتها إليها ، أو تتأثر لغـة الأمم
ـلوبة بلغة الأمم الغالبة

- انقراض الأمم و الشعوب يؤدى إلى تأثر لغتها ، لأن اللغات ترتبط
كلميها . فاذا انقرضوا انقرضت

- تشتت الأمة و الشعب يؤدى إلى تأثر لغتها أو لغته بلغات الأمم المخالطة
يؤدى إلى مسخ لغة الأمة المشتتة

١٢ - بعض اللغات تمتاز بسهولة قواعدها و مرونة أساليبها . و هذا قد يدفع بعض الأمم إلى هجر لغاتها إذا كانت قواعدها و أساليبها شديدة التعقيد .

نواحى التطور و التغير اللغوى

١ - التبدل الصوتى للحرف و الكلمة ، و ذلك بأن يتغير صوت الحرف ، و على سبيل المثال حرف الجيم العربى يلفظ فى لبنان و سوريا بصوت يختلف عنه فى مصر ، و فيهما عنه فى العراق ، و كذلك فى مصر نفسها حرف الجيم يلفظ فى الصعيد بصوت يختلف عنه فى القاهرة ، و كذا حرف القاف و الضاد . أو أن يتغير صوت الوحدة اللغوية

٢ - توسيع القاعدة اللغوية ، و ذلك بأن يخضع أهل اللسان ما يقترضونه لقواعدهم اللغوية فيجرون عليه ما تجرى عليه قاعدة لغتهم أو توسيع القاعدة لتشمل الشاذ غير الخاضع لها

٣ - اقتراض المفردات ، و ذلك حين تعجز قواعد اللغة عن الوفاء بوضع مفردات جديدة . أو لا يكون ذلك عن عجز و إنما تكون المفردات الأجنبية قد استقرت بحيث لا يمكن إحلال مفردات لغوية موضوعة بموجب القواعد اللغوية للغة

٤ - استعارة أساليب أو تراكيب لا تعرفها اللغة ؛ و من أمثلة ذلك فى اللغة العربية : « ذر الرماد فى العيون » و « عاش ستة عشر ربيعا » و « وضع المسألة على بساط البحث » و « لا جديد تحت الشمس » و « ساد الأمن فى البلاد » .. و من أمثلة ذلك أيضا الاصطلاحات الفنية و الإدارية :

كـ « هيئة المحكمة » و « تشكيل المحاكم » و « انعقدت المحاكم » و « تعريفة الرسوم » و « اللاسلكى » و « اللا نهائى » .

٥ ـ تبدلات فرعية مختلفة ؛ كالنقل ، و الارتجال ، و الاستعمال المجازى و النحت على غير قياس أو سماع .

مقاييس اللغة الحية

من اللغات ما توصف بأنها حية . و منها ما توصف بأنها ميتة . و الميتة هى اللغة التى تشتت الشعب الذى يتكلمها فخالط أمما و شعوبا مختلفة اللغات ، و كان أن مسخت لغة الشعب المشتت . و قد يطلق وصف الميتة على لغات تحتفظ بشخصيتها و ذاتيتها و يتكلمها الملايين ، و هذا هو الذى يدعونا إلى التساؤل : ما هى المقاييس التى يقاس بها كون اللغة حية أو ميتة .... ؟ مما يجاب به على هذا التساؤل : ان العلماء يختلفون فى المقاييس التى تعتبر اللغة لغة حية . و للاختلاف أسباب : فمن العلماء من يعتبر المجتمع هو المقياس ، فاللغة التى يرتضيها المجتمع بمفرداتها و قواعدها و أساليبها و نظمها هى اللغة الحية ، لأن اللغة ـ كما عرفها بعض الباحثين ـ هى وسيلة للتعبير و التفاهم و ليست غاية ، و للمجتمع أن يختار الوسيلة التى يرتضيها . و يضيف العلماء إلى ما سبق شرطا أخر إذا توفر فى اللغة باضافة إلى ارتضاء المجتمع كانت اللغة لغة حية ، و هى أن تكون اللغة سهلة فى قواعدها مرنة فى أساليبها و نظمها . و على أساس هذا المقياس للمجتمع أن يغير و يطور و يبدل فى اللغة ما شاء إلا فى حدود ضيقة كان يجرى تأليف و ترتيب الكلمات وفق نظام ثابت ليؤدى الكلام المؤلف منها معناه العام .

إن الحياة تتطور، وفي تطور مستمر، واللغة ينبغي لها أن تساير هذا، وهي وسيلة وللمجتمع أن يختار تلك الوسيلة، ولا ينبغي لتلك الوسيلة أن تقيد المجتمع وتقف حجر عثرة أمام تطوره واحتياجاته.

وبعض العلماء لا يعتبر المجتمع هو المقياس، بل يعتبر وفاء اللغة بحاجة الإنسان إلى التعبير والتفاهم وحفظ ونقل وتخليد آثاره الأدبية والعلمية والفكرية والعقائدية هو المقياس. فاللغة التي تفي بذلك لغة حية. ولا يسمح هؤلاء العلماء لأحد أن يغيروا ويبدلوا ويطوروا في لغتهم كيفما شاؤوا، بل لا بد أن يكون التطور والتغير في اللغة يجري على أساس من قواعدها وأساليبها اللازمة الاتباع، وهؤلاء العلماء يربطون بين لغتهم وبين تراثهم العلمي والفكري والحضاري، ويربطون بينها وبين عقائدهم ونظمهم وبينها وبين مشاعرهم وأهدافهم في الحياة.

* * *

سئل عمر رضي الله عنه يوما عما يحل له من مال الله؟ فقال: أنا أخبركم بما أستحل منه، يحل لي حلتان: حلة في الشتاء وحلة في القيظ، وما أحج عليه وأعتمر من الظهر، وقوتي وقوت أهلي كقوت رجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم، ثم أنا رجل من المسلمين يصيبني ما أصابهم.

أخبار

اخبار دار العلوم

القاديانية خارجة عن الإسلام

إعلان دار العلوم بديوبند

قد سبق أن دار العلوم قررت - قبل تقسيم الهند بمدة طويلة باجماع من علمائها أن نحلة القاديانية مرتدة و خارجة عن الإسلام بناء على إنكارها الصريح لعقيدة الإسلام الأساسية و القطعية «ختم النبوة»؛ و الحمد لله على أن العالم الإسلامى بعد إمهاله لهذه الفئة مدة طويلة قد كشف النقاب عن مؤامراتها الدنيئة العالمية الخطرة التى لاقت كل معاضدة و تشجيع من الإنكليز المستعمر، فأعلن اجتماع المنظمات الإسلامية بمكة المكرمة التى شارك فيه ممثلوا ٣١ دولة و قطر إسلامى (المنعقد فى ٥ أبريل سنة ١٩٧٤م) باتفاق من الآراء إعلانا تأريخيا حاسما باعتبار القاديانية مرتدة و خارجة عن الإسلام قطعا لإنكارها ختم النبوة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم و الإساءة إلى شخصية الرسول عليه الصلاة و السلام و إهانة الأنبياء الأخر عليهم السلام.

و إن هذا القرار التاريخى الذى جاء بالإجماع من العالم الإسلامى أيد أهل الحق فى العالم و أكد موقف العلماء الحق المبنى على الكتاب والسنة

أزاء اعتبار نحلة القاديانية نحلة مرتدة و خارجة عن الإسلام، وبناء على ذلك يستحق ممثلو الدول الإسلامة أهل الحق من علماء باكستان و كذا شعب باكستان المسلم شكرا و تهنئة على أنهم أيدوا و ناصروا موقف جميع مسلمي العالم الصريح عن ارتداد النحلة القاديانيـة على المستوى الحكومى، و احرزوا السبق فى هذا الخير و العمل الإسلامى العظيم.

و ناشد جميع علماء و شعوب الأقطار الإسلامية أن يساهموا مساهمة فعالة فى قمع فتنة القاديانية و استئصال جذورها بدافع من الغيرة الإسلامية على الدين و العقيدة، و لايتوانوا فى أمر هذه الفئة الباغية الأثيمه، و ينالوا من الله أجرا و ثوابا.

و إننا نعتقد أن قرار العالم الإسلامى هذا و تأييده المطلق و دعمه سوف يكون وسيلة مباشرة ناجحة لوقاية المسلمين شر القاديانية و دسائسها البغيضة، كما يكون قضاء على حركتها الهدامة.

و مع الترحيب بهذا القرار و التقدير و الشكر للساعين له ندعوا الله تعالى أن ينصر و يوئد ما جاء به سيدنا محمد العربى الهاشمى خاتم النبيين والمرسلين صلى الله عليه و آله و سلم من دين الحق - آمين، اللهم ! آمين.

* * * *

رد رابطة العالم الاسلامى
على برقية دار العلوم للتنهئة

قد أرسلت دار العلوم برقية تهنئــة إلى جلالة الملك فيصل المعظم ملك المملكة العربية السعودية و إلى رابطة العالم الإسلامى على قرار تاريخى اتخذته الرابطة فى اجتماع المنظمات الإسلامية بمكة المكرمة فى شهر أبريل ١٩٧٤م ، يعلن صريحا أن القاديانية نحلة غير إسلامية ، و هى معاندة و معارضة للاسلام ، فكان هذا القرار تجسيدا للمساعى التى بذلتها دار العلوم فى هذا الصدد قبل ثمانين سنة ، و تحقيقا للفتاوى التى أصدرتها الدار فى ذلك الوقت باعتبار القاديانية خارجة عن الإسلام .

و قد تلقت الدار برقية جوابية من سماحة الأستاذ الشيخ عمر صالح قزاز الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى ، يشكر فيها فضيلة الشيخ العلامة مولانا محمد طيب مدير دار العلوم و من معه من العلماء على ما يحملون من مشاعر طيبة و أحاسيس إسلامية نحو قرار رابطة االعالم الإسلامى ، و يؤكد فيها قائلا : إننا إنما حطونا هذه الخطوة الحاسمة كفريضة إسلامية علينا جميعا ، و ندعوا الله تعالى أن ينصرنا على أعداء ديننا من داخلنا و خارجنا ، ووفقنا لنصرة دينه .

٭ ٭ ٭ ٭

دار العلوم تخسر أحد علمائها الأفذاذ

العالم الكبير الشيخ محمد إدريس الكاندهلوى

فى ٢٩ يوليو ١٩٧٤م نشرت إذاعة باكستان نبأ وفاة العالم الكبير المحقق الإسلامى القدير الشيخ محمد إدريس الكاندهلوى أحد مشيخة دارالعلوم وعلمائها الأفذاذ الذى اشتغل فى الدار بالتدريس فى القسم العالى للحديث و التفسير مدة طويلة ، و اشتهر بورعه و زهده و شدة تمسكه بالشريعة الإسلامية ، و انكبابه الدائم على الدراسة و المطالعة و بساطته فى العيش ، إلى جانب غزارة علمه و سعة معلوماته .

قد خلف وراءه مكتبة زاخرة بمؤلفاته القيمة فى الدين و شروحه و حواشيه على كتب الحديث و الأدب و الفقه ، و لاقى شرحه لمشكاة المصابيح « التعليق الصبيح » إقبالا من المحدثين و الأساتذة الكبار و المدرسين و الطلبة كسائر حواشيه و مؤلفاته . فكانت وفاته خسارة ملموسة فى المكتبة الإسلامية و مجال التدريس و البحث و التحقيق ، أحس بها جميع الأوساط العلمية الدينية على اختلافاتها فى باكستان و الهند .

و قد انتقل من ديوبند بعد تقسيم الهند عام ١٩٤٩م إلى لاهور و اختارها وطنا و مسقرا له ، اشتغل منذ ذلك الوقت إلى وفاته بالتدريس فى « الجامعة الأشرفية » و تولى فيها منصب « شيخ الحديث » .

و قد عقدت دار العلوم حفلة عزاء و دعاء بالمغفرة و إيصال للثواب فور وصول نعيه ، و أظهر فضيلة الشيخ العلامة مولانا محمد طيب فى خطابه مشاعر حزنه على هذه الكارثة ، و دعا الله أن يغفر له مغفرة واسعة و يلهم ذويه الصبر الجميل .

مفتى فلسطين فى رحاب الله

إن شخصية سماحة المفتى الأكبر لفلسطين كانت من الشخصيات العديدة التى لايسخو بها الزمان و لا تأتى بها الأيام إلا فى القليل النادر ، فكان رحمه الله إلى جانب ورعه و سعة علمه و استنارة فكره على جانب كبير من الغيرة على دينه و قسط وافر من عاطفة الجهاد لحقه و للاسلام . كافح طول حياته لإحقاق الحق لأهل فلسطين الشرعيين ، و لم يعرف اسما للتوانى أو التغافل عن أهدافه . كما لم يقصر فى بذل تضحياته لاسترجاع فلسطين إلى أهلها و لإحلال الأمن فى ربوعها . فوفاته ليس وفاة رجل ، و إنما هو فوت حزب من أحزاب الله و خسارة لا يمكن التعويض عنها للامة العربيه الإسلامية جمعاء - إنالله و إنا إليه راجعون .

تلقت دار العلوم هـــذا النبأ المحزن المقلق فى غاية حزن و أذى ، و عقدت اجتماعا من الأساتذة و الطلبة للدعاء بالمغفرة و إيصال الثواب له ، رحمه الله رحمة واسعة ، و غفر له مغفرة كاملة .

و قد أرسلت الجامعة برقية تعزية إلى مبعوث جامعة الدول العربية فى دهلى ، أظهرت فيها قلقها البالغ عـــلى هـــذه الخسارة العظيمة و الحادثة المؤلمة .

برقية تعزية على وفاة الشيخ أنس يوسف ياسين

إن سعادة الشيخ أنس يوسف ياسين سفير المملكة العربية السعودية سابقا فى الهند كان رجلا عرف المسلمون فى شخصه ملامح رجل مؤمن حق و صديق مخلص ناصح إلى جانب لباقته و حنكته السياسية ، و قد أحب المسلمين فى الهند و أحبوه بدورهم ، فكان ذهابه من الهند مبعث حزن و فقدان رجل كريم . و قد شاء الله أن يفارق هذه الدنيا سريعا و يلحق بالرفيق الأعلى ، فحدثت له حادثة اصطدام فى تركيا فذهب ضحيتها و نال الشهادة عند الله – شمله الله برحمته و غفرانه . إنا لله و إنا اليه راجعون .

قد زار رحمه الله أيام سفارته فى الهند دار العلوم بديوبند ، و فرح بزيارتها و الاطلاع على نظامها معجبا بخدماتها و نشاطاتها نحو الإسلام . فكان بينه و بين الدار منذ ذلك الحين ارتباط قوى و اتصال عميق ، فأقلق خبر وفاته جميع أفراد الدار و أحزنهم فختموا له ختمة « لا إله إلا الله » لإيصال الثواب و دعوا له بالمغفرة .

و أرسلت دار العلوم برقية تعزية و مؤاساة على وفاته إلى جلالة الملك فيصل تشارك فيها حزن المملكة فى هذا المصاب .

دار العلوم ديوبند ترفض الاعانة الحكومية

إن حكومة الولاية الشمالية قررت في ميزانيتها للعام الجاري إعانة بعض المؤسسات الإسلامية، و في طليعتها دار العلوم بديوبند التي خصصت لإعانتها مائة ألف روبية، و حيث أن دار العلوم تلتزم منذ نشأتها مبدأ عدم قبول أي إعانة حكومية أو جهة رسمية حرصا على حريتها في نظام تعليمها الديني و سياستها الإسلامية: رفضت قبول هذه الإعانة معتذرة إلى الحكومة عن مبدئها، و شاكرة لها على هذه المبادرة.

* * *

احتفال سنوي للنادي الأدبي لدار العلوم بديوبند

انعقد في ٢٩ يوليو ١٩٧٤ م احتفال سنوي عظيم تحت رئاسة فضيلة الشيخ منت الله الرحماني أمير الشريعة في ولاية بيهار و عضو المجلس الشوري لدار العلوم بديوبند، نظمته الجمعية العربية المعروفة بـ «النادي الأدبي» لطلبة دار العلوم بديوبند، و هي جمعية تخدم الطلبة تمرينا على الخطابة و الكتابة باللغة العربية، يشرف عليها سماحة الأستاذ وحيد الزمان الكيرانوي. تصدر عن قسم الصحافة لهذه الجمعية اثنتا عشر جريدة خطية حائطية، و يعقد قسم الاجتماع حفلات أسبوعية و شهرية للتمرين على الكتابة و التكلم باللغة العربية.

و قدم الطلبة في هذا الاحتفال السنوي برنامجا حافلا بموضوعات

متنوعة من العلم و الأدب و الدين و السياسة و الاجتماع و الاقتصاد، كانت الموضوعات تحتوى خطبا و مقالات و محادثات ذات ملح أدبية و نوادر علمية .

و في الختام تقدم فضيلة الشيخ منت الله الرحماني رئيس هذا الاحتفال بكلمة الرئاسة تناول فيها ذكر ميزات و خصائص تحملها اللغة العربية دينا و أدبا ، و ألقى ضوءا على مكانة اللغة العربية في القرن العشرين و استنهض همم المشتركين في البرنامج و شجعهم تشجيعا كاملا ، و حثهم على مواصلة مجهودات في خدمة اللغة العربية كوظيفة شرعية .

و انتهى البرنامج بدعاء ضارع من الحاضرين ، و ترك في قلوب المحتشدين أثرا بالغا لا يزال متجددا .

* * *

تحت إشراف صاحب الفضيلة الشيخ مولانا محمد طيب رئيس الجامعة

مجلة
دعوة الحق

مجلة عربية إسلامية تصدر عن جامعة دار العلوم بديوبند كل ثلاثة أشهر

رئيس التحرير المسؤل :

وحيد الزمان الكيرانوى

المدرس بدار العلوم - بديوبند

الاشتراك السنوى :

فى الهند : خمس عشرة روبية

فى الخارج : ما يعادلها، عدا أجرة البريد

لطلبة المدارس : العربية عشر ربيات

العدد الثالث / المجلد العاشر

ذو القعدة سنة ١٣٩٤ هـ

نوفمبر سنة ١٩٧٤ م

طبعت بمطبعة

فهرس العدد

* * * *

القرآن ـ المعجزة الكلامية

* * *

فضيلة الشيخ مولانا محمد طيب

مدير دار العلوم بديوبند

تعريب :

أبو بكر الغازيبورى

المدرس بالجامعة الإسلامية

بدابهيل ـ غجرات

القواعد الخمسة لتاثير الكلام

- العقل و الفهم
- العلم و الخبر
- المنصب و المنزلة
- الصدق و الصفاء
- التأثير و التصرف

مسان على قبوله : هو العقل و الفهم .

الخبر :

المعيار الثانى لرد الكلام و قبوله ، فلا بد لصاحب الكلام أن

بسم الله الرحمن الرحيم

إن عظمة الكلام و سموه و قيمته تكون على قدر المتكلم و عظمته و قيمته و علو منصبه و اعتلاء مقامه ، فاذا كان صاحب الكلام رفيع الشان جليل المكان عظيم المقام . فيأتى كلامه أيضا على قدر شانه رفعة و جلالة و عظمة مما لا يكون لكلام آخر . و إذا كان الكلام خرج ممن له جلالة و عظمة فانه يقع من النفوس موقع الإجلال و العظمة ، و تتهيأ العقول و الأفهام لقبوله و الإصغاء إليه . و تنبعث فى القلوب عواطف الخضوع و الانقياد و الاتباع له ، كما يقول المثل السائر:

« قدر الشهادة قدر الشهود »

و إن منزلة المتكلم و مكانته تبتنى على عدة أمور ، أو نقول : على عدة قواعد ، و هى خمسة بحكم النظر و الاعتبار : (١) العقل و الفهم (٢) العلم و الخبر (٣) المنصب و المقام (٤) الصدق و الصفاء (٥) التأثير و التصرف . فان هذه الأمور الخمسة أو القواعد الخمسة هى التى تورث فى الكلام تأثيرا و قوة ، و تستلفت العقول و المدارك للاذعان له ، و الركون إليه . و [illegible] عن كل ذلك على سبيل الإيجاز و الإجمال:

العقل [illegible]

فضيلة الأستاذ أحمد عبد الرحيم سامح

[illegible] مقبولا ، بل

٩ ـ شرح سنن ابن ماجه باللغة الأردية

[illegible] عقله

١٠ ـ أخبار دار العلوم [illegible]

[illegible] و دقة

فانه

فانه لا ينال من السامع إصغاء و التفاتا ، و هذا كما أن الناس لا يعبؤن بكلام المخبول الذى مسته جنة لعلمهم بأنه متعرى عن العقل و فاقده ، وكما إنهم لا يحفلون بكلام الأطفال الصغار و إن كانوا يستمعون إليهم حباً لهم و شفقة عليهم ، لأن الأطفال و إن كانت لديهم مادة العقل ولكنها لم تنضج و أنهم مهما عقلوا فى هذه المرحلة لا يعبأ بكلامهم ، وكما أن المرأة لا يلتفت إلى كلامها فى غالب الأحوال لأنها ناقصة العقل بحكم الفطرة و الخلقة ، فانهم لا يقيمون على كلامها بناء العمل ، وكما أن الشباب و إن كانوا يتصفون بكمال العقل لا يجعل العقلاء كلامهم دستورا للحياة لتجردهم من التجارب الواسعة و الخبرة الطويلة و الحنكة الزائدة مما يوجد فى الشيوخ و الكبار ، و الذى يحدث به فى الكلام وزن و قيمة و ترتفع منزلته و تزداد عظمته . و على عكس ذلك كلام الشيوخ فالناس يعتنون به و يحترمونه احتراما و يصغون إليه إصغاء و يقيمون عليه بناء حياتهم و لو كانوا هم من غير أولى العلم لأنهم يحلبون أشطر الدهور و تعركهم الحياة و تتسع تجربتهم و يتصفون بدقة النظر و تمام العقل و نضوج المدارك ، إنهم لا يهرؤن هراء بل يزنون أولا الكلام ثم يتفوهون ، و لا يخرج من أفواهم شيء إلا بعد وعى و إدراك . و قد بدا من ذلك أن أول شيء يوجد فى الكلام عظمة و يرفع قيمته و يعلى شانه و يدفع الإنسان على قبوله : هو العقل و الفهم .

العلم و الخبر :

هذا هو المعيار الثانى لرد الكلام و قبوله ، فلا بد لصاحب الكلام أن

يكون متصفا بالعلم و الخبر ، فان الذى لا يكون عنده علم و اطلاع لا يوبه لكلامه ، و يقابله الناس بالاستخفاف و الاستهانة ، فان العلم يزيد الكلام قيمة و رفعة ، و يورث فيه عظمة وسموا . فاذا تكلم أحد فى موضوع من غير علم له بـــه فالناس لا يعبؤن بكلامه ، و يطون عنه كشحا ، و يعدونه ساقطا عن الاعتبار ، فان الذى يكون على هذه الصفة لا يكون كلامه حاويا لجميع نواحى الموضوع ، و لا جامعا لفروعه ؛ بخلاف ما إذا كان المتكلم دا ملكة راسخة و علم تام و بصيرة نافذة فالنـاس يأخذون بكلامه و يستدلون به و يضرب به المثل . فانه كلام صادر عن علم و مصدره معلوم ، و مهما يكون للانسان علم كثير يكون كلامه محيطا بجميع النواحى و حاويا لجميع الجزئيـات ، و يكون هو حكما كليـا فى صورة الجزئيه .

المنصب و المنزلة :

إن للنصب و المنزلة أيضا تأثيرا قويا فى كون الكلام مؤثرا و مقبولا ، فالناس ينظرون إلى شخصية صاحب الكلام ، فاذا كانت هى رفيعة الشان جليلة المكانـــة عظيمة المنزلة فيتلقون كلامه بأذن صاغيه ، و يرهفون السمع إليه و لو كان الكلام غير قيم فى ذاتـــه . فسمو مكانة صاحب الكلام يستلفت انتباه النـاس و هم يحسبون له ألف حساب ، و الكلام الذى يتفوه به رجل عادى لا يجد أذنا صاغية و لو كان هو قيما فى ذاته كما هو المشاهد ؛ ترى رجلا يتولى منصبا جليـــلا يكسو شخصيته عظمة و رفعة فانه إذا تكلم يستمع الناس له و يرهفون إليـه سمعهم مهما كان كلامه

كلامه عاريا بسيطا متجردا من الدقة و العمق متخليا من المعانى السامية ، و إن هذا الكلام البسيط العام الذى خرج من رجل له عظمة و مكانة يكون له أثر هام فى المجال السياسى و الاجتماعى؛ و يحدث أحيانا بلفظة واحدة و كلمة بسيطة إذا صدرت من رئيس دولة أو أحد رجال الحكومة تحول عظيم فى الحكومة و يبعث ثورة عظيمة فى شؤون العالم السياسية، و الناس يركزون إلى كلامه هذا أنظارهم و يكون هو مرمى توجهاتهم. ظهر من كل ذلك أن لمنصب المتكلم و مكانته أيضا تأثيرا بليغا فى كون الكلام مقبولا أو مردودا .

الصدق و الصفاء:

و يجب أن يكون المتكلم صادق القول نزيه النفس بريئا من الكذب ، فان للصدق و نزاهة النفس أثرا هاما و تأثيرا بالغا فى قبول كلامه و رده ، و كذلك يجب أن يكون هو مخلصا فيما يقول . فان الإخلاص يكسب كلامه قوة و نفوذا و سيطرة على القلوب و النفوس . لأن النفاق و الكذب يجعلان كلامه فاقد التأثير مهما كان هو مزخرفا مموها مزينا بالبلاغة و الفصاحة . و مهما كان هو قيما فى ذاته . فان الناس إذا لمسوا فى شخص مماذقة فآذانهم تنبو عن كلامه و لا تصغو إليه ، و أما إذا كان صاحب الكلام موصوفا بالإخلاص و صدق النية فيكون لكلامه وقع كبير و ضرب على أوتار القلوب و نفوذ إلى قرارة النفوس ، يخنع له كبار الناس و سلاطينهم و لو كان هو متجردا من حسن البيان خاليا من الصناعة اللفظية بعيدا من التوشية و التلميع و الزركشة و الزخرفة .

فالصدق و الصفاء أيضا معيار عظيم لقوة الكلام ، و لقبوله و رده و الركون إليه و نبذه أثر لازم لهما .

التأثير و التصرف :

و هذه هي القاعدة الأخيرة أو المعيار الأخير مما عددنا من المعايير المؤثرة للكلام فى أول هذه المقالة . و اعلم أن منشأ التأثير هو خلوص النفس و نزاهة القلب من الأقذار الباطنية و الأوساخ الداخلية ، فالتأثير فى الكلام يتعلق بداخل النفس أكثر مما هو يتعلق بخارجها ، فالذى يكون نزيه النفس طاهر القلب و زكى نفسه تزكية يحدث فى كلامه أثر قوى ، و تكون له هيمنة على القلوب . و هذا على عكس من لم يتطهر قلبه و لم تتزه نفسه فانه لا يؤثر كلامه فى القلوب و النفوس و لو كان هو خارجا من أصل البلاغة و الفصاحة ، و لا تتحول به أحوال القلب و لا يحدث أثراً ما فى النفس لا يصغى إليه و لا يستمع له ، إن هذا الكلام لا يهز أوتار القلوب و لا يقرع آذان الإصغاء لا يهتمون به إلا اهتمامهم بكلام الشعراء ، و يعدونه ساقطا عن الاعتبار .

فهذه هى القواعد الخمسة التى يقوم عليها بناء الكلام المؤثر النافذ إلى القلوب ، و هى التى تورث الكلام قوة و نفوذا ، و تمنحه قبولا و تجعل له قيمة و وزنا . و كل واحدة من هذه القواعد لها دخل عظيم فى كون الكلام مؤثرا و قيما ، و إن هذه الصفات الكلامية كلها مهمة فى ذاتها ، فاذا تجرد الإنسان من أية صفة من هذه الصفات يسقط كلامه عن عين الاعتبار . فتصور إذاً ما قيمة الكلام الذى يجمع هذه الصفات كلها ! و يوجد فى

صاحبه كل صفة من هذه الصفات و كل خصيصة من هذه الخصائص على أقصى درجة من الكمال ! و قد اجتمعت هذه المعايير كلها فى ذاته و بلغت مداها . بل إن ذاته هو المصدر و المنشأ الحقيق لهذه الأصول ، و تنبع هذه المعايير كلها من ذاته الخاصة ، و لا يوجد فى غيره إلا منه . و تصوروا كم يتصف كلامه بالدقة ! و كم يكون له من العظمة و الرفعة و التأثير و الانسجام و الانتظام ، و إلى أى مدى يبلغ فى الجامعية و الإحاطة ! و هل يمكن أن يوجد له عديل و مثيل ؟ أو يمكن لأحد أن يباريه و ينازعه ؟

و من البديهى أن ذات الله منفردة بصفاته الكمالية كما هو منفرد بذاته ، فهو أعظم من كل عظيم ، و أكبر من كل كبير ، إليه يرجع جميع الكمالات ، و منه تنبع جميع الصفات الحميدة ، و هو مجمع الخيرات و المبرات كلها ، لا يدرك أحد عمق كلامه فانه كلام جامع محيط ليس لمعانيه و دقائقه حد و نهاية ، و لا يدرك كنهه فانه بعيدى المدى و الغاية .

فاذا تفكرنا فى ذات الله و فيما يختص به من الصفات : وضح لنا أن ما للانسان من العقل و الفهم و قوة الإدراك و العلم كله من عطاء الله ، لا أنه سبحانه و تعالى وجد من عقل الإنسان و فهمه ، و ليس للعقل و الفهم معيار إلا أن له صلة بذات الله ، فانه سبحانه و تعالى خالق العقل و بايجاده وجد الإدراك و الفهم ، و إن ذاته تعالى هو المعيار الوحيد لكل عقل و إدراك ، إن عقل الإنسان لا يهتدى إلا بتوفيقه و هدايته و فهمه لا يصيب الصواب إلا بانارته الطريق له . و فى الحديث : « أول ما خلق الله العقل » و قال تعالى ﴿ و ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ .

و كذالك إن العلم فمصدره الحقيق ذاته تعالى ، و إن علمه ليس له حد و نهايـــة ، علمه محيط بكل شيء ، يعلم ما تخفى الصدور و ما تعلن ، لا يخفى عليه صغير و لا كبير . يعلم الغيب و الشهـادة ، قال تعالى: ﴿ عالم الغيـب و الشهادة ﴾ و قال ﴿ و أحاط بكل شيء علما ﴾ و قال ﴿ هو عليم بذات الصدور ﴾ و قال ﴿ يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم ﴾ و قال ﴿ يعلم ما يلج فى الأرض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها ﴾ .

و أما منصبه و مقامه فأى منصب أعظم و أجل من الألوهية و الربوبية ، فهو الإلـه الذى ليس له شريك . هو متصف بالأحدية و الصمدية ، مالك الملك ، يؤتى الملك من يشاء و ينزع الملك ممن يشاء ، فهل هناك أحد يحصل له منصب و مقام أعظم و أسمى من هذا المنصب و المقام! إن جميع المناصب و المقامات مهما كانت عالية و سامية تنهـار و تتخاذل أمام هذا المنصب الجليل العظيم العلى الكبير منصب الألوهية و الربوبيـة ، هو المعبود الذى يسجد له الشجر و الحجر و الإنس و الجن ، بيده الكون ، يجرى فيه حكمه و تصرفه ، و هو الحاكم المطلق و المتصرف الحقيق ، ليس لحكمه و تصرفه مانع و لا راد ، يفعل ما يشاء و ما يريد ؛ قال تعالى ﴿ إنى أنا الله لا إله إلا أنا ﴾ و قال ﴿ و هو على كل شيء قدير ﴾ و قال ﴿ له ملك السموات و الأرض ﴾ و قال ﴿ ملك الناس إلـه الناس ﴾ و قال ﴿ عند مليك مقتدر ﴾ و قال ﴿ لله الأسماء الحسنى فادعوه بهـا ﴾ و قال ﴿ فعّال لما يريد ﴾ و قال: ﴿ إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ .

و كذلك

وكذلك صفة الصدق تجتمع فى ذاته تعالى على وجه الكمال ، بل هو الجامع لجميع وجوه الصدق . فكلامه حق وصادق لا تشوبه شائبة من الكذب والزور ، وكلامه محك الأقوال الصادقة والكاذبة ، فكل قول وافق قوله تعالى فهو حق صادق ، وكل كلام خالف كلامه فهو كذب وباطل . فذاته تعالى منبع الصدق ومنشأ الحق ، كما قال ﴿ قوله الحق وله الملك ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾ .

ولما ثبت أن الله تعالى يتصف بصفة الصدق والحقيّة على وجه الكمال والتمام فثبت من هنا كذلك أن التأثير والتصرف والنفوذ والقوة كما يكون فى كلامه لا يكون فى كلام آخر ، وأنه سبحانه وتعالى لا يضارعه أحد من الخلق فى صفاء الذات وخلوه من الكدورات ، فانه تعالى نور كله وتتجلى أنواره فى كلامه كما تتجلى فى كل شىء من الخلق ، فكما أن لذاته هيمنة واقتداراً فكذلك لكلامه تأثير وتصرف وسيطرة على القلوب والنفوس ، تنشق بتأثيره أكباد الصخرات الصلبة وينفجر منها الماء ، وتتصدع به الجبال ، ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ﴾ . وإن هذا الكلام الإلهى كما يتأثر به الإنس كذلك يتأثر به الجن على السواء ، وكما أن الإنسان يخنع له وينقاد لبلاغته وروعته وجماله : كذلك من الجن من يتأثر وينقاد ويعجب ويؤمن ، كما حكاه القرآن عنهم :

﴿ إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به ﴾

ولما وضح جليا أن الله يتصف بجميع الصفات الكلامية على أكمل

وجه ، فكل من التأثير و التصرف و العقل و العلم و المنصب و المقام و الصدق و الصفاء يوجد فيه على أقصى منزلة الكمال لا يتصور فوق هذه المنزلة منزلة ، و إن لهذه الصفة ميزة من ميزات ذاته مختصة به لا توجد فى غيره ، فمن المستحيل أن يكون كلام أحد يضارع كلامه فى هذه الصفات من السمو و الرفعة و البلاغة و روعة الجمال و التأثير و التصرف و المعقولية و الاتزان و العلم و الاطلاع و الصدق و الحقية و الانسجام و الانتظام ، و لا يوجد أية صفة من هذه الصفات على وجه الكمال فى كلام أحد بحيث لا يمكن أن يماثله كلام غيره ، فان كلامه لا يمكن لأحد أن يدعى القدرة على الإتيان بمثله ، فانه سبحانه و تعالى منفرد بجميع وجوه الكمالات لا يعدله فيها أحد .

و من المعلوم أنه إذا كان الكلام يتصف بهذه الصفات العلية الكمالية و يتحلى بهذه الميزان الفذة فانه يأتى مطابقا لمقتضى الأحوال على وجه تام ، و يخلو من التعقيدات و التعويقات ، و يبلغ من الفصاحة و البلاغة و السلاسة و الحلاوة أقصى مراتبها .. فهذا الكلام المحيط بجميع الصفات المذكورة الذى ليس له عديل و مثيل و لا يؤتى بمثله : هو الذى نسميه بالقرآن ، هو كلام الله العلى العظيم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه . تنزيل من حكيم حميد ، قد أنزله الله تعالى على رسوله و أقرأه ، و هو مظهر لصفاته الكلامية النفسية ، تتجلى من خلاله أنواره و محاسنه .

اقرأ القرآن ، و تعمق فيه ، ترىٰ كل حرف و آية منه تنطق بهذه الوجوه الخمسة التى سلف ذكرها نطقا بينا . فليس هذا الكتاب المبارك بمجموعة

للاخبار و الأحكام فحسب ، بل هو الخضم الدافق السيال للفصاحة و البلاغة ، تفيض منه الحكم و العبر ، فكل حكم له فيه حكمة ، و ليس له نقل إلا فيه عقل ، و ليس له هداية إلا فيها فلسفة و سر من الأسرار الإلهية .

و لأن نعرف حكمه و فلسفته أمرنا الله تعالى - أولى الألباب منا - أن نتدبر فى آياته و نتفكر فى أحكامه . فحقائقه الغامضة و دقائقه البعيدة و أسراره الخفية لا تنحسر إلا بالتفكر و التعمق و النظر فى معانيه ، فهو عصارة العقول و الأفهام يحتاج إلى دقة النظر و الفكر ﴿ ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ﴾ ﴿ كتاب أنزلناه ليدبروا آياته و ليتذكر أولو الألباب ﴾ ﴿ إن فى ذلك لآيات لأولى النهى ﴾ ﴿ إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ ﴿ وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾ .

و إن القرآن زاخر بهدايات فطرية ، جامعة لكل ناحية من نواحى الحياة و المهمات ، و بأحكام و أخبار قوامها علم جامع يتصف به القرآن . يبين كل شيء بيانا واضحا و يفصله تفصيلا مستفيضا ، فهو تبيان لكل شيء و تفصيل له ﴿ تبيان لكل شيء و هدى و رحمة و بشرى للمسلمين ﴾ ﴿ و هو الذى أنزل الكتاب مفصلا ﴾ .

و القرآن هو كلام الله الذى تجتمع فى ذاته جميع المناصب العالية و المقامات الرفيعة ، إنه خالق كل شيء ، و مالك كل شيء ، هو العزيز المقتدر ، فبلغ بذلك كلامه ذروة قصوى من الرفعة و العظمة و السمو و العلو ، وكفاك دليلا على كونه عظيما أنه قد أنزله الله الذى اجتمعت له كل عظمة و قدرة ؛ قال تعالى ﴿ تنزيلا ممن خلق الأرض و السموات العلى ﴾

و قال ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾ و قال ﴿ إنه تنزيل رب العٰلمين ﴾ و قال ﴿ تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ و قال ﴿ الذى له ملك السمٰوات و الأرض ﴾ .

و القرآن كتاب قد وصفه الله نفسه بأنه عظيم ، فقال : ﴿ و لقد آتيناك سبعاً من المثانى و القرآن العظيم ﴾ و هذا البيان الإلهى و هذه الكلمات التى قد صدرت من الله سبحانه و تعالى تشعر بأن هذا الكتاب العظيم تحتشد فيه جميع الآثار الجليلة للمقامات الرفيعة و المناصب العالية .

و إن هذا الكلام كلام الإله الصادق الذى لا يدانيه أحد من الإنس و الجن و من جميع الخلق فى العالم فى صدقه و أمانته ، فكلامه أيضا حق صادق برىء من سمات الكذب و شوائب الباطل ، و هو مثال رائع و نموذج بديع فى كونه حقا و صدقا ، قال تعالى ﴿ يعلمون أنه منزّل من ربك ﴾ قال ﴿ إنا أنزلنا الكتاب بالحق ﴾ و قال ﴿ بالحق أنزلنا و بالحق نزل ﴾ و قال ﴿ نزّل عليك الكتاب مصدقا لما بين يديه ﴾ و قال ﴿ بل جاء بالحق و صدّق المرسلين ﴾ .

فحيث أن القرآن كتاب كله حق و صدق نازل من الصادق الأمين ، فانه قد خلا من كل تناقض و اختلاف ، كما هو شأن الكلام الصادق الحق ، فانه لا يوجد فيه الاختلاف و التناقض ﴿ و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ .

و لما تبين لك أن هذا الكلام قد اتصف بهذه الصفات العلية فقد بان كذلك أنه ليس فى العالم كلام و كتاب يضارعه فى التأثير

و النفوذ ، و لا نغلو إذا قلنا أن هذا الكتاب وهذا الكلام ليس بمؤثر بل إنه عين التأثير و التصرف .

و لاشك أن كلاما إذا كان موصوفا بهذه الصفة فانه يفوق كل كلام فى فصاحته و بلاغته ، و فى أسلوبه و نظمه ، و روعته و جماله ، و فصاعته و متانته ، و انسجامه و انتظامه . يستحيل نظيره ، و يعجز البشر عن الإتيان بمثاله ، و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

و إن فصاحة الكلام و سلاسته يتبعان للقوة الباطنية و الأحوال النفسية و الانسجام الداخلى و العلم بمقتضيات الأحوال . فهل هنا أحد من الخلق يماثل الله سبحانه و تعالى فى جماله الباطنى و نزاهة الذات ، و يجاريه فى علمه بمقتضيات الأحوال ! ؟ و إذا كان الجواب بالنفى فيجب أن يكون كله كلمة من كلام الله بالغا فى فصاحته و بلاغته حد الإعجاز ، تقوم البشرية أمامها حائرا و عاجزا عن الإتيان بمثاله ﴿قل لئن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ .

و فذلكة الكلام أن القرآن معجزة إلهية كلامية ، خضعت البشرية كلها بفصاحته و بلاغته ، و عجزت رغم تحدياته السافرة أن تأتى بآية مثله ، و هذا يشعر بأن هذا الكلام كلام معجز خارج عن طوق البشر ، يعدم نظيره فى فصاحته و بلاغته و أسلوبه و نظمه ، و لا يقدر أحد من الإنسان و الجن أن يقدم كلاما يماثل هذا الكلام ، و هذا من أبرز المعجزات للنبى صلى الله عليه و سلم .

سخط الله

شاور معاوية الأحنف بن قيس فى استخلاف يزيد، فسكت عنه. فقال معاويـــة: ما لك لا تقول؟ فقال: إن صدقناك أسخطناك، وإن كذبنـاك أسخطنا الله. فسخط أمير المؤمنين أهون علينا من سخط الله! فقال له معاوية: صدقت.

* * *

كتب أبو الدرداء إلى معاوية: أما بعد! فانه من يلتمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس.

* * *

كتبت عائشة أم المؤمنين إلى معاوية: أما بعد! فانه من يعمل بمساخط الله يصر حامده من الناس ذاما له ـ والسلام.
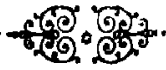
شرح الصدر ورفع الذكر

فضيلة الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد
الأزهر – القاهرة

قال الله تعالى ﴿ ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ، ورفعنا لك ذكرك ، فإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا ، فإذا فرغت فانصب ، وإلى ربك فارغب ﴾ .

• • • •

﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ أصل الشرح : البسط والتوسعة ، وقد كان العرب يكنون بعظم الصدر عن القوة وعظم المنّسة ، وعن المسرة وانبساط النفس للفعل ، وهم يفخرون بسعة الصدر ويجعلون ذلك من ممادحهم ، ووجه الكناية أن سعة الصدر تعطى الأحشاء فسحة للنمو والراحة ، وإذا تم ذلك للمرء كان رأيه حاضرا وذهنه صافيا ، ولم يضق ذرعه بأمر من الأمور .

والاستفهام الذى صدرت به الآية استفهام إنكارى ، معناه النفى ، فدخوله على النفى يفيد الإثبات ، والمعنى : شرحنا لك صدرك .

والنون للعظمة فى قوله « نشرح » وهى تدل على عظمة النعمة من قبل أن المنعم العظيم إنما يمنح العظيم من النعم ، فذلك إشارة إلى أن نعمة الشرح مما لا تصل العقول إلى كنه جلالتها .

واللام فى « لك » تدل على أن منفعة الشرح عائدة إلى الرسول

صلى الله عليه و سلم . و قد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يضيق صدره و يعتريه كثير من الألم و الحزن لتمادي قومه في تكذيبه و إصرارهم على اتخاذ آلهة دون الله ؛ فآتاه الله من آياته و منحه من صدق العزيمة و مضاء الهمة ما أخرجه من الحيرة التي كان يجدها في نفسه كلما رأى جمود قومه و عنادهم ، و علمه سبحانه كيف يسلك إلى نفوسهم ، و هداه إلى الوسيلة التي ينقذهم بها من الهلكة و يجنبهم الردى الذي كانوا مشرفين على الوقوع فيه ، و ما زال يتعهده بالوحي كلما التبس عليه شيء من الأمر أو ضاق عليه الخروج منه ؛ و بالجملة المراد من شرح الصدر أنه سبحانه أخرج عن نفسه جميع الهموم حتى كان لا يقلق و لا يضجر و لا يتحير و لا يتألم ، بل كان في جميع حالاته راضي النفس مطمئن الخاطر واثقا من تأييد الله و نصره ، عالما كل العلم أن الذي أرسله لا يخذله و لا يمين عليه عدوا[1] .

و قوله سبحانه تعالى ﴿ و وضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ﴾ « الوزر » : الحمل الثقيل . « و أنقض » معناه : أثقل ، و الأصل فيه أن الظهر إذا أثقله الحمل سمع له نقيض ، و النقيض : الصوت الخفي . و قد ذكر جمهور المفسرين أن المراد بالوزر في هذه الآية الذنب ، ثم راحو يتأولون الكلام و يتمحلون الأعذار ، و يختلفون في جواز ارتكاب الأنبياء المعاصي ، و كل هذا كلام لا داعي إليه ، و لا يلزم حمل الآية عليه ، و المراد

(۱) قال العلامة شبير أحمد العثماني : معنى الشرح أن الله وسع صدره فأنزل فيه بحارا من العلوم و المعارف ، و كذا أعطاه من الهمة ما تحمل به من أعباء الرسالة و مستلزمات النبوة ، و أعطاه من العزيمة ما يكفيه لمقاومة الأعداء الحاقدين مع كثرتهم الكاثرة .

- والله سبحانه و تعالى أعلى و أعلم - بالوزر الحيرة التى اعترته عليه السلام قبل البعثة حين فكر فيما عليه قومه من عبادة الأوثان و دعائها ، و تماديهم فى الطغيان ، و تبديلهم دين أبيهم إبراهيم ، و أيقن بثاقب فكره و صائب نظره أن للكون خالقا هو الجدير بالتوجه إليه و الصمود نحوه فى جميع الحوائج ، ثم تحير فى الطريق الذى يسلكه لعبادة هذا الواحد الأحد ، و ما زال كذلك حتى أوحى إليه ، و بين الله له بالوحى أهدى السبل و أقومها ، فزالت حيرته و ذهب عنه اضطرابه ، و لما أمر بدعوة قومه إلى الدخول فى دينه و صارحهم بهذه الدعوة قاموا فى وجهه وكذبوه و تألبوا عليه و راحوا يتهمونه مرة بالكذب و مرة بالجنون و مرة بالشعر ، فثقل ذلك عليه ، و غاظه من قومه الذين ما جربوا عليه كذبا أن يتهموه بالكذب ، كما آلمه من عشيرته الذين كانوا يعتقدون فيه تمام العقل و جودة الفكر و إصابة الجادة أن يرموه بالجنون ، فكان الحزن على حال قومه و حاله معهم يقميه و يقعده ، و الألم من تماديهم على الباطل و استمساكهم بالزائف ينال من نفسه ، و كان إيذاؤهم له يبعث الأسى إلى نفسه ، كل ذلك كان حملا ثقيلا و عبئا باهضا صعب عليه احتماله و شق عليه القيام به ، فليس الوزر الذى كان ينقض ظهره ذنبا من الذنوب اقترفه فهو يسأل منه الصفح و المغفرة على ما توهم المفسرون ، و لكنه كان هماً نفسيا يفوق ألمه ألم ذلك الثقل الحسى ، فلما هداه الله إلى إنقاذ أمته من أوهامها الفاسدة و اعتقاداتها الباطلة ، و أعطاه القوة و الصبر على المكاره كان ذلك بمثابة رفع الحمل الثقيل الذى كان ينوء بحمله ، لا جرم كانت

هذه الآيــة واردة على سبيل التمثيل ۱. و اقرأ إن شئت قوله تعالى { إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون و لقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك و كن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين } .

{ و رفعنا لك ذكرك } ۲ معناه: جعلناك عالى الشأن ، رفيع المنزلة ، عظيم القدر . و أى منزلة أرفع من النبوة التى منحها الله تعالى إياها ؟ و أى ذكر أنبه من أن يكون له فى كل ناحية من نواحى الأرض أتباع يمتثلون أوامره و يجتنبون نواهيه ، و يرون طاعته غنما و معصيته غرما ، و يعتقدون

---

(۱) قال العلامة العثمانى : إن نزول الوحى فى ابتدائه كان صعبا ثقيلا ، ثم سهل على النبى صلى الله عليه و سلم ، أو المراد أن النبى صلى الله عليه و سلم كان يشعر بثقل على نفسه فى حمل أعباء الرسالة و مسؤليتها فخفف الله من خاطره ذلك . أو المراد بالوزر تلك الأمور المباحة التى كان يفعلها رسول الله صلى الله عليه و سلم أحيانا لما يرى فيها من حكمة و صواب ثم يظهر له خلاف ذلك أو ثبت أن ما فعله كان خلافا للاولى ، فكان يتجرح خاطره و يدركه الهم و الحزن لعلو شأنه و غاية القرب إلى الله تعالى كما يكون الحزن فى حال ارتكاب المعصية ، ففى هذه الآية بشره الله بعدم مؤاخذته بتلك الأمور . و قال الشاه عبد العزيز رحمه الله : إن النبى صلى الله عليه و سلم كان يستصعب الصعود إلى المنزلة الرفيعة التى كانت تقتضيها مواهبه و همته العالية فشرح الله صدره و أزال عنه كل ما كان يصعب عليه فزال ثقله و انشرح صدره .

(۲) قال العلامة العثمانى : أى نبه ذكرك أيها الرسول بين الملائكة و الأنبياء و بين سائر العقلاء فى الأرض فيذكرونك باجلال و توقير ، و يذكر اسمك مصحوبا باسم الله فى الأذان و الإقامة و الخطبة و الكلمة الطيبة و التحية فى الصلاة ، و قد أمر الله عباده بطاعتك كلما أمر بطاعته ، فأنت مرفوع الذكر فى كل مقام .

أن من أطاعه فقد أطاع الله، و من عصاه فقد عصى الله، و أى شان أسمى من أن تفخر الملوك باتباعه و تشرف بانتساب إليه و تسترضى شعوبها بالعمل بسنته و الاهتداء بهديه ....! و هل من فخار بعد ذكره فى كلمة الإيمان مع الله العلى الرحمان! و هل من مجد أبقى على الدهر من ذكره فى الصلوات و الأذان! و استمع إلى حسان بن ثابت رضى الله و هو يقول:

أغرّ عليه للنبوة خاتم   من الله مشهود يلوح و يشهد
و ضم الإله اسم النبي إلى اسمه   إذا قال فى الخمس المؤذن أشهد

و قد روى أبو نعيم فى دلائل النبوة عن أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «أتانى جبريل فقال لى: إن ربك يقول: أ تدرى كيف رفعت ذكرك؟ قلت: الله تعالى أعلم. قال: إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معى».

ثم إنه سبحانه و تعالى بعد أن بين بعض نعمه على رسوله من شرح الصدر و وضع الوزر و رفع الذكر بعد استحكام الكرب و ضيق الأمر أراد أن يبين ان ذلك وقع على ما جرت به سنته فى خلقه فقال: ﴿فان مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً﴾[1] و لهذا وصل العبارة بالفاء

---

(١) أى إن المكاره التى تحملتها من قومك لابتغاء مرضاة الله فقد جعل الله لكل مكروه منها أنواع يسر متعددة كتقوية العزيمة التى سهل بها تحمل تلك المكاره، و رفع الذكر الذى يسهّل تصوره تحمل الشدائد و الصعوبات. أو المراد أن الله يقول: إننا حيث منحناك راحة روحانية و رفعنا عنك كل كلفة روحية (كما ثبت بقوله «ألم نشرح») فيجب أن ترجو مصانا عليك فى الراحة الدنيوية أيضا و نحن نعدك بأن كل الشدائد الحالية سوف تزول و تحل محلها راحة و يسر و نؤكد لك تأكيدا بذلك.

التى تدل على أن ما بعدها سبب فى حصول ما قبلها، ثم أكد ذلك بإعادة القضية بنفسها، مع تصديرها فى المرتين بحرف التأكيد، مما يدل على أن الغرض تقرير معناها فى النفوس و تمكينها من القلوب.
و «ال» فى «العسر» لاستغراق أنواع العسر المعروفة عند المخاطبين من: الفقر. و الضعف، و جهالة الصديق، و إنكاره الجميل. و قوة العدو، و شماتة الحاسدين، و ضعف المنة على مبالغة الكروب، و قلة الوسائل إلى إدراك المطلوب. فكأنه سبحانه يقول: إنه مهما اشتد العسر و صعب على النفس التخلص منه فانى أجعل للانسان منه مخرجا إذا تذرّع بالصبر و اعتصم بالتوكل علىّ. و لقد كان هذا حال النبى صلى الله عليه و سلم؛ فانه قد ضاق به الأمر فى بادئ الحال قبل النبوة و بعدها على ما قدمنا بيانه، فلم يثنه تألب قومه عليه، و لم يفلل من عزمه تكرار إيذائهم له، و لم تكسر من مضائه حدة قومه و شدتهم فى التجميع له، بل صبر على مكروههم، و ألقى بنفسه فى غمرات الدعوة متوكلا على الله محتسبا نفسه عنده راضيا بكل ما يجد فى هذا السبيل، و لم يزل على هذه الحال حتى منحه الله أنصارا أشربت قلوبهم حبه، و أفعمت أنفسهم بالرغبة الصادقة فى الدفاع عنه و عن دينه، و رأوا أن لا حياة لهم إلا بتهديم أركان الشرك و الوثنية، و اشتروا ما عند الله من جميل الثواب بأرواحهم و أموالهم و أولادهم و أزواجهم؛ فكان له من هؤلاء رضى الله عنهم ما زعزع أطواد الكفر و الطغيان، و أزال حصون العناد و البهتان، ثم كان لهم ما قوّض دعائم الأكاسرة و أباد غضراء القياصرة و الأباطرة. فكم فى قوله جلت كلمته ﴿فان مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا﴾ من التسلية بالوعد بارتفاع الحال و تملك نواحى الأمور.

و روى

وروى أن المشركين كانوا يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه الفقر وضيق الحال، وأكثروا من ذلك حتى سبق إلى ذهنه أنهم إنما انصرفوا عن اتباعــه ورغبوا فى معاداته لفقره؛ فذكره سبحانه وتعالى بما أنعم عليه من جلائل النعم التى لا يعدّ إلى جانبها المال ولا غيره من متاع الدنيا، ثم وعده بأن يبدل حاله من الفقر إلى الغنى، ومن قلة الأعوان إلى كثرة، ومن عداوة قومه إلى محبة، وأشباه ذلك.

ولا بد أن تعلم أن المراد من أن اليسر يعقب العسر لا محالة، ومن أن اللـه جلت قدرته قد جعل لـكل ضيق فرجا، وجعل من كل ألم مخلصا، لا بد أن تعلم أن المراد من ذلك على ما كررنا أن تحتمل بعزم ثابت، وتعمل على التخلص منه بما وهبك الله تعالى من القوى عما كانت حال النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وتـكل ـ مع ذلك ـ نجاح أعمالك وإيصالهــا إلى ما تشتهيه إلى ربك القادر، خالق القوى والقدر؛ فليس يجمل بك أن تجزع لما ينزل بك من مـكروه فان الجزع لا يأتى بخير، ولا يجمل بك أيضا أن تصبر على المـكاره ثم تسكن لها وتتخاذل أمامها فلا تحاول أن تدفعها عن نفسك زاعما أن ذلك ينافى الصبر والتوكل على الله! فان فى ذلك من الخطأ ما ليس يخفى على من له أدنى بصر. وليس يجمل بك أن تتعجل اليسر وتجزع إذا تأخر عنك؛ فان الأمور مرهونة بأوقاتها التى قدر الله تعالى حصولها فيها.. وخلاصة الأمر أنه يجب على الإنسان كلما وجد نفسه قد وقعت فى عسر أن يقابله بالصبر، وأن يأخذ فى أسباب تفريجه عن نفسه، وأن يجعل النجاح موكولا إلى

ربه، و ألا يستبطئ النجاح فيدعوه استبطاؤه إلى التوانى و تفتر عزيمته.

ثم إنه سبحانه و تعالى بعد أن بين نعمه على رسوله و وعده بتفريج كربه و تبديل عسره أخذ يطلب إليه أن يقوم بحق هذه النعم عليه، و ذلك بالانقطاع إلى العمل الصالح و الجد فيه، و الرغبة إلى الله تعالى و اللجوء إليه من عداه؛ فقال سبحانه ﴿ فاذا فرغت فانصب و إلى ربك فارغب ﴾[1] و المعنى إذا فرغت من عمل من الأعمال فاتعب فى مزاولة عمل آخر، لأنك ستجد فى المثابرة على العمل لذة تقر بها عينك و يثلج بها صدرك. و المراد حثه عليه الصلاة و السلام على الاستدامة و المواظبة على الأعمال.

و قوله ﴿ و إلى ربك فارغب ﴾ معناه لا ترغب فى ثواب عملك و استثماره إلا إلى ربك. أو ارغب فى كل ما تطلبه و تلتمسه من شؤون الدين و الدنيا إلى الله وحده؛ فاستنصر به على أعدائك. و اسأله تكثير أوليائك، و غير ذلك. و تقديم المعمول و هو قوله « إلى ربك » يفيد القصر. و قرئ « فرغّب » و معناه رغّب الناس فى الالتجاء إلى الله وحده و أعلمهم أنه سبحانه الحقيق بالتوجه له و الضراعة إليه ـ و الله سبحانه تعالى أعلى و أعلم

---

(١) قال العلامة العثمانى: إذا فرغت من نصح الخلق و إفهامك إياهم فانقطع إلى فى الخلوة و اجتهد من يسبب لك مزيدا من اليسر. إن نصيحة النبي صلى الله عليه و سلم للخلق و إفهامه إياهم كان من أفضل عبادة له إلا أنها لم تكن خالية من وساطة الخلق فأمره الله أن يتوجه إليه بدون وساطة أيضا و ينقطع إليه كليا كما تقتضيه منزلته عند الله.

روائع الحكم

قبسات من مؤلفات الإمام الكبير الشيخ محمد قاسم النانوتوى
مؤسس دار العلوم بديوبند

الدليل على كون الله قادرا مطلقا

التقييد فى الحقيقة اسم للتقطيع ، و التقطيع : استخراج الشيء الصغير من الكبير ، فاذا جرى هذا التقطيع فى الكليات فيكون الشيء الصغير المستخرج (لكونه فى إحاطة الشكل الذى حصل بعد القطع) مقيدا ، و يكون الشيء الكبير بالنظر إلى أنه خارج من هذا القيد مطلقا ؛ فالمطلق هو الذى لا يكون له مانع و لا محيط .

و إذا ثبت هذا فنقول : إن الله قادر على الإطلاق ، ليس فوقه أحد . فان لم يكن كذلك لزم أن يكون مقيدا ، و المقيد هو الذى يكون فى إحاطة غيره ، فوجب أن يكون فى هذه الصورة إله آخر فوق الله ، و من كان شأنه كذلك لا ينبغى أن يكون إلها ؛ فعلم أن الله قادر على الإطلاق .

العالم الحقيقى

إن السمع و البصر إن كانا مدركين للاشياء فانما هو بالعرض ، و إلا فالمدرك الحقيقى هو العقل و النفس الناطقة . و كذلك العالم الحقيقى هو النبي محمد صلى الله عليه و سلم . و سائر الأنبياء و الأولياء و العلماء

السالفون منهم و القادمون فعالميتهم إنما هى بالعرض لا بالإصالة .

و معلوم أن علوم الأولين تغاير علوم الآخرين . و لكن هذه العلوم كلها تجمعت فى النبى الكريم صلى الله عليه و سلم ؛ كما أن علم السمع يختلف عن علم البصر ، إلا أن النوعين يجتمعان فى القوة العاقلة و النفس الناطقة ، فذات الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم مستوعبة كذلك لجميع علوم الأنبياء و مجمع لها .

الفاعلية و الانفعالية

من المعلوم أن لكل فعل فاعلا ، و لكل تأثير مؤثرا ؛ و هكذا لا بد من مفعول (منفعل و متأثر) ، و لا يكون المنفعل إلا ما كان فيه قابلية الانفعال و التأثر ، و كما أن المؤثرات تكون متفاوتة فى التأثير كذلك المتأثر يتفاوت فى كيفية القبول و التأثر ، و لكن عدم قابلية المتأثر أو نقصانها لا يكون سببا لعدم تأثير المؤثر أو نقصانه ، و هكذا لا يكون عدم تأثير الفاعل أو نقصانه سببا لعدم تأثير المنفعل أو نقصانه . كمثل الشمس ، فانها من ناحية إنارتها للسماء و الأرض فاعل مؤثر ، و المرآة أزاءها متأثر منفعل ، و الأول كامل فى تأثيره ، و الثانى فى قابليته و تأثره ، و لكنا إذا افترضنا أزاء الشمس حجرا مكان المرآة فيلزمه نقصان القابلية و التأثر بنور الشمس بالنسبة إلى المرآة ، و لو افترضنا مكان الحجر روحا أو هواء أو صوتا لزمه عدم القابلية و التأثر ، و لكن الشمس فى كلتا الحالتين تبقى كاملة التأثير فى الإنارة ، لا ينقص تأثيرها و لا يعدم بنقصان قابلية الحجر أو فقدان القابلية لنور الشمس فى الهواء و الروح و الصوت..

و هكذا لو افترضنا بالعكس فوضعنا المرآة أزاء الشيء الأسود بدلا من الشمس فلا يلزم من ذلك نقصان قابلية المرآة للنور أو عدمها . فموجز الكلام أن نقصان قابلية المنفعل أو عدمها لا يستلزم نقصان التأثير و عدمه فى الفاعل المؤثر ، و كذا العكس .

عدم معرفة السبب لا يستلزم إنكار المسبب

إن عدم معرفة سبب الشيء لا يستلزم إنكار وجوده ، فالنار - مثلا - محرقة و الشمس منيرة ، فهل نستطيع أن نجحد حرارة النار و نورانيـة الشمس لمجرد أننا لم نعرف السبب فى إحراق الأول و إنارة الثانى .

الـكـثرة و الوحدة

إن الجملة يمكن تحويلها إلى مفرد مُأول ، و لـكن لا مجال للعكس ، فالمفرد لا يكون بتأويل الجملة أبدا . و العلة فى ذلك أن الـكثير الحقيقى يمكن جعله مفردا حكميا بواسطة الهيئـة الاجتماعيه ، و لـكن الواحد الحقيقى لن يجعل كثيرا حقيقيا بحيلة ما .

فكاهة أبي دلامة

و دخل أبو دلامة على أبي جعفر المنصور يوما و عليه قلنسوة طويلة . و كان قد أخذ أصحابه بلباسها . و أخذهم بلبس دراريع عليها مكتوب بين كتفي الرجل ﴿ فسيكفيكهم الله و هو السميع العليم ﴾ و أمرهم بتعليق السيوف على أوساطهم ، فدخل عليه أبو دلامة فى ذلك الزى فقال له : كيف أصبحت أبا دلامة ؟ قال : بشرّ حال يا أمير المؤمنين ! قال : كيف ذلك ـ ويلك ؟ قال : و ما ظنك يا أمير المؤمنين بمن أصبح وجهه فى وسطه و سيفه على إسته . و قد نبذ كتاب الله وراء ظهره ! فضحك أبو جعفر و أمر بتغيير ذلك ، و أمر لأبى دلامة بصلة .

* * *

الشكر

قال النبي صلى الله عليه و سلم : ما أنعم الله على عبده نعمة فرأى عليه أثرها إلا كتب « حبيب الله شاكراً لأنعمه » و ما أنعم الله على عبده نعمة فلم ير أثرها عليه إلا كتب « بغيض الله كافرا لأنعمه » .

* * * * *

سمع النبي صلى الله عليه و سلم عائشة رضى الله عنها تنشد أبيات زهير بن جناب .

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه   يوما فتدركه عواقب ما جنى

يجزيك أو يثنى عليك فان من   أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فقال النبي عليه الصلاة و السلام : صدق يا عائشة ، لا شكر الله من لا يشكر الناس .

الزكاة علاج الفقر فى الاسلام

فضيلة الشيخ يوسف القرضاوى

تمهيد :

قبل أن أبين وجوب الزكاة و منزلتها فى دين الإسلام يحسن بى أن أعرض لما كان عليه الفقراء و الطبقات الضعيفة فى المجتمع قبل الإسلام ، و إلى أى حد عنيت الشرائع و الديانات السابقة برعاية حاجتهم و علاج مشكلتهم ، حتى نعرف بالدراسة و الموازنة كيف سبق الإسلام كل الديانات و المذاهب بعلاج هذا الجانب الهام علاجا جذريا أصيلا . و أقام بنيان العدل و التكافل الاجتماعى على أمتن الأسس ، و أرسخ القواعد ، التى جاء بها كتاب الله ، و بينتها سنة رسوله صلى الله عليه و سلم .

الفقراء فى الحضارات السابقة :

عرف الإنسان الفقر و الحرمان من أزمنة قديمة ، و عرف التاريخ الفقراء و المحرومين منذ عهود سحيقة ، و من الانصاف أن نقول : إن الحضارة الإنسانية لم تخل فى عهد من عهودها من أناس يدعونها إلى ذلك المعنى الإنسانى الأصيل ، و هو إحساس الإنسان بآلام أخيه ، و محاولة إنقاذه من بؤسه و حرمانه ، أو التخفيف من ويلاته على الأقل . غير أن الوضع الذى كان عليه الفقراء عمليا كان سيئا للغاية ، و كان نقطة سوداء فى جبين الإنسانية ، و لم يتقيد المجتمع بما أوصى بـه الحكماء ، و نادى به العقلاء .

وهذا باحث كبير[1] يحدثنا عن هذا التاريخ الأسود منذ أقدم الحضارات، تاريخ العلاقة بين الأغنياء الواجدين والفقراء المحرومين، فيقول: فى أية أمة من الأمم أجال الباحث نظره وجد طبقتين من الناس لا ثالثة لهما: الطبقة الموسرة، والطبقة المعسرة؛ ووجد بازاء هذا أمرا جديرا بالملاحظة، وهو أن الطبقة الموسرة تتضخم إلى غير حد، والطبقة المعسرة لا تفتأ تهزل حتى تلتصق بأديم الأرض، معيبة رازحة، فيتداعى البناء الاجتماعى لوهن أساسه. وقد لا يدرى المترفون من أى النواحى خر عليهم السقف.. كانت مصر فى عهدها القديم جنة الله فى الأرض، وكانت تنبت من الخيرات ما يكفى أضعاف أهلها عددا، ولكن الطبقة الفقيرة فيها كانت لا تجد ما تأكله. لأن الطبقة المؤسرة كانت لا تترك لهم شيئا غير حثالة لا تسمن ولا تغنى من جوع. فلما أصابتها المجاعة على عهد الأسرة الثانية عشر باع الفقراء أنفسهم للأغنياء، وساموهم الخسف، وأذاقوهم عذاب الهون.. وفى مملكة «بابل» كان الأمر على ما كان عليه مصر، لا حظ للفقراء من ثمرات بلادهم، مع أنها كانت تسامى بلاد الفراعنة نماء وخصوبة. وكانت تجرى مجراها فارس. أما لدى الأغارقة (اليونان) الأقدمين فكان الأمر لا يعدو ما تقدم بل تروى عن بعض ممالكهم أمور تقشعر من هولها الجلود، فقد كانوا

---

(1) هو المرحوم الأستاذ العلامة محمد فريد وجدى، مؤلف دائرة المعارف القرن العشرين ورئيس تحرير «مجلة الأزهر» لسنين عديدة. وهذا النقل من كتابه «الإسلام دين عام خالد» ص ١٧٩ - ١٨١ الطبعة الأولى.

يسوقون الفقراء بالسياط إلى أقذر الأعمال . و يذبحونهم لأقل الهفوات ذبح الأغنام .. أما فى إسبارطة من ممالكهم فقد كان الموسرون تركوا للمعسرين الأرض التى لا تصلح للانبات فذاقوا ألوان الفاقة غير محرومين .

و كان الأغنياء فى أثينا يتحكمون فى الفقراء إلى حد أنهم كانوا يبيعونهم بيع العبدان إذا لم يؤدوا لهم ما كانوا يفرضونـــه عليهم من الإتاوات .. أما فى رومة منبع الشرائع و القوانين و وطن الفقهاء و الأصوليين فقد كان الموسرون مستولين على العامة . و متميزين عنهم تميزا يجعل العامة بارائهم كالطائفة المنبودة لدى الهنديين . و ما كانوا يرضخون لهم[1] بصبابة إلا بعد أن ينال منهم الإعياء ، فيهجرون المدن . و يقاطعون الجماعة مرغمين .. قال العلامة « ميشليه » فى المملكة الرومانية من هذه الناحية : « كان الفقراء يزدادون كل يوم فقرا ، و الأغنياء يزدادون غنى ، وكانوا يقولون : ليهلك الوطن . و ليمت جوعا ، إذا لم يستطع أن يذهب إلى ساحات القتال . فلما زالت الدولة الرومانية و قامت عـــلى أنقاضها الممالك الأوربية ازدادت حالة الفقراء سوءاً . فكانوا فى جميع أصقاعها يباعون كالماشية مع أراضيهم » .

هذا هو وضع الفقراء فى تلك القرون المديدة ، و هذا هو موقف الأغنياء منهم ، فما ذا صنعت الأديان لإصلاح وضع الفقراء ، و تقريب الشقة بينهم و بين الأغنياء ؟

---

(١) رضخ له : أعطاه عطاء مقاربا .

عناية الأديان برعاية الفقراء

الواقع أن الأديان كلها حتى الوضعية منها التى لم تعرف لها صلة بكتاب سماوى لم تغفل هذا الجانب الإنسانى الاجتماعى ، الذى لا يتحقق إخاء و لا حياة طيبة بدونه .

و هكذا نجد فى بلاد ما بين النهرين قبل أربعة آلاف سنة ، كيف أن « حمورابى » فى استهلال أول سجل للشرائع وجد حتى الآن قال إن الآلهة أرسلته لمنع الأقوياء من اضطهاد الضعفاء ، و ليرشد الناس ، و يؤمن الرفاهية للخلق .

و قبل آلاف السنين كان الناس فى مصر القديمة يشعرون بأنهم يؤدون واجبا دينيا عند ما يقولون : لقد أعطيت الخبز للجائع ، و الكساء للعارى ، و حملت بزورقى أولئك الذين لم يستطيعوا العبور ، و كنت أبا لليتيم ، و زوجا للارملة ، و وقاء للمقرور من عصف الريح[1] .

عناية الاديان السماوية

بيد أن الأديان السماوية كانت دعوتها إلى البر بالفقراء و الضعفاء أجهر صوتا و أعمق أثرا من كل فلسفة بشرية ، أو ديانة وضيعة ، أو شريعة أرضية . و لا أحسب دعوة نبى من الأنبياء خلت من هذا الجانب الإنسانى الذى سماه القرآن « الزكاة » .

---

(١) من محاضرة الدكتور كارل شونبز فى حلقة الدراسات الاجتماعية ـ الدورة الثالثة ص ٥٤٦ .

و نحن إذا رجعنا فى ذلك إلى القرآن الكريم - و هو أصح وثيقة سماوية بقيت للبشر - وجدناه يتحدث عن إبراهيم و إسحاق و يعقوب فيقول ﴿ و جعلناهم أئمة يهدون بأمرنا و كانوا لنا عابدين ﴾[1] و يتحدث عن إسماعيل فيقول ﴿ و اذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد و كان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلوٰة و الزكوٰة وكان عند ربه مرضيا ﴾[2] و يتحدث عن ميثاقه لبنى إسرائيل فيقول ﴿ و إذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله و بالوالدين إحسانا .... و أقيموا الصلوٰة و آتوا الزكوٰة ﴾[3] و فى سورة أخرى ﴿ و لقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل و بعثنا منهم اثنى عشر نقيبا و قال الله إنى معكم لئن أقمتم الصلاة و آتيتم الزكاة و آمنتم برسلى و عزرتموهم و أقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم و لأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلّ سواء السبيل ﴾[4] و قال على لسان المسيح عيسى فى المهد ﴿ و أوصانى بالصلاة و الزكاة ما دمت حيا ﴾ و قال تعالى فى أهل الكتاب عامة ﴿ و ما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة و ذلك دين القيمة ﴾ .

و إذا نظرنا إلى أسفار التوراة و الإنجيل (العهد القديم و العهد الجديد) التى بين أيدينا الآن : نجدها تشتمل على كثير من الوصايا و التوجيهات الخاصة بالعطف على الفقراء و المساكين ، و البر بالأرامل و اليتامى و الضعفاء .

---

(١) سورة الأنبياء: ٧٣ (٢) سورة مريم : ٤ (٣) سورة بقرة: ٨٣ (٤) سورة المائدة.

فني التوراة نقرأ فى الإصحاح ٢١ من سفر الأمثال ما نصه : « من يسد أذنيه عن صراخ المسكين فهو أيضا يصرخ و لا يستجاب له ، الهدية فى الخفاء تطفىء الغضب » . و فى الإصحاح ٢٢ منه : « الصالح العين هو يبارك لأنه يعطى من خبزه للفقير » . و فى الفقرة ٢٧ من سفر الأمثال : « من يعطى الفقير لا يحتاج ، و من يحجب عنه عينيه عليه لعنات كثيرة » . و فى الإصحاح ١٥ من سفر التثنية : « إن كان فيك فقير أحد من إخوتك ، فى أحد أبوابك ، فى أرضك التى يعطيك الرب إلهك ، فـلا تقس قلبك ، و لا تقبض يدك عن أخيك الفقير ، بل افتح يدك له ، و أقرضه مقدار ما يحتاج إليه ، أعطه و لا يسوء قلبك عند ما تعطيه ، لأنـه بسبب هذا الأمر يباركك الرب إلهك فى كل أعمالك و جميع ما تمتد إليه يدك ، لأنه لا تفقد الفقراء فى الأرض ، لذلك أنا أوصيك قائلا : افتح يدك لأخيك المسكين و الفقير فى أرضك » . كما ورد فى الإصحاح ١٤ منه « تعشيرا تعشر كل محصول زرعك الذى يخرج من الحقل سنة بسنة ، فى آخر ثلاث سنين تخرج كل عشر محصولك فى تلك السنة ، و تضعه فى أبوابك فيأتى اللاوى ، لأنه ليس له قسم و لا نصيب معك ، و الغريب و اليتيم و الأرملة الذين فى أبوابك ، و يأكلون و يشبعون لكى يباركك الرب إلهك فى كل عمل يدك الذى تعمل » . و كذلك نقرأ فى الإنجيل فى الفقرة ٣٣ من الإصحاح ١٣ من إنجيل لوقا : « بيعوا ما لكم و أعطوا صدقة » . و فى الفقرات ١٠ - ١٤ من إنجيل لوقا : « من له ثوبان فليعط من ليس له ، و من له طعام فليفعل هكذا » . و فى الفقرة ٤١ من الإصحاح ١١ : « بل

اعطو

أعطوا ما عندكم صدقة فهو ذا كل شيء، نقياً لكم. و فى الفقرات ١٢-١٤
من الإصحاح ١٤: «و قال أيضا للذى دعاه: إذا صنعت غداء أو عشاء
فلا تدع أصدقاءك و لا إخوتك و لا أقرباءك و لا الجيران الأغنياء لئلا
يدعوك هم أيضا، فتكون لك مكافأة. بل إذا صنعت فادع المساكين
الجدع، العرج، العمي، فيكون لك الطوبى؛ إذ ليس لهم أن يكافئوك،
لأنك تكافأ فى قيامة الأبرار». و فى الفقرات ١ - ٤ من الإصحاح ٢١:
«و تطلع فرأى الأغنياء يلقون قرابينهم فى الخزانة، و رأى أيضا أرملة
مسكينة ألقت هناك فلسين، فقال: بالحق أقول لكم: إن هذه الأرملة
ألقت أكثر من الجميع. لأن هؤلاء من غنى ألقوا فى قرابين الله، أما
هذه فمن إعوازها ألقت كل المعيشة». و فى ٤١، ٤٢ من الإصحاح ٥ من
إنجيل متى: «من سألك فأعطه، و من أراد أن يقترض منك فلا ترده».
و فى ١ - ٤ من الإصحاح ٦: «احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس
لكى ينظروكم، و إلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السماوات؛ فمتى
صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون فى المجامع
و فى الأزقـــة لكى يمجدوا من الناس، الحق أقول لكم: إنهم استوفوا
أجرهم، و أما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك
لكى تكون صدقتك فى الخفاء. فأبوك الذى يرى فى الخفاء هو يجازيك
علانية». و فى ٤٢ من الإصحاح ١٠: «و من سقى أحد هؤلاء الصغار
كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ، فالحق أقول لكم: إنه لا يضيع
أجره».

ملاحظات على موقف الاديان من الفقر:

هذه نماذج رائعة من عناية الأديان السابقة بالفقراء و ذوى الحاجات، و هذه هى دعوة الكتب السماوية قبل القرون إلى رعايتهم، و لكن ينبغى هنا أن نبدى بعض الملاحظات:

١- إن هذه النماذج لا تعدو أن تكون ترغيبا فى الإحسان و العطف، و ترهيبا من الأنانية و البخل، و دعوة جهيرة إلى التصدق الفردى الاختيارى.

١- إنها لم تتمتع بدرجة عالية من الإيجاب و الالزام، بحيث يشعر من تركها أنه ترك شيئا من أساسيات الدين، يعاقبه الله عليه فى الدنيا و الآخرة بالعذاب الشديد.

٢- إنها وكلت ذلك إلى أريحية الأفراد. و إلى ضمائرهم، و تجعل للدولة سلطانا عليهم، فى التحصيل و التوزيع.

٤- إنها لم تحدد المال الذى تجب منه الصدقة و الإحسان، و لا شروطه، و لا مقدار الواجب فيه، و هذا ما يجعل التفكير فى تحصيله من قبل الدولة ممتنعا. إذ كيف تحصل شيئا غير مقدر و لا محدود.

٥- إن المقصود من الإحسان إلى الفقراء لم يكن هو علاج مشكلة الفقر، و استئصال جذوره. و تحويل الفقراء إلى ملاك! بل كان المقصود لا يتجاوز التقليل من بؤسهم. و التخفيف من ويلاتهم.

و بهذا نقول: إن الفقراء و الضعفاء كانوا تحت رحمة الأغنياء القادرين، منتهم، إذا حركهم حب الله و الآخرة. أو حب الثناء.

و المروءة ، فجادوا بشيء - و لو قليلا - على ذوى الضعف و الحاجة و الفقر ، فهم أصحاب الفضل و المنة . و إذا غلب عليهم حب المال و حب الذات ضاع الفقراء ، و افترستهم مخالب الفاقـــة ، و لم يجدوا من يدافع عنهم أو يطلب لهم حقا ، إذ لم يكن لهم حق معلوم . و هذا هو خطر الإحسان الوكول إلى الأفراد .

عناية الاسلام بعلاج الفقر :

أما عناية الإسلام بعلاج الفقر ، و رعاية الفقراء و ذوى الحاجة و الضعف فلم يسبق لها نظير فى ديانة سماوية ، و لا شريعة وضعية ؛ سواء : ما يتعلق بجانب التربية و التوجيه ، و ما يتعلق بجانب التشريع و التنظيم ، و ما يتعلق بجانب التطبيق و التنفيذ .

° ° ° ° °

فى الحديث المأثور : « الخلق عيال الله ، فأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله » .

أمن خوف فقر تعجلته و أخرت إنفاق ما تجمع
فصرت الفقير و أنت الغنى و ما كنت تعدو الذى تصنع

(° ° ° ° °)

سخط الله

شاور معاوية الأحنفَ بن قيس فى استخلاف يزيد ، فسكت عنه ، فقال معاوية : ما لك لا تقول ؟ فقال : إن صدقناك أسخطناك ، و إن كذبناك أسخطنا الله ، فسخط أمير المؤمنين أهون علينا من سخط الله ! فقال معاوية : صدقت

* * *

كتب أبو الدرداء إلى معاوية : أما بعد ! فانه من يلتمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ، و من التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس .

* * *

كتبت عائشة أم المؤمنين إلى معاوية : أما بعد ! فانه من يعمل بمساخط الله يصر حامده من الناس ذاما له — و السلام .

العدل

قال النبى صلى الله عليه و سلم : « عدل ساعة فى حكومة خير من عبادة ستين سنة » .

و قال عليه الصلاة و السلام : « كلكم راع ، و كل راع مسئول عن رعيته » .

فكلكم راع و نحن رعية ، و كل يلاقى ربه فيحاسبه

فيما أنزل الله على نبيه داود عليه السلام :

« إنى أنا الله مالك الملوك ، قلوب الملوك بيدى ، فمن كان لى على طاعة جعلت الملوك عليهم رحمة ، و من كان لى على معصية جعلت الملوك عليهم نقمة » .

حاجة العالم إلى الاسلام

معالى السيد : حسن كتبى
وزير الحج و الأوقاف بدولة الكويت

حمدا لله . و صلاة و سلاما على خاتم أنبيائه و رسله ، و ما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت و إليه أنيب .

و بعد ! فان هذا العصر ـ عصر المبادئ المتنازعة و الأفكار المتصارعة ـ يتطلب منا معشر المسلمين أن ندرك نعمة الله علينا إذ هدانا للاسلام ، و أن ندرك كذلك مسؤليتنا نحو الإنسانية التى تتخطفها شياطين الأفكار الخبيثة . و تتنازعها تيارات المبادئ الهدامة التى يخطط لها أعداء الإنسانية الذين لا يبغون لها إلا الخبال . و لا يرجون سوى الضلال . ﴿ و الله أعلم بأعدائكم و كفى بالله ولياً و كفى بالله نصيرا ﴾ .

و قد يظن بعض المفتونين من أبناء الأمة الإسلامية أن الإسلام ليس له دور فى عصرنا الحاضر ـ عصر الإبداع و الاختراع و عصر العلم و التقدم و الحضارة ـ و أن الكلمة قد أصبحت الآن للتجارب المادية و للمكتشفات العلمية !! و هذا خداع انطلى على بعض الأغرار من أدعياء العلم و الثقافة ، ينطوى على جهل بحقيقة الدين و على جهل بحقيقة العلم جميعا .

ذلك لأن الدين عموما موضعه الذى لا يغنى فيه سواه ، إنه تصور للكون و الحياة و مكان الإنسان فيهما ، و إنه نظر إلى مستقبل الوجود ،

إدراك لغايات الحياة، يترتب عليه تنظيم سعي الإنسان في هذه الدنيا، يقوم على أساسه بناؤه الحضاري وعلاقاته الاجتماعية. أما الإسلام خاصة فقد جاء منهجا كاملا للحياة، ينظمها وفق مثله العليا، و يبنيها على دعائم روحية لا تقطع صلتها بواقع الحياة، و لا تتجاهل طبيعة الإنسان. فهل يستطيع العلم المادي أن يقدم لنا عقيدة تملأ القلب و تقنع العقل؟ هل يمكنه أن يفسر لنا سر وجود الإنسان على هذه الأرض، و أن يتنبأ لنا بمستقبل هذه الحياة؟ و هل يمكنه أن يقدم لنا نظاما أخلاقيا يحقق السعادة و الطمأنينة للفرد و المجتمع؟! لا شيء من ذلك يستطيعه العلم المادي بكل اكتشافاته. فإن له دوره المحدود، و إن له ثمرته التي لا يتعداها.

و من عجب أن الإنسان الذي كان العلم المادي ثمرة من ثمرات عقله يعود فيتعبد لهذا العلم و يراه صاحب الكلمة في كل شيء، حتى في البديهيات الأولى التي أدركها العقل منذ أول عهد الإنسان بالحياة، و هي وجود الله سبحانه! كأنما صار هذا العلم صنما يصنعه الإنسان ثم يعبده.

و ليس الغرض الآن إثبات ضرورة العقيدة الدينية، و لا مناقشة الصلة بين العلم و الدين، و لكننا نريد أن نقصر الحديث على الجوانب الإيجابية الواقعية. و أن نوضح ما يستطيع الإسلام أن يقدمه للانسانية الحائرة في عصرنا الحاضر، و ما في الإسلام من حلول عملية للمشكلات المعقدة التي تواجه العالم اليوم، لو أخلصت النيات و صدقت العزائم في الاهتداء بهدى الإسلام.

العقيدة الواضحة:

يتميز عصرنا الحاضر بأنه عصر لا يقبل فيه شيء إلا بدليل، ولا تروج فيه دعوة إلا باقناع، يشيع فيه الباطل إلا أنه سرعان ما يوضع موضع النقد و النظر فيتبين ما فيه من زور و بهتان. و هذا بالنسبة للبيئات المتحضرة التي تشيع فيها الثقافة، و كثير من هذه البيئات يقف فيها الإنسان المفكر موقف الحيرة حين يجد العقيدة الدينية في مجتمعه لا تقوى أمام النظر المستقيم، و لا يتوفر لها البرهان السليم. و حينئذ يجد نفسه بين أمرين أحلاهما مر: إما أن يعتقد بما لا يعقله فيناقض منهج العقل و الفكر و لا يستقيم على طريق. و إما أن يرفض هذه العقائد و يحيا دون عقيدة، و فيه ما فيه من الشقاء و الاغتراب..
فاذا أتيح لواحد من هؤلاء أن يتأمل العقيدة الإسلامية فانه يحس أمامها بالاطمئنان، و يتخلص من الحيرة التي تواجه من ينظرون إلى العقائد نظر تأمل. فليس في العقيدة الإسلامية ألغاز و لا طلاسم، و ليس ما يصعب على العقل فهمه و لا ما يحتاج أمامه إلى الإغضاء عن حقائقه.

و نظرة مستقيمة إلى جانب العقيدة في القرآن الكريم تكشف عن منهجه و تدل على يسره و صدقه.. و إذا كان القرآن الكريم يخاطب كل عقل سليم بقوله سبحانه ﴿قل انظروا ما ذا في السموات و الأرض﴾ بل يستحث العقول على التفكير و التأمل في الإنسان نفسه و في الكون كله من حوله حين يقول ﴿و في الأرض آيات للموقنين و في أنفسكم أفلا تبصرون﴾.

فهل يبقى شك فى أن العقيدة الإسلامية تساير العقل، بل و تعتمد عليه فى رؤية حقائقها و إثبات أدلتها؟ و إن الإسلام ليعتمد فى ذلك على بديهة العقل كما يعتمد على حججه و أدلتـــه. فحين يقول القرآن: ﴿ أفى الله شك فاطر السموات والأرض ﴾ فانه يوقظ بـــذلك بديهة الشعور الإنسانى، و يستثير مكامن الفطرة القويمة، و حين يقول ﴿ أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات و الأرض ﴾ فانه يدعو إلى النظر فى الدليل، و يحث على التفكير العميق فى أسرار هذا الوجود. و إن ديناً يعتمد على بديهة الأزلية كما يعتمد على الحجة العقلية لهو دين يستقيم مع العقل، و لا يكلفه من أمره عسرا.

و لم يكتف الإسلام فى إثبات عقائده بالتعويل على البديهة أو الدعوة إلى مناقشة الأدلة، و لكنه كذلك أيقظ فى الإنسان الوعى بما حوله، و أمره أن ينظر إلى المخلوقات جميعا من حوله نظر تدبر و تأمل ثم يستمع بعد ذلك إلى حديثها الصادق و دلالتها الناطقة.

إن الذى يدبر أمر الكون و يسير حركته هو الذى يفصل الآيات و ينزلها على رسوله، و هذه غاية الوحدة فى أمر الكون، أن تتطابق مظاهر الخلق فى دلالتها مع آيات الحق فلا تعدد فى النظر و لا انفصام. فأيا ما نظر الإنسان حوله فانه يجد صوتا واحدا لا يختلف فى دلالتـــه، سواء فى ذلك أحقر المخلوقات و أشرفها ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت و إلى السمآء كيف رُفعت و إلى الجبال كيف نصبت و إلى الأرض كيف سطحت ﴾.

و بهذا

و بهذا يتهيأ للعقيدة الإسلامية الاعتماد علـى دعائم ثلاث: بديهة العقل، و صحة الدليل، و مطابقة حقائق الوجود. و هى بهذا اليسر و الوضوح تناسب الإنسان فى كل زمان و مكان، و يستطيع كل إنسان مهما كان حظه من العلم و العقل أن يجد لها من الدعائم فى عقله و قلبه ما يزيدها ثباتا و رسوخا.

و لهذا تجدون ـ أيها الإخوة ـ أن العقيدة الإسلامية تعرف طريقها إلى العقول و القلوب بطواعية و يسر، لا تتهيأ لعقيدة أخرى.

ففى كل يوم يكسب الإسلام أنصارا، سواء فى ذلك البيئات التى بلغت قمة الحضارة و العلم كما فى أوربا و أمريكا، أو البيئات التى لم يتوفر لها إلا القليل من ذلك كما فى أطراف أفريقيا، رغم ما يواجهه الإسلام فى هذا العصر من حرب ضارية و من عداوة لدودة.

و الحق أن العقيدة الإسلامية هى عقيدة المستقبل، و لا بد أن يأتى اليوم الذى تظهر فيه للجميع أن هذه العقيدة هى عقيدة الإنسان السوى، و أن كل ما يخالفها فانما هو شطط فى النظر و التفكير. و تلك العقيدة هى أهم ما يحتاجه الإنسان المعاصر، الذى تلعب به المطامع و الأهواء، إنها وحدها القادرة على أن تمـده بزاد لا ينفد: من الطمأنينة و الأمل و الشجاعة؛ ﴿ الذين آمنوا و تطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾.

أما غيرها فانه ضياع للانسان، يصوره القرآن الكريم حين يقول عن النفس الخاوية من العقيدة ﴿ و من يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء

فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾ أنها نفس ضائعة حائرة لا تطمئن و لا تستريح مهما حصلت من علم و مهما بلغت من ترف و نعيم . و ما يغنى عن هؤلاء الذين بلغوا أوج الحضارة و التقدم العلمى ما بلغوه حين حرموا ما تهبه العقيدة الصحيحة من طمأنينة و ما تضفيه على صاحبها من سعادة و أمان .

و لذا نلحظ القلق النفسى يشيع فى البيئات المادية المتحصرة ، و نجد الحياة تفقد مغزاها عند هؤلاء الذين لا يزيدهم الترف إلا حيرة و شقاء .

و من هنا نرى أن الإسلام وحده هو القادر على أن يمد الإنسان المعاصر بتصور واضح لحقائق الحياة ، و أن يجعله يشعر بمغزى الوجود و يدرك أبعاد رحلة الإنسان فى هذا الكون و مهمته فى هذا الوجود .

و إنه لفرق بعيد بين العقيدة الإسلامية التى تجعل الإنسان سيد المخلوقات و تجعلها مسخرة له و مخلوقة من أجله ﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ﴾ و تجعل الإنسان خليفة فى الأرض مطالبا بعمارتها و ارتياد آفاقها ﴿ و إذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾ و مزودا بالعلم و خصائص الخلافة ﴿ علم آدم الأسماء كلها ﴾ ﴿ و الله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا و جعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة ﴾ فرق بين هذه النظرة إلى الإنسان فى الإسلام و بين النظرة إليه فى المذاهب المادية أو العقائد الدينية المحرفة .

فى النظرة المادية لا يزيد الإنسان عن كونه كائنا وجد بالصدفة أو سليلا للوحوش الكاسرة ، و إنه هكذا فجأة وجد نفسه عاقلا عارفا بالخير

بالخير و الشر ، دون أن تكون لوجوده حكمة ، و دون أن يكون وراء حياته تدبير . و من هنا فليس للانسان عندهم من دور إلا بلوغ أقصى غايات اللذة . و تحقيق ما يشاء من المنفعة لنفسه أو لجماعتــه ، دون أن تكون هناك غايات إنسانية شاملة . و لا نظرة خلقية مترفعة عن حدود المادة الضيقة .

و فى النظرة الدينية المحرفة يرث الإنسان الخطيئة ، و يخلط بين الألوهية و البشرية ، و يخالف عقله فى النظر و التقدير ، و يرث عصبيات القرون و ضغائنها .

و الإسلام وحده ـ كما أسلفنا ـ هو الذى يمكنه أن يشبع فطرة الإنسان فى الاعتقاد ، دون أن يضطره إلى مخالفة عقله أو الإغضاء عن تفكيره ، و هو الذى تتميز عقيدته بأنها لم تتراجع أمام العلم ، بل كانت دافعا إليه و باعثا عليه ، كما هو مقرر فى تاريخ العلم فى الإسلام .

و لقد ظلم المسلمون أنفسهم حين غفلوا عن إدراك حقائق العقيدة الإسلامية و عناصر القوة و الوضوح و الثبات فيها ، كما ظلموا غيرهم حين حجبوا عنه نور الإسلام و لم يقوموا بواجب الدعوة الإسلامية كما فرض الله عليهم ، و حين تتضح خصائص العقيدة الإسلامية أمام البشر جميعا و تنزاح عن الأبصار غشاوة التقليد و الجهل : فإن هذه العقيدة تصلح أن تجمع البشر حولها ، و أن توحد الإنسانية تحت لوائها

و يومئذ يكون الدين كله لله .
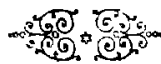
حفظ الاسرار

قالت الحكماء: صدرك أوسع لسرك من صدر غيرك .

كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف :

و لا تفش سرك إلا إليـك ٭ فإن لكل نصيح نصيحا

و إنى رأيت غـواة الرجا ٭ ل لا يتركون أديما صحيحا

و قد قيل : « ما كنت كاتمه من عدوّك فلا تطلع عليه صديقك » .

قال الشاعر :

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ٭ فصدر الذى يُستودع السر أضيق

* * *

المشورة

قال الله عز و جل ﴿ و شاورهم فى الأمر، فاذا عزمت فتوكل على الله ﴾ .

قال النبى الكريم عليه أفضل الصلاة و التسليم :

« ما ندم من استشار ، و لا شقى من استخار » .

الرأى كالليل مسود جوانبه ٭ و الليل لا ينجلى إلا باصباح

فاضمم مصابيح آراء الرجال إلى ٭ مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح

أبحاث فى السيرة

واصف حسين نديم الواجدى
المجاز من دار العلوم بديوبند

مصادر السيرة

إن السيرة لا تتوقف على الروايات الغير المكتوبة فحسب ، كما زعمه بعض منكرى الحديث ، نعم لا بد من أن نسلم أن السيرة تستند -كذلك- إلى روايات غير مكتوبة ، و هذا مما ليس فيه بأس ، و لا بد من أن نعترف بأن الروايات الغير المقيدة كانت أقل قليل بالنسبة إلى الروايات التى قيدت ، و لكن يجب - قبل كل شيء - أن ندرس السيرة فى ضوء قوانينها الصارمة التى وضعها علماء الحديث للتمييز بين الموضوع و غيره ، فاذا درسنا دراسة محايدة أصبحنا نؤمن - بكل ثقة و اعتماد - بمصادر السيرة المعتمدة الموثوق بها الصحيحة .

و إليكم قبس من كتاب الشاه عبد العزيز الدهلوى ، يرشدنا إلى ما بذل العلماء ما لديهم من غالٍ و رخيص فى الاحتفاظ بالحديث النبوى صلى الله عليه و سلم : « لم يزل علماء الصدر الأول - أعنى من زمن التابعين و أتباعهم إلى زمن البخارى و مسلم رحمهم الله - يبحثون عن أحوال رجال كل بلدة و كل عصر ، حتى إنهم لا يقبلون أحاديث من يشمون فيه رائحة الخيانة و الكذب و سوء الحفظ ، و لأجل ذلك صنفوا فى أحوال الرجال كتباً ضخمة مطولة » .. و هذا من ما يعتز به المسلمون فان علماءهم عانوا كل مشقة و بذلوا كل تضحية و تفانٍ فى سبيل المحافظة على أحاديث النبى صلى الله عليه و سلم ، و بحثوا عن أحوال خمسمائة ألف رجلا ، و تتبعوا حياة

الكل مع كل تفصيل و إيضاح و إجابة عن الأسئلة التى تتعلق بها : من كان ؟ متى نشأ ؟ متى توفى ؟ عند من تلقى العلوم الدينية ؟ كيف كان من ناحية الأخلاق و الأمانة و الحفظ ؟ هذه أسئلة تتطلب ـ بدون شك ـ جهدا كبيرا واسعا للاجابة عنها فى عصرنا الحاضر الذى توفرت فيه كل الوسائل للبحث و الاكتشاف . فكيف كان هؤلاء الرجال ـ تغمدهم الله بغفرانه ـ الذين تحملوا فى هذا السبيل كل ما اعترض لهم من المشاكل و المصائب ، و ابتلوا بمحن شديدة حتى إنهم واجهوها بوجوه باسمة ، و بلغوا فى الشوق كل المبلغ لا يعوقه شىء من المشقة و طول المسافة و وعثاء السفر .

فهذا « علم أحوال الرجال » . صنف فيه أول مرة يحيى بن سعيد القطان (المتوفى ١٩٨ هـ) ثم من تلاميذه يحيى بن معين (المتوفى ٢٢٣ هـ) و أحمد ابن حنبل (المتوفى ٢٤١ هـ) و أبو خيثمة (المتوفى ٢٣٤) و عمرو بن على الفلاس (المتوفى ٢٤٩ هـ) ثم البخارى و مسلم رحمهم الله .. و لكن لا نجد فى عصرنا ما كتب يحيى بن سعيد القطان و تلاميذه إلا بشكل مخطوطات و شىء يسير لا يستوعب جميع جوانب الفن . اذكر على سبيل المثال « التاريخ الكبير » للبخارى طبع بحيدرآباد فى ثمانية أجزاء ، و إن أول كتاب ضخم بسيط ـ على ما أظن ـ تهذيب الكمال صنفه يوسف ابن الزكى المزى (المتوفى ٧٤٢ هـ) فى اثنى عشر مجلدا . و أضاف إليه ابن حجر العسقلانى فى كتاب « الاحتفال فى بيان أحوال الرجال » ، و لخصه شمس الدين الذهبى فى « تذهيب التهذيب » و فى « الكاشف فى أسماء الرجال » . و للحافظ الذهبى كتب أخرى فى هذا الفن لا ترى لها نظيرا :

« ميزان الاعتدال فى أسماء الرجال» ثلاث مجلدات ، و «تذكرة الحفاظ » أربع مجلدات ، و « سير أعلام النبلاء» . و أضاف إلى « ميزان الاعتدال للذهبي » الحافظ ابن حجر العسقلانى و سماه « لسان الميزان » فى ثلاث مجلدات ، و صنف كتبا أخرى مبسوطة مضبوطة تعد من أهم كتب هذا الفن « تهذيب التهذيب » ١٢ مجلدا ، و « تقريب التهذيب » فى مجلد واحد ، و « طبقات الحفاظ » مجلدان .

هذا ما تحدثنا إليكم إلى هنا يدل على ما اتخذ العلماء لنفوسهم جانب الحيطة ، و لزموا كل حذر فى حفظ الحديث و وقايته عن شر من يطعن فيه ، و التزموا قبول ما يرويه الراوى الذى يستوفى جميع شروط المحدثين و يطابق مستواهم ، و إلا فلا بد من رفضه و إنكاره عليه .

و للاحاديث أقسام لا بد من رعايتها عند الرواية . منها المرفوع ، والمنقطع ، و الشاذ ، و المرسل ، و الغريب ، والمنكر ، و الصحيح ، و الحسن و غيرها . و لكل نوع أحكام و مبادئ مستقلة ، و سمى هذا الفن بعلم الدراية : ألفت فيه كتب لا تعد و لا تحصى ، منها « نخبة الفكر » و شرحها و هو جزء من المنهج الدراسى للمدارس العربية فى الهند ، و مما ما يدل على مكانة شرح النخبة أن له شروحا كثيرة لأمثال ملا على القارى (المتوفى ١٠١٤ هـ) « شرح شرح النخبة » ، و لعبدالحى خطيب للمسجد الجامع برنغون (برما) « سلسلة القربى فى توضيح شرح النخبة » ، و لأكرم بن عبد الرحمن السندى « إمعان النظر ، شرح نخبة الفكر » . و من كتب أخرى فى هذا الفن « علل الحديث » لأبى محمد عبد الرحمن الرازى (المتوفى ٦٤٣ هـ) و « تدريب الراوى » للنووى .

(المتوفى ٦٧٧ هـ) و «توجيه النظر» لطاهر صالح الجزائرى، و «الهدى السارى مقدمة الشرح على البخارى» لابن حجر. و من كتب علماء الهند «الرفع و التكميل فى الجرح و التعديل» لمولانا عبد الحى اللكنوى (المتوفى ١٣٠٤هـ) و «ظفر الأمانى فى مختصر الجرجانى» شرح العلامة عبد الحى اللكنوى على المختصر لشريف الجرجانى، و لا بد هنا من ذكر مقدمة «فتح الملهم» شرح صحيح مسلم لأحد كبار علماء دار العلوم بديوبند، تحيط بجميع أصول الدراية و تستوعب ١٠٨ صفحة كبيرة لهذا المبحث، و صدر المجلد الأول و الثانى بطبعة جديدة قبل شهور من إدارة الشركة العلمية بديوبند، و فى المجلد الأول هذه المقدمة القيمة.

و لا يتسع المقام لأن نتحدث عن أحوال قبول الرواية وعدم قبولها، إلا أن نلقى نظرة خاطفة على بعض علامات الكذب توجد فى الرواة، و بذا تتضح صحة مآخذ السيرة و إتقانها. و ذكر الشاه عبد العزيز الدهلوى فى «العجالة النافعة» العلامات التالية لكذب الراوى، نذكرها نقلا عن الفارسية:

هنا علامات لكذب الراوى، إذا وجدت - سواء كانت واحدة - فى رواية لا بد من الإنكار عليها. و لا تقبل تلك الرواية:

١ - الرواية التى تعارض التاريخ المعروف، مثلا يقول أحد: قال عبد الله ابن مسعود فى حرب الصفين؛ كذا مع أنه توفى قبل الصفين فى زمن خلافة عثمان

٢ - يكون الراوى من الروافض، و يروى رواية الطعن فى الصحابة أو فى أهل البيت

أو

٣ - أو يروى كلاما لا بد من العلم به لكل بالغ مكلف، إذا كان منفردا فيما روى

٤ - ينكر الوقت أو الحال على الراوى، كقصة غياث بن ميمون حيث أنه قال عند حضوره عند الخليفة المهدى و هو كان يلعب بالحمام: «لا سبق إلا فى خف أو نصل أو حافر أو جناح» فانه أضاف لفظ «الجناح» للتملق إلى المهدى

٥ - إذا كانت الرواية تخالف مقتضى العقل و الدين، و تكذبها الأصول الشرعية، مثلا يروى أحد: «لا تاكلوا البطيخ إلا و تذبحوها»

٦ - إذا كان فى الحديث أمر حسى يرويه كثير من الناس إذا وقع، مثلا روى أحد: قتل الإمام اليوم على المنبر؛ فلا بد من عدد كبير من رواته و الحال أنه ينفرد

٧ - ركاكة اللفظ، أو التعبير عن الكلام لايطابق القواعد النحوية أو تنافى منصب النبوة

٨ - إذا بولغ - إلى حد لا نهاية له - فى التخويف عند إثم صغير، و فى الإبشار عند عبادة يسيرة

٩ - إذا بعث رجاء ثواب الحج و العمرة فى أحد عند عمل قليل قام به

١٠ - إذا اعترف الراوى بنفسه بوضع روايته

الحاجة إلى السيرة

هنا سؤال: أية حاجة لنا إلى السيرة النبوية؟ إلى سيرة شخص مضت عليه ثلاثة عشر قرنا من التاريخ، فأية فائدة تكمن فى جوانب حياته!؟

أولا من حيث أننا مسلمون ، و أعلنا أننا تمسكنا بعقيدة الإيمان ، فكأننا
[ا]لتزمنا الإيمان برسول الله صلى الله عليه و سلم ، و مكنا أنفسنا بالوقوف على
أحوال ذلك الشخص الذى بعث برسالة الله يحمل شعلة النور و الإيمان
[ل]ضوء الدنيا التى سادتها ظلمات الجهالة بعضها فوق بعض : يجب علينا أن
[ن]بحث عن أحواله : من كان ؟ متى كان ؟ أين نشأ ؟ و فى أى مجتمع ترعرع ؟
كم مشقة عاناها فى أداء رسالته و مهمته ؟ و متى فارقت روحه جسده ؟
[ه]ذه أسئلة أساسية لا نستطيع أن نطلع على الرد عليها إلا بعد دراسة السيرة .

ثانيا : أننا نؤمن بالقرآن . و لا نستطيع إنكار ما جاء فيه ، و هو
﴿ ما آتكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ لأن لنا فى رسول الله
صلى الله عليه و سلم أسوة حسنة ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ﴾
و لأنه ﴿ و ما ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحى يوحى ﴾ و لذا يعلن
القرآن ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ .

ثالثا : أن السيرة النبوية ضرورة بشرية بحيث أن القرآن يدعى عن
الرسول صلى الله عليه و سلم ﴿ و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ فهذا يدعو
الإنسان إلى البحث عن صحة ما ادعاه القرآن عن حياة رسول الله صلى الله
عليه و سلم .

رابعا : لابد من أن نعترف بكون السيرة ضرورة علمية . فان العالم
بدأ يفكر فى أحوال حياة الذين لا يحتلون أية مكانة فى مجتمعاتهم ، و ينقلها
إلى القراطيس ، فأى مانع فى أن يدرس العالم حياة شخصية كبرى أضاءت
بنورها السرمدى الدنيا ، و محت الظلمات الطارئة على العالم ، و أحسنت إلى
الإنسانية حيث أنها أعطتها ضوء و نوراً فى وقت كان فيه الشر أغلب على

الخير بل كان الخير يكاد يفقد ، و التاريخ يشهد أن الشخصية الكبير
الفذة واجهت المشاكل ، و العقبات ، و العراقيل فى كل سبيل مرت ؛
بثغر ضاحك و وجه باسم ، و لم يكترث بما وقع فى سبيله من محن و شدائد
فكم تجربة تحمل هذه الشخصية ! و هذا من مايفتخر بـه المسلمون بأنه
حفظوا ما وصل إليهم من حياة الرسول صلى الله عليه و سلم ، كم دينا فى
العالم يدعى أهله بأنا حفظنا حياة زعيمنا و قائدنا ! أسفا على بعض المذاهب
و الأديان أنها ما استطاعت حفظ كتبها المقدسة الدينية .

خامساً : أن السيرة ضرورة كلامية ، حيث أن المسلمون يعترفون
بتوحيد الإله و بعبادته ، و يعترفون ـ كذلك ـ بنبوة محمد صلى الله عليه و سلم
و بإيمانهم بها ، فكان حياة الرسول صلى الله عليه و سلم جزء من الكلام
الإسلامى ، و ناحية من نواحيه .

و هذا الذى ذكرنا يدل على حاجتنا الملحة إلى دراسة السيرة النبوية
و لذا أوصى ابن تيمية شخصا حبط يقينه و ضعف إيمانه بأن يعكف على
دراسة السيرة . فكأنه أثبت ـ كما يقول مولانا أبو الكلام آزاد ـ ان نبوع
العلم و البصيرة فى حياة النبوة التى يصفها القرآن الكريم بأنها حكمة .

٭ ٭ ٭

مراجع المقالة

ـ البستانى : دائرة المعارف، المصرية ١٠ / ٣٠٩

ـ الشاه عبد العزيز الدهلوى (المتوفى ١٢٣٩ هـ) : العجالة النافعة ص ١٤

١ ـ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى (المتوفى ٢٦١ هـ): الجامع الصحيح أ / ٤١٤، ٢ / ٨١، ١١١، ١٨٨، ٣٠٤

٤ ـ الحافظ ابن حجر العسقلانى (المتوفى ٨٥٢ هـ): فتح البارى ٧ / ٢١٧، ٣٢٢، ٣٥٢، ٨ / ٣١ - تهذيب التهذيب ٣/٤٤٠ و ترجمة محمد بن إسحاق، و ترجمة ابن سعد و ترجمة عاصم بن عمر ـ طبقات الحفاظ ٢/٣١٢ و لسان الميزان

٥ ـ ابن الهمام الحنفى (المتوفى ٨٦١ هـ) : فتح القدير شرح الهداية ٤ / ٢٨٦

٦ ـ الشيخ شبير أحمد العثمانى (المتوفى ١٣٦٩ هـ) : فتح الملهم شرح صحيح مسلم ١/١، ٥٨

٧ ـ عبد الرؤف الداناپورى : أصح السير ١ / ٨، ١٢، ٢٠٠

٨ ـ الشيخ شبلى النعمانى (المتــوفى ١٣٣٢ هـ) : سيرة النبى ١ / ٨، ٢١، ٢٨ إلى ٣٨

٩ ـ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (المتوفى ٢٥٦ هـ) : الجامع الصحيح ١ / ٢٢ كتابة العلم. ٢ / ٥٩٢، ٦٠٣، ٦١٣، ٦١٩

١٠ ـ أحمد بن حنبل الشيبانى (المتوفى ٢٤١ هـ): المسند ٢ / ٤٠٣، ٣ / ١٣، ٤ / ٥٩، ٥ / ١٨٣

١١ - محمد بن عبد الباقی الزرقانی (المتوفی ١١٢٢ ھ) : شرح المواهب اللدنية للقسطلانی ٣ / ١١

١٢ - علی بن برهان الدین الحلبی : إنسان العیون فی سیرة الأمین المأمون ٣ / ٦

١٣ - محمد بن جریر الطبری (المتوفی ١٩٠ ھ) : تاریخ الرسل و الأمم و الملوك ٣ / ١٥٧٠ ، ١٦٣٣

١٤ - الحافظ شمس الدین الذهبی (المتوفی ٧٤٨ ھ) : سیر أعلام النبلاء ٢ / ١٥٧ - میزان الاعتدال المقدمة ٢ / ١٩٧ ، تذکرة الحفاظ

١٥ - عبد الصاحب جعفر جمال الدین : عربوں میں تاریخ کا مطالعه ، ترجمه : ندیم الواجدی مجلة (رگ سنگ) عدد ینایر ١٩٧٣ م

١٦ - أبو عبد الله حطیب عمری التبریزی (المتوفی ٧٤٠ ھ) : مشکاة المصابیح ص ٣٦ باب العلم

١٧ - ابن قتیبة الدینوری (المتوفی ٢٧٦ ھ) : تأویل مختلف الحدیث ص ٣٦٥

١٨ - محی الدین النووی (المتوفی ٦٧٦ ھ) : شرح الجامع الصحیح لمسلم ١ / ٢١٤

١٩ - مقدمة فتح الملهم ١ / ٩٢

٢٠ - ابن الأثیر الجزری (المتوفی ٦٣٠ ھ) : أسد الغابة فی معرفة الصحابة ٣ / ١٧٥

٢١ - أحمد بن یحیي البلاذری (المتوفی ٢٨٩ ھ) : فتوح البلدان ص ١٧٥ ، ٤٧٧

٢٢ ـ محمد بن سعد (المتوفى ٢٣٠ هـ) : كتاب الطبقات الكبير ٢/٧٧ ، ١٣٤ ؛ ٣/٩ ، ٩١ : ٥/٢١٦

٢٣ ـ أبو الفرج الأصبهانى (المتوفى ٨٩٧ هـ) : كتاب الأغانى ١٦/١٣٠

٢٤ ـ ابن عبد البر (المتوفى ٤٦٣ هـ) : جامع بيان العلم و فضله ص ٢٦ ، ٣٦ ، ٧٧ ، ١٣٦ ـ الاستيعاب فى معرفة الأصحاب (المقدمة)

٢٥ ـ الحافظ على بن عمر الدارقطنى (المتوفى ٣٨٥ هـ) : سنن دارقطنى ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٩ ، ٢٨٥

٢٦ ـ الحافظ أبو القاسم الطبرانى (المتوفى ٣٦٠ هـ) : ص ٢١٧

٢٧ ـ الحافظ علاؤ الدين الهدى (المتوفى ٩٧٥ هـ) : كنز العمال فى سنن الأقوال و الأفعال ٣/ ١٨٢ طبع قديم

٢٨ ـ أبو داود السجستانى (المتوفى ٢٧٩ هـ) : السنن (باب زكاة السائمة) ص ٢٣٤

٢٩ ـ أبو عيسى الترمذى (المتوفى ٢٧٩ هـ) : الجامع السنن ١ / ١٨٠

٣٠ ـ ابن النديم ، المؤرخ : الفهرست ص ٢٤٤

٣١ ـ أبو نعيم الأصبهانى (المتوفى ٤٣٠ هـ) : تاريخ الأصبهان (راجع أصح السير ص ٧)

٣٢ ـ الشيخ إبراهيم البيجورى : المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية للترمذى

٣٣ ـ حاجى خليفه : كشف الظنون ٢ / ٣٩

٣٤ ـ الدكتور مصطفى الصبرى : موقف العقل و العلم و العالم من رب العالمين ١/٤٧

٣٥ - أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي (المتوفى ٥٠٨ هـ) : الروض الأنف ١/١٢٢
٣٦ - ملا علي القاري (المتوفى ١٠١٤ هـ) : الموضوعات ص ٨٥
٣٧ - الأستاذ أحمد رضا البجنوري؛ مقدمة أنوار الباري شرح صحيح البخاري ١/ ٢١٥
٣٨ - الحافظ ابن كثير (المتوفى ٧٧٤ هـ) : البداية و النهاية في التاريخ ٣/ ٢٣٤ .
٣٩ - الحافظ السيد عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس و الاثبات ٢/ ٣٩٢
٤٠ - عبد القادر الروسي (المتوفى ١٠٣٨ هـ) : النور السافر ص ١١٤
٤١ - نشرت مجلة «دار العلوم» الأردية في أعدادها من يناير ١٩٧٢ م إلى نومبر ١٩٧٢ م مقالة علمية للباحث الكبير السيد محبوب الرضوي (من رجال دار العلوم بديوبند) استعرض فيها كتب السيرة في الأردية - و راجع كذلك «قاموس الكتب» الأردية بباكستان
٤٢ - العجالة النافعة : ص ٥٨ و ٦٠
٤٣ - أبو الكلام محي الدين أحمد آزاد (المتوفى ١٩٥٨ م) : تذكره ص ١٦٠ .
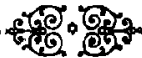
إعداد عبد الخالق مدرامى

الدنيا تفسد الاخوة

حكى ابن قنفذ فى «أنس الفقير و عز الحقير» عن الشيخ أبى مدين رضى الله عنه قال: جاء رجلان إلى أبى عبد الله التاودى ـ و كان رجلا صالحا من صلحاء فاس ـ يزورانه، فأبصرا بين يديه هرين جعل كل واحد منهما رأسه على الآخر، فقالا له: هكذا ينبغى أن تكون الأخوة! فأخذ التاودى لقمة من خبز و رمى بها إليهما، فوثب كل واحد منهما على الآخر ليأخذ اللقمة، فقال أبو عبد الله: «هكذا كانت الأخوة حتى دخلت الدنيا فأفسدتها».

مثل كريم

كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ينظر ليلا فى شؤون الرعية فى ضوء سراج، فجاء غلامه يحدثه فى شأن من شؤون بيته؛ فقال له عمر: اطفئ السراج ثم حدثنى، لأن هذا الدهن من بيت مال المسلمين، و لا يجوز استعماله إلا فى صالحهم.

غموض العلم

الحق أن هذا الغموض فى العالم مصدر كبير من مصادر اللذة للعقول الكبيرة، و أن حياة العلماء كانت تكون تافهة لولا هذا الغموض و الالغاز. (أحمد أمين)

الأيام مثل المزرعة

قال ابن الجوزى: «الزمان أشرف من أن تضيع منه لحظة، و هذه الأيام مثل المزرعة. فكأنه قيل للانسان: «كلما بذرت حبة أخرجنا لك ألف كر». فهل يجوز للعاقل أن يتوقف فى البذر و يتوانى؟!»

* * *

قال: «العتبى» لرجل من البادية: يا أخى! إنى لأعجب من أن فقهاءكم أظرف من فقهائنا، و عوامكم أظرف من عوامنا، و مجانينكم أظرف من مجانيننا!! فقال الرجل: و ما تدرى لم ذاك؟ - قال: ذلك من الجوع؛ ألا ترى أن العود إنما صفا صوته لخلو جوفه.

أسباب ارتقاء المسلمين

إن أسباب ارتقاء المسلمين كانت عائدة - فى مجملها - إلى الديانة، فعند ما دانت قبائل العرب بديانة الإسلام تحولوا بها من الفرقة إلى الوحدة، و من الجاهلية إلى المدنية و من عبادة الأصنام إلى عبادة الواحد الأحد، و تبدلوا بأرواحهم الأولى أرواحا جديدة صيرتهم إلى ما صاروا إليه من عز و منعة، و فتحوا نصف كرة الأرض فى نصف قرن. و لولا الخلاف الذى عاد فذب بينهم لكانوا أكملوا فتح العالم و لم يقف فى وجههم واقف.

(شكيب أرسلان)

الالمعية العربية

قال صاحب كتاب « مفتاح العلوم » :

العرب لا يبارون قوة ذكاء ، و إصابة حدس ، و حدة ألمعية ، و صدق فراسة . يخبرون عن الغائب بقوة ذكائهم كأنهم قد شاهدوه ، و يصف لهم الحدس الصائب حال الورد قبل أن يردوه ، ويثبتون أبعد شيء بحدة ألمعيتهم كأنه ليس ببعيد ، و ينظم لهم المجهول صدق فراستهم فى سلك المعروف منذ زمان مديد .

الحق أحب إلينا

رأى ابن القيم اعوجاجاً فى كلام شيخ الإسلام إسماعيل الهروى و كان صديقا له ، فقال : شيخ الإسلام حبيب إلينا ، و الحق أحب إلينا منه .

منطق عجيب

ذهب بصر عروة بن هذاب ، فدخل عليه إبراهيم ابن مشاجع ، فقام بين يديه فقال :

« يا أبا أسيد ! لا تجزع على ذهاب عينيك و إن كانتا كريمتين عليك ؛ لأنك لو رأيت ثوابهما فى ميزانك يوم القيامة تمنيت أن يكون الله قد قطع يديك ، و رجليك ، و دق ظهرك ، و أدمى ظلفك .

(* * * * *)

مذاهب الباحثين

بقلم :

فضيلة الأستاذ أحمد عبد الرحيم سائح

المذهب الأول : اللغة إلهام و تعليم من الله

* رأى جماعة المفسرين
* رأى الأصوليين
* رأى جماعة من علماء اللغة
* رأى أبو الحسن أحمد بن فارس

المذهب الثانى :

اللغة تواطؤ و اصطلاح

المذهب الثالث :

اللغة نشأت من الأصوات

المذهب الرابع :

أصل اللغة يرجع إلى جذور نفسية

المذهب الخامس :

نشأت اللغة بظهور البذرة الأولى لتكوين المجتمع

اللغة إلهام و تعليم من الخالق

قد كثر القائلون و الباحثون فى نشأة اللغة الإنسانية و أصلها منذ أقدم العصور ، و لا زال علماء اللغات يدرسون و يبحثون ، و لقد عالجها فلاسفة اليونان و علماء اللغة العربية و الإسلام ، و اهتم بها الباحثون المحدثون من الأوربيين ، و مشى على آثارهم كثير ممن أخذ عنهم ، و خاصة العرب منذ القرن التاسع حتى اليوم ، و قد اختلفت وجهات النظر و نتج عن ذلك نظريات كثيرة . منها : إن اللغة إلهام و تعليم من الله ، بمعنى أن الواضع للغات هو الله سبحانه و تعالى ، و قد بلغها الإنسان بطريق الوحى و الإلهام أو بإيداع ذلك فى طباعه .

و ذهب إلى هذا الرأى جماعة من المفسرين ، و قد حكى ابن جنى عن بعض المفسرين فى تفسير الآية ﴿ و علم آدم الأسماء كلها ﴾ أن الله سبحانه علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات : العربية و الفارسية و السريانية و العبرانية و الرومانية و غير ذلك من سائر اللغات ، فكان آدم و ولده يتكلمون بها ، ثم إن ولده تفرقوا ، و علق كل منهم بلغة من تلك اللغات فغلبت عليه ، و اضمحل عما سواها لبعد عهدهم بها . و إذا كان الخبر الصحيح قد ورد بهذا وجب تلقيه باعتقاده و الانطواء على القول به (٢) .

و عن ابن عباس رضى الله عنه أنه كان يقول : علمه الأسماء كلها

و هى هذه الأسماء التى يتعارفها الناس من : دابة و أرض و سهل و جبل و جمل و حمار و أشباه ذلك من الأمم و غيرها . و عن مجاهد أنه قال: علمه اسم كل شيء . و قال غيرهما : إنما علمه أسماء الملائكة . و قال آخرون : علمه أسماء ذريته أجمعين .

و ممن ذهب هذا المذهب : الأصوليون ، قال الآمدى حاكيا آراء العلماء فى ذلك : اختلف الأصوليون فيه ، فذهب الأشعرى و أهل الظاهر و جماعة من الفقهاء إلى أن الواضع هو الله تعالى ، و وضعه لنا متلق من جهة التوقيف إما بالوحى أو بأن يخلق الله الأصوات و الحروف و يسمعها الواحد و الجماعة ، و يخلق له أولهم العلم الضرورى بأنها قصدت للدلالة على المعانى، محتجين على ذلك بآيات ، منها قوله تعالى ﴿ و علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤنى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ و هذا يدل على أن آدم و الملائكة لا يعلمون إلا بتعليم الله تعالى ، و منها قوله تعالى ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق ، اقرأ و ربك الأكرم الذى علّم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ و اللغات داخلة فى هذه المعلومات ، و منهـا قوله تعالى ﴿ إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾ ذمهم على تسمية بعض الأشياء من غير توقيف ، و قوله تعالى ﴿ و من آياته خلق السماوات و الأرض و اختلاف ألسنتكم ﴾ المراد به اللغات لا نفس اختلاف هيئات الجوارح من الألسنة ، لأن الاختلاف أبلغ فى مقصود الآية (٢) .

و ذهبت طائفة من علماء اللغة إلى مثل ما ذهب المفسرون

و الأصوليون ، حكى ابن جنى فى الخصائص عن أستاذه أبى على الفارسى المتوفى سنة ٣٧٧ هـ قال : إن أبا على رحمه الله قال لى يوما : هى من عند الله ، و احتج بقوله تعالى ﴿ و علم آدم الأسماء كلها ﴾ (٥) .

و أيد ابن جنى هذا الرأى فقد جاء عنه فى الخصائص : و اعلم فيما بعد أننى على تقادم الوقت دائم التنقير و البحث عن هذا الموضوع ، فأجد الدواعى و الخوالج قوية التجاذب لى مختلفة جهات التغول على فكرى . و ذلك أننى إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة و الدقة و الإرصاف و الرقة ما يملك على جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر . فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا ، و منه ما حذوته على امثلتهم ، فعرفت بتتابعه و انقياده و بعد مراميه و آماده صحة ما وفقوا لتقديمه منه ، و لطف ما أسعدوا به ، و انضاف إلى ذلك وارد الآخبار المأثورة بأنها من عند الله عز و جل ، فقوى فى نفسى اعتقاد كونها من الله سبحانه و أنها وحى (٦) .

و قال أبو الحسين أحمد بن فارس : إن لغة العرب توقيف ! و استدل بالآية ﴿ و علم آدم الأسماء كلها ﴾ و تفسير ابن عباس و مجاهد و غيرهما . و لكن أبا الحسين بعد أن أطلق كلامه هذا الإطلاق رجع لخصص ما عمم فقال : و لعل ظانا يظن أن اللغة التى دللنا على أنها توقيف إنما جاءت جملة واحـــدة و فى زمان واحد ، و ليس الأمر كذلك ، بل وقف الله عز و جل آدم عليه السلام على ما شاء أن يعلمه إياه مما احتاج إليه فى

 زمانه

زمانه، و انتشر من ذلك ما شاء الله، ثم علم بعد آدم عليه السلام من الأنبياء نبياً نبيا ما شاء أن يعلمه، حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد - صلى الله عليه و سلم - فآتاه الله من ذلك ما لم يؤته أحدا من قبله [7]. ثم قال: فان تعمل لذلك اليوم متعمل وجد من نقاد العلم من ينفيه و يرده، و لقد بلغنا عن أبي الأسود أن امرءاً كلمه ببعض ما أنكره أبو الأسود، فسأله أبو الأسود عنه، فقال: هذه لغة لم تبلغك! فقال أبو الأسود: يا ابن أخي لاخير لك فيما لم يبلغني، و جاء أنه لم يبلغنا أن قوما من العرب في زمان يقارب زماننا أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه [8].

و قد كان في الصحابة رضي الله تعالى عنهم و هم البلغاء و الفصحاء من النظر في العلوم الشريفة ما لا خفاء به. و ما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة أو إحداث لفظة تتقدمهم [9].

قال الأستاذ مصطفى السقا بعد أن أورد أقوال أصحاب المذهب السابق: و الذي يلوح لي أن أكثر ما استدل به أصحاب هذا المذهب أدلة دينية، مع أن البحث نظري و عقلي لا ديني، فينبغي أن يستبعد منه الاستدلال بالآيات و الأحاديث و نحوها، على أن الآية الأولى التي هي معتمد القوم في الاستدلال ليست نصا في الموضوع. و إنما هي من قبيل الظاهر الذي يحتمل أكثر من وجه، فقد يمكن تأويلها بأن الله أقدر آدم على أن واضع عليها، قال ابن جني في الخصائص بعد أن أورد الآية: و هذا لايتناول موضع الخلاف، و ذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله: أقدر آدم على

أن واضع عليها . و هذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة ، فاذا كان ذلك محتملا و غير مستنكر سقط الاستدلال به ، و قد كان أبو على رحمه الله أيضا قال به فى بعض كلامه . و ليس يعنينا بعد ذلك من الأدلة التى استدلوا بها غير كلام ابن جنى . و خلاصته أنه رأى فى أحكام اللغة و دقة تنظيمها ما جعله يعتقد أن ذلك الأحكام لا يتأتى من غير الله . و هذا الدليل إن لم يكن صريحا فى التدين فهو مقنع بقناع الدين . فان كثيرا من أعمال القدماء كالأهرام و غيرها آية فى دقة الصنع ، فهل نقول أن صانعها هو الله - من أجل إتقانها ؟ ! على أن ابن جنى نفسه بعد أن ذكر كلامه الذى سقناه لم يلبث أن شعر بما فيه من ضعف ، فاستدرك على نفسه بقوله : كذلك لا ننكر أن يكون الله قد خلق من قبلنا و إن بعد مداه عنا من ألطف منا أذهانا ، و أسرع خواطر و أجرأ جنانا فاقف بين الخلتين حسيرا و أكاثرهما فانكفئ مكثورا ، و إن خطر خاطر فيما بعد يعلق الكف باحدى الجهتين و يكفها عن صاحبتها .

قال الأستاذ مصطفى السقا : أما صدر كلام أبى الحسين أحمد بن فارس فهو تقليد لأئمة الدين ، و قد كان الشيخ محافظا شديد المحافظة ، و قد عدل كلامه فضيق دائرة الدعوى ، و أما إنكاره على العرب أنهم أجمعوا على تسمية الشىء مصطلحين عليه ؛ فيكفى فى رده ما نقله غير واحد من أئمة اللغويين من أن رؤبة الحجاج و جرير و ابن أحمر الباهلى انفرد كل منهم بألفاظ لم يقلها غيره من العرب ، و أنهم كانوا يرتجلون أحيانا . فهذا

دليل على استمرار نمو اللغة حتى العصر الأموى و إلى انقضاء عصور الفصاحة العربية قبل أن يسيل سيول العجمة و تفسد السلائق باختلاط العرب بغيرهم الاختلاط الأكبر فى العصر العباسى ، و ليست الواضعة و الاصلاح و التواطؤ الذى يريده القائلون به إلا أن يخترع اللفظ مخترع فيتقبله منه الناس و يستعملوه .. و خلاصة ما تقدم أن القائلين بأن أصل اللغة توقيف و وحى يعوزهم الدليل العلمى لا الدينى ، و لم نجد هذا الدليل فيما بين أيديهم من فروض و احتمالات .

و قد ذهب هذا المذهب من اليونانيين قديما الفيلسوف « هيرا قليط» و من الأدبيين المحدثين طائفة على رأسهم الأب « لامى » فى كتابه « فن الكلام » و يستند إلى نص الفقرتين ٢٠،١٩ من الاصحاح الثانى من سفر التكوين و هما : « و الله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول . و جميع طيور السماء ، ثم عرضها على آدم ليرىٰ كيف يسميها ، و ليحمل كل منها الاسم الذى يضعه له الإنسان ، فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة و لطيور السماء و دواب الحقول » . و هذا الدليل فوق أنه دليل دينى ليس فيه شىء من الاستدلال على أصل الدعوى ، و قد بان من هذا و مما تقدم أن هذا المذهب مجرد دعوى لا سند لها غير الآلة النقلية التى ليست نصا فى الموضوع (١٠) .

و لكن بعض العلماء توصل إلى دليل عقلى ينهض قويا ليدعم الأدلة النقلية ، و هذا الدليل : إن الإنسان الأول لما كان نبيا فهو لا بد له لكى يتفهم ما يوحىٰ إليه و لإبلاغ رسالته من لغة يستطيع بها التفهم و إبلاغ

رسالته ، و إلا تعذر عليه التبليغ و تفهم ما يوحى إليه ، فالله سبحانه لما خلق أبا البشر و أصل الخليقة آدم عليه السلام و أسكنه و زوجه الجنة و أوحى إليه هو و زوجته أن يأكلا من الجنة حيث شاءا و أن لا يقربا شجرة معينة . و غير ذلك مما خاطبهم به فلا بد من غير شك أنه علمهما معانى ما خاطبهما به و ما أوحى به إليهما ، بل الظاهر أنه سبحانه علمهما ما يتخاطبان به فيما بينهما او مع الملائكة ، و ذلك لإتمام النعمة عليهما فى الجنة .

نعم من الجائز أن الله أودع فى آدم و ذريته الأولين قوة توسيع اللغة الأصيلة ثم تفرعت منها لغات بعد ذلك حسب التكتلات البشرية فى أقطار المعمورة ، فكان لكل كتلة منهم لغتها و لهجتها و نغمتها الخاصة (١١) .

المذهب الثانى :

إن اللغة تواطء و اصطلاح ، و خلاصة هذا المذهب أن الواضع للغة هو الإنسان ، و أن وضعه لها كان على مراحل . و لقد ذهب إلى هذا المذهب أكثر أهل النظر ، كما قال ابن جنى فى الخصائص : هذا موضوع محوج إلى فضل تأمل ، غير أن أكثر أهل النظر على أن اللغة إنما هى تواضع و اصطلاح ، لا وحى و لا توقيف (١٢) .

و لعل المراد بأهل النظر فى كلام ابن جنى المتكلمون عامة و المعتزلة منهم خاصة ، و كان ابن جنى و أستاذه أبو على الفارسى منهم ، كما ذكر السيوطى فى كتاب المزهر .

حكى أبو الحسن على بن محمد الآمدى فى « كتاب الاحكام » أن البهشمية

و جماعة من المتكلمين ذهبوا إلى أن ذلك من وضع أهل اللغات واصطلاحهم ، و أن واحدا أو جماعة انعثت داعيته أو داعيتهم إلى وضع هذه الألفاظ بازاء معانيها ، ثم حصل تعريف الباقين بالإشارة و التكرار ، كما يفعل الوالد بالولد الرضيع ، وكما يعرف الأخرس ما فى ضميره بالإشارة و التكرار مرة بعد أخرى ؛ محتجين على ذلك بقوله تعالى ﴿ و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ وهذا دليل على تقدم اللغة على البعثة و التوقيف (١٣) .

و زاد ابن جنى على هذا المذهب توضيحا بقوله : ذهبوا أن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة . و ذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات ، فيضعوا لكل واحد سمة و لفظا . فاذا ذكر عرف به ما مسماه ليمتاز عن غيره . وليغنى بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين . فيكون ذلك أقرب و أخف و أسهل من تكلف إحضاره لبلوغ الغرض فى إبانة حاله ، بل قد يحتاج فى كثير من الأحوال إلى ذكر ما لا يمكن إحضاره و لا إدناؤه ، كالفانى و حال اجتماع الضدين على المحل الواحد . كيف يكون ذلك لو جاز وغير هذا مما هو جار فى الاستحالة و البعد مجراه ، فكأنهم جاؤا إلى واحد من بنى آدم فأومؤا إليه و قالوا : إنسان ، إنسان ، إنسان ! فأى وقت سمع هذا اللفظ علم أن المراد به هو الضرب من المخلوق ، و إن أرادوا سمة عينه أو يده أشاروا إلى ذلك فقالوا : يد ، عين ، رأس ، قدم ! أو نحو ذلك ؛ فمتى سمعت اللفظة من هذا عرف معناها ، و هلم جرا فيما سوى هذا من الأسماء و الأفعال

الحروف ، ثم لك بعد ذلك أن تنقل هذه المواضعة إلى غيرها ، فتقول
.ى اسمه « الرجل » فليجعل مكانه « مرد » و الذى اسمه « رأس » فليجعل
كانه « سَر » ، و على هذا بقية الكلام . و كذلك لو بدئت اللغة الفارسية
قعت المواضعة عليها لجاز أن تنقل و يولد منها لغات كثيرة من الرومية
الزنجية و غيرهما ، و على هذا ما نشاهده آلاف من اختراعات الصناع
لات الصنائع من الأسماء كالنجار و الصائغ و الحائك و البناء و كذلك
لاح . قالوا : و لكن لا بدّ لأولها من أن يكون متواضعا بالمشاهدة
الإيماء (١٤) .

و على ذلك اختلفت أقلام ذوى اللغات كما اختلفت أنفس الأصوات
تبة على مذاهبهم فى المواضعات . وتوسط قوم بين المذهبين ، فذهب أبو إسحاق
اسفرايني إلى أن القدر الذى يدعو به الإنسان غيره إلى التواضع بالتوقيف ،
إلا فلو كان بالإصلاح فالإصلاح عليه متوقف على ما يدعو به الإنسان
ه إلى الاصطلاح على ذلك الأمر ، فان كان بالاصطلاح لزم التسلسل
هو ممتنع ، فلم يبق غير التوقيف و جوز حصول ما عدا ذلك بكل واحد
الطريقين (١٥) .

و خلاصة الرد على أصحاب هذا المذهب فى أن قولهم باجتماع
كيمين أو ثلاثة فصاعداً ليضعوا لكل شىء سمة و لفظا ؛ ليس إلا مجرد
يال و حدس و ظن ، و إن الظن لا يغنى من الحق شيئا ! ذلك إلى أن
نول بأن الانسان وضع من أول الأمر كلمات ذات مقاطع مركبة
افق طبائع الأشياء ، إذ أن التدرج و الترقى من البسيط إلى المركب هو

القانون الملحوظ فى نشأة الظواهر الاجتماعية التى من أهمها ظاهرة اللغة ، كما يلاحظ ذلك فى نشأة اللغة و تدرجها شيئاً فشيئا .

و أما الاستدلال بالآية ﴿ و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ فليس فيه دليل ، لأنه يجوز أن يكون التوقيف الذى قبل التواضع بالوحى من غير واسطة اللغة ، على أننا نقول ما قلناه آنفا أن الاستدلال بالنصوص الدينية فى مقام البحث العلمى لا يجوز . و لذلك كله توقف جماعة من العلماء عن القطع بأحد المذهبين ، فذهب القاضى أبو بكر الباقلانى و غيره من أهل التحقيق إلى أن كل واحد من هذه المذاهب ممكن بحيث لو فرض وقوعه لم يلزم عنه المحال ، و أما وقوع البعض فليس عليه دليل قاطع . و الظنون متعارضة يمتنـــع معها المصير إلى التعيين . و لذلك أيضا قال الآمدى : و الحق أن يقال إن كان المطلوب فى هذه المسألة يقين الوقوع لبعض هذه المذاهب ؛ فالحق ما قاله أبو بكر الباقـلانى . إذ لا يقين من شىء منهما (١٦) .

المذهب الثالث :

إن اللغة نشأت من الأصوات . و يرى هـذا العلمـاء الأوربيون المحدثون ، و سبق إليه علماء اللغة العربية ، قال ابن جى فى الخصائص : و ذهب بعضهم إلى أن أصل اللغة كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوى الريح ، و حنين الرعد ، و خرير الماء ، و شحيح الحمار ، و نعيق الغراب ، و صهيل الفرس ، و نزيب الظبى (صوت تيس الظباء عند السفاد) و نحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عند ذلك فيما بعد (١٧).

و يقول ابن جنى : « هذا عندى وجه صالح و مذهب متقبل »[18] .
و يرى الأب « انستاس مارى الكرملى » نفس هذا الرأى و يقول : الكلم وضعت فى أول أمرها على هجاء واحد متحرك فساكن ، محاكاة لأصوات الطبيعة [19] . و هذا المذهب قال به جماعة من المتأخرين مثل « ادم سمث » و « روكلوستيورت » و نقل عنهم أن الإنسان كان يعبر عما فى ضميره بالإشارات و الحركات ، حتى تكاثرت فجعل يحكى الأصوات التى يسمعها ، فكان إذا أراد أن يشير إلى الغراب قال : « غاق » ! و لما وجد حكاية الأصوات هذه تفى بالمقصود اعتمد عليها فحصلت منها أصوات اللغة ، ثم طرأ عليها التركيب و النحت و الحذف و التغيير و ما شاكل . فتألفت سائر ألفاظ اللغة عن كل خاطر يخطر فى النفس [20] .

و بمقتضى هذا المذهب كان الإنسان إذا أراد استحضار معنى الحصان عبر عنه بصهيله « حم حم » أو معنى الكلب عبر عنه بمحاكاة نباحه « عو عو » و هكذا إذا أراد الدلالة على معنى قطع الغصن أو قصه نطق بالصوت « طق » لما بين هذه الأصوات و معانيها من المناسبة . و قد قال الخليل : كأنهم توهموا فى صوت الجندب استطالة و مدا فقالوا « صر » و توهموا فى صوت البازى تقطيعا فقالوا « صر صر » . و من الطبيعى أن يكون التفاهم فى هذا الطور الأول بكلمات متقطعة لا بجمل ، و إن هذه الكلمات كانت حكاية لأصوات الأشياء ، أو حكاية أفعال . أما الحروف التى تربط بين الكلمات فى الجمل فلم تكن نشأت بعد [21] .

فأنت ترى أن اللغة نشأت بمحاكاة الإنسان للأصوات الطبيعية ، وكانت المحاكاة فى أول أمرها عضوية ، أى لم يقصد بها الأصوات الحاكية

التعبير عن المعانى المحكى عنها بها للاتصال بالغير ، إن الوظيفة الاجتماعية للغة لم تبرز فى أول الأمر ، ثم وجد الإنسان أن هذه الوسيلة مثمرة و نافعة و سهلة فى دلالتها على المعانى . لهذا أصبح يطلق على الأشياء أصواتا هى حكاية لأصواتها الصادرة عنها للدلالة عليها و للاتصال بالغير، فمعنى هذا أن استعمال الإنسان للأصوات الحاكية أصبح استعمالا شعوريا أراديا هادفا ، و هنا يبرز العنصر الاجتماعى للغة : الرموز الصوتية ، ثم طرأ على الأصوات الحاكية الدالة : التركيب و النحت ، و الحذف . و الزيادة ، و القلب ، و الإبدال ؛ ليدل الإنسان على معانى جديدة بأصوات متمايزة ، و بعد أن التمت إلى أهمية و فائدة الرموز الصوتية فى الدلالة على المعانى المصوتة و غير المصوتة ، المادية و غير المادية ، و كان هذا على مراحل ، ثم إن التصرف فى الأصوات الحاكية بالكيفيات المتقدمة يختلف باختلاف البلاد و القبائل و البيئات الاجتماعية ، ثم أقرت هذه الأصوات المتصرف بها مع الزمن ، فبعد كثيرٌ منها عن أصله و هو الصوت الذى حاكى به الإنسان الأصوات الطبيعية ، و هكذا نشأت اللغة [٣٢]

و يستدل أصحاب هذا المذهب على صحته بأنه أقرب المذاهب إلى البساطة التى تقتضيها حياة الإنسان البدائى ، و تقتضى التدرج و التطور الذى تقضى بـه طبائع الأشياء ، و الذى يلحظ فى نشوء الظواهر الاجتماعية عـامة

و بأنه توجد مناسبة ملحوظة بين الأصوات ، و ما تدل عليه من معنى ، و هذا أمر ظاهر فى لغات الأمم الأولية

و بأنه شبيه بنشأة لغة الطفل التى تتدرج من الأصوات الساذجة المستطيلة إلى الأصوات المقطعة ثم يتدرج إلى الكلمات ذات المقاطع

المركبة إذا كملت أعضاء النطق عنده . ولا يرد على هذا المذهب من النقد ما ورد على المذاهب الأخرى السابقة، و لذلك كان أقرب المذاهب إلى العقل وإن لم يوصل إلى اليقين فى نشأة اللغة ، و قد ارتضاه ابن جنى فى كتابه «الخصائص» حين قال: و هـــذا عندى وجه صالح و مذهب متقبل .

و الأصوات جمع صوت ، و هو الجرس الذى ينتقل بالهواء إلى حاسة السمع . و تنقسم هذه الأصوات حسب المصدر إلى الذى تنبعث عنه إلى قسمين : الأول الأصوات الطبيعية ، كصوت الريح أو الرعد أو النار ، أو جرى المياه و انصبابها من علو إلى أسفل ، و كأصوات الفرح و الطرب و نحو ذلك . و الثانى : الأصوات الغير الطبيعية ، كأصوات الحركات و الأفعال التى يفعلها الإنسان ، و أصوات الآلات و الأدوات التى يستعملها كأزيز الطائرات و جعجعة الطواحين و صوت المنشار فى الخشب و وسوسة النقود و الحلى و صرير الأبواب و صلصلة الاجراس و ما أشبه ذلك .. و يلحق بهذا القسم الأصوات البدائية التى اخترعها لدعاء الحيوان أو لزجره .

و تنقسم الأصوات من حيث صفاتها : (١) إلى أصوات ساذجة ، و هى التى تمتـــد فى استطالة بدون تقطيع ، كصوت زمارة الإنذار عند انتهاء الغارات ، و كصفير الحيوان أو الإنسان من غير ترجيع و لا تكرير ، و هذا النوع ليس موضوع بحث اللغويين . (٢) و إلى أصوات مقطعة، كالحروف التى يلفظها الإنسان بالاعتماد على المقاطع و المخارج . و كالأصوات الطبيعية التى سبقت الإشارة إليها؛ فانها و إن صدرت عن أشياء لا مقاطع لها

لها كمقاطع الإنسان فقد تمكن حكايتها بالألفاظ اللغوية الإنسانية ذات المقاطع و الحروف جرت عليها أحكامها [٢٣]

و هناك من العلماء من يقرر أن أصل اللغة الأصوات الانفعالية للإنسان التى كان يطلقها الإنسان فى ظروف حياته البدائية، و هى تختلف باختلاف حالاته النفسية و الجسمية و باختلاف الظروف المحيطة به، و كانت تلك الأصوات فى بدايتها عضوية لم يقصد منها الاتصال بالغير، بل هى مجرد أصوات تصدر عنه كتعبير عن حالة من حالاته الانفعالية، و لما ارتبطت هذه الأصوات بتلك الحالات الانفعالية نتيجة تكرارها عند تعرضه لها انتبه إلى أهمية هذه الأصوات و فائدتها. فأخذ يستعملها للاتصال بالغير، و بهذا أصبح الصوت يخدم غرضا اجتماعيا، و كان ان وسع مجال الصوت فى الدلالة على الأشياء تدريجيا. و هكذا نشأت اللغة [٢٤]

المذهب الرابع:

يقرر كثير من العلماء المحدثين أن أصل اللغة يرجع إلى حذور نفسية، و فى هذا عدة نظريات:

١ ـ أصل اللغة رغبة الإنسان فى أن يرى الواقع مرموزا إليه، و فى ذلك نجد الأستاذ سابر Sapir و هو من المشتغلين بفلسفة اللغة لا يرى أن الحاجة إلى التفاهم أنشأت اللغة، بل يرى أن منشأها رغبة الإنسان فى أن يرى الواقع مرموزا إليه أو معبرا عنه بالرموز، ثم اكتشف مصادفة أن ذلك خير وسيلة للتفاهم [٢٥]

٢ ـ أصل اللغة التعبير عن الحالات الانفعالية

٣ ـ أصل اللغة التعبير عن المعانى الكامنة، و فى هـذا يقول «ماكس»

و هو من أشهر من قال بهذه النظرية فى القرن الماضى ١٨٦٣م : إن فى الإنسان قوة ، من شأنها التعبير عما فى ضميره بكلمات ملفوظة . فكان الفكر أول ما يجول فى دماغه ، كأنه يقرع تلك القوة فتصون بألفاظ يفهم الفكر منها . و هذه الألفاظ هى أصول اللغة ، ثم تقلبت عليها أطوار التعبير و التركيب فتألفت مفردات اللغة . و لما تم الاستنباط و رج عليها الاستعمال لم يبق لهذه القوة من حاجة . فأهملت و تضعضعت و لم تعد تحس . كما يضعف السمع و البصر لقلة الاستعمال (٦٣) .

من هذا يتضح أن اللغة إنما نشأت بسبب عوامل و دوافع نفسية بحتة ، ثم وجد الإنسان الأول أن اللغة يمكن أن تحقق له فوائد كثيرة فانتبه لذلك ، و كان أن وسع من نطاقها و طورها لتخدم أغراضه التى يمكن أن تؤديها .

المذهب الخامس :

الأصل الاجتماعى . و خلاصته : أن اللغة نشأت بظهور البذرة الأولى لتكوين المجتمع ، و أن الإنسان كان مضطرا لأن يتفاهم مع الآخرين لأسباب و دوافع كثيرة . لهذا كان يطلق أصواتا فى حالات مختلفة ، ثم اكتسبت هذه الأصوات صفة التباين النسبى حتى أصبحت لها دلالتها على معان معينة ، فأخذ يستعملها للتعبير و الاتصال بالآخرين لتحقيق غرض ما ، فنشأة المجتمع هى سبب نشأة اللغة ، و اللغة هى التى جعلت للمجتمع البشرى وجودا إنسانيا .

(مع الشكر لمجلة « اللسان العربى »)

مراجع

• ـ انظر مجلة « النجف » العدد السادس من السنة الثانية ص ٧٣ ـ العراق
• ـ المصدر السابق ص ٨٥ – ٨٦ . (متعلقان بالعدد السابق « لدعوة الحق »)
١ ـ الخصائص لابن جنى ١ / ٣٩ – ٤٠ ، مطبعة الهلال بمصر
٢ ـ الاحكام فى أصول الأحكام للامدى ١ / ١٠٥
٣ ـ الخصائص لابن جنى ١ / ٣٩
٤ ـ « « ١ / ٤٥
٥ ـ فقه اللغة للصاحبي ص ٥ ـ بيروت
٦ ـ « « ص ٦
٧ ـ « « ص ٧
٨ ـ مجلة « المعرفة » السنة الأولى ، العدد ٣ ـ السعودية
٩ ـ مجلة « النجف » العدد السادس من السنة الثانية ص ٣٨ – ٤٠
١٠ ـ الخصائص لابن جنى ١ / ٣٩
١١ ـ مجلة « المعرفة » السعودية ، العدد ٣ ، السنة الأولى
١٢ ـ الخصائص لابن جنى ١ / ٤١ – ٤٢
١٣ ـ الاحكام فى أصول الأحكام للامدى ١/١٠٦
١٤ ـ الخصائص لابن جنى ١/٤٤ – ٤٥
١٥ ـ « « ص ٤٥
١٦ ـ دراسات فى فقه اللغة ص ١٥٥ ـ العراق (الدكتور صبحى الصالح)
١٧ ـ معجم « متن اللغة » ١ / ١٨ (الشيخ أحمد رضا) ـ العراق
١٨ ـ مجلة « المعرفة » السعودية ، الجزء الثالث ، السنة الأولى
١٩ ـ مجلة « النجف » العراقية العدد ٦ من السنة الثانية ص ٥٠ – ٥١
٢٠ ـ مجلة « المعرفة » السعودية ـ السنة الأولى ، الجزء الثالث
٢١ ـ مجلة « النجف » العراقية العدد السادس ص ٥١
٢٢ ـ أصول تدريس اللغة العربية ص ١٠ ـ العراق
٢٣ ـ معجم متن اللغة ١ / ١٩ ـ و المزهر للسيوطى ١ / ٣٦

{ ٭ ٭ ٭ ٭ ٭ }

شرح ابن ماجه باللغة الاردية

(بقلم الفاضل الشاب محمد ساجد البستوى المجاز من دارالعلوم بديوبند)

إن سنن ابن ماجه من كتب الصحاح الستة التى لا تزال تدرس فى الجامعات و المدارس الإسلامية فى الهند و خارجها منذ قديم ، و كانت الحاجة ماسة إلى أن يوضع له شرح مستوعب لنواحى البحث كلها ، فان شروح الكتاب قد ندر وجودها ، و ما كان منها فى متناول يد الطلبة لم يكن وافيا بالمقصود . فلذا شمر الفاضل محمد ساجد البستوى المجاز من دار العلوم بديوبند عن ساعد حده و وضع شرحا باللغة الأردية نظراً لتعميم الفائدة فى المدارس الإسلامية الهندية . و تناول فيه بالبحث جميع ما كان يبحث عنه الدارس فى هذا الكتاب ، و قد أعطى الأحاديث النبوية من البحث و التمحيص حقها . و قد جمع مادة وفيرة عن التعريف بالنحل و الفرق المبتدعة و المعتزلة و الخوارج و القدرية و الجبرية و الجهمية و الكرامية ، و دلل على دحض نظرياتها بدلائل محكمة قوية . فصار الشرح لطالب الحديث و دارسه خير مرجع ، و أصفى مرآة يستطيع أن يرى فيها الوجه الصحيح للاحاديث النبوية ، و يفهم مغزاها الأصيل .

و قد تكرم الأستاذ « أنظر شاه » أستاذ الدراسات العليا فى دار العلوم بمقدمة مبسوطة لهذا الشرح ، ألقى فيها ضوءاً كاملا على مكانة الحديث و صيانتها ، و الرد على منكريه . كما قام الأستاذ عبد الحكيم أستاذ الطب بكلية الطب لدار العلوم بكتابة ترجمة حياة الإمام المحدث ابن ماجه - رح .

ندعو الله تعالى أن يمنح هذا الكتاب قبولا لدى العلماء وطلبة المدارس ، و يجعله نافعا للمستفيدين ، و ذخيرة للقائمين عليه .

أخبار الجامعة

تأسيس مجلس القضاء فى الجامعة

قد كانت تعمل لجنة قضائية فى دار العلوم منذ عام ١٩٤٧ م لفصل القضايا فى شؤون المسلمين ، ولم يزل عملها فى فصل القضايا ، و تنتشر فروعها فى كثير من البلدان الهندية فى هذه الفترة ، إلا أن نطاقها كان محدودا ، فاقتضت الأوضاع المتغيرة فى البلاد إلى توسيع نطاق عمل القضاء الإسلامى للمحافظة على الروح الدينية فى شؤون المسلمين .

و خطت الجامعة خطوة هامة فى الأيام الأخيرة حيث بذلت جهودها لإقامة مجلس دائم للدفاع عن قانون الأحوال الشخصية للمسلمين فى مدينة « بومباى » الذى لا يزال يعقد اجتماعاته فى مدن شتى من الهند العامة تحت إشراف فضيلة الشيخ مولانا محمد طيب مدير دار العلوم ، و الإدارة العامة لفضيلة الشيخ مولانا منة الله الرحمانى عضو مجلس الشورى لدار العلوم .

ثم دعت الحاجة إلى تعميم خدمة اللجنة القضائية السابقة و إعطائها شكلا دائما رسميا ، فأقيم لهذا الغرض مجلس القضاء الدائم فى الدار الذى يفتح فروعه فى خارج الدار ، و يوسع نطاقه خدمته القضائية للمسلمين . والمجلس يتكون من السادة الآتية أسماؤهم :

المشرف العام : فضيلة الشيخ محمد طيب مدير الدار . القاضى الأول وعضو المجلس : المفتى أحمد على سعيد نائب المفتى بدار الإفتاء .

مدير المجلس و عضوه: الأستاذ محمد سالم المدرس بالدار. و نائب مدير المجلس و عضوه: الأستاذ ظفير الدين أمين مكتبة الدار. و عضو المجلس: سماحة الأستاذ الشيخ شريف الحسن أستاذ الحديث بالدار.

* * *

انعقدت الدورة السنوية الثانية لمجلس الشورى للدار فی شهر رجب، و دامت اجتماعاتها ثلاثة أيام، و اتخذت قرارات عديدة عن الشؤون التعليمية و الإدارية.

* * *

جرى الاختبار السنوى شفوياً و تحريرياً من آخر شهر رجب إلى نصف شعبان فی جميع الأقسام التعليمية. اشترك فيه حوالی ألف و خمسمائة طالب.

* * *

عطلت الجامعة عطلة سنويـــة من العشرة الأخيرة من شعبان إلى العاشر من شوال، و بعد انتهاء العطلة بدأت نشاطها و سنتها الدراسية الجديدة للطلبة الجدد من ٢٧ شوال سنة ١٣٩٤ هـ.

* * *

زارت دار العلوم وفود و جماعات من داخل البلاد و خارجها و ضيوف من البلاد العربية فی فترة الشهرين الماضيين.

تحت إشراف صاحب الفضيلة الشيخ مولانا محمد طيب رئيس الجامعة

مجلة عربية إسلامية تصدر عن جامعة دار العلوم بديوبند كل ثلاثة أشهر

رئيس التحرير المسؤل:

وحيد الزمان الكيرانوى

المدرس بدار العلوم - بديوبند

العدد الرابع / المجلد العاشر

صفر سنة ١٣٩٥هـ

فبراير سنة ١٩٧٥م

الاشتراك السنوى:

فى الهند: خمس عشرة روبية

فى الخارج: ما يعادلها، عدا أجرة البريد

لطلبة المدارس العربية: عشر ربيات

طبعت بمطبعة

دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن الهند

فهرس العدد

الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الكائنات تشهد بوجود الاله

* * *

إفادات : الإمام الكبير الشيخ
محمد قاسم النانوتوى مؤسس دار العلوم
بديوبند
ضبط و تعريب :
بدر الحسن القاسمی
المجاز من دار العلوم بديوبند

وراء هذا الكون قوة مدبرة

(١)

من القواعد المعروفة المسلمة عند جميع العقلاء أن كل صنعة
لا بد لها من صانع، و كل حادث لا بد له من محدث، و كل حركة لا بد
لها من محرك، و كل نظام لا بد أن يكون له مدبر. لذلك كلما نرى بيتا
و بناية عظيمة أو منارة شامخة نجزم من غير تأمل و إطالة فكر و إعمال
روية بأن لها صانعا، و ليس على ظهر الأرض بيت - و لو كان صغيرا -
أسس من غير أن يكون له بناء و مؤسس. إن الساعة الحقيرة المبتذلة
التي نستعلم بها الوقت لا يمكننا أن نتصور عنها - و لو لبرهة - أنها تجهزت
و تكونت من غير عمل صناعي و ميكانيكي دقيق.

فهذا الكون الهائل الضخم، و هـــذا العالم الرحب الذي ترامت
أطرافه و اتسعت جوانبه و أرجاؤه مع ما يشتمل عليه من الأجرام العلوية
و الآثار السفلية الضخمة التي تدهش العقول و تثير الإعجاب كيف يمكن
أن يوجد من دون أن يكون له خالق و منظم و من غير أن تكون
وراءه يد مدبرة و قوة عليا مسيطرة[١]؟!

---

(١) أما القول بالمصادفة و الاتفاق الذي يعتنقه بعض المتفلسفة مع قطع النظر عن حقائق الكون البديعة و نواميسه الدقيقة، و يردده بملء شدقيه من يقلدهم في مثل هذه الجهالات الشائنة؛ فلا يبتني على أساس علمي وثيق و فكر متزن سليم. و من قديم يهتف الفلاسفة المفكرون بملء حناجرهم ضد هذه الفكرة الخاطئة، =

ما هو الوجود؟

(۲)

إن أول ما يطلع عليه الإنسان فى حياته هو نفسه ، و وجوده الملابس له الملاصق به فى سائر الأحيان ، فليس شيء أجدر منه بالبحث و الدراسة و أليق منه بالملاحظة و العناية ؛ و نظرا إلى ذلك إذا تأملنا فى كيفية وجودنا علمنا أن وجودنا ليس له ثبات ، لم يكن من الأزل و لا يستمر

— يقول فرفريوس الفيلسوف الاغريقى الكبير : « إن أوضح الحقائق و أجلى ما يتصوره الإنسان هو العلم بكون صانع العالم ، و من لم يدرك هذه الحقيقة الواضحة الكبرى لا يجدر به أن يلقب بالفيلسوف و الحكيم » (راجع نصه مفصلا بلفظه فى الفوز الأصغر لابن مسكويه ص ١٤) . و فلاسفة العصر الحديث أيضا يعترفون بهذه الحقيقة ، فيقول الفلكى الكبير الأستاذ هرشل الإنجليزى بكل صراحة و صراحة :

" كلما اتسع نطاق العلم زادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلى لا حد لقدرتـه و لا نهايـة ، فالجيولوجيون و الرياضيون و الطبيعيون و الفلكيون قد تعاونوا على تشييد صرح العلم ، و هو صرح عظمة الله وحده ".
(دائرة المعارف لفريد وجدى ١/٥٠٣)

و راجع مبحث الإيجاب و الاختيار على ص ٩٢ من عبقات للامام المجاهد الباسل إسماعيل بن عبد الغنى الشهيد و الرسالة الحميديـة ص ١٩٥ للشيخ حسين الجسر الطرابلسى تجد فيها أمثلة رائعة تدل على سخف القائلين بالصدفة و فقدان فهمهم و وعيهم ، فان العقل السليم يأبى أن يسلم مثل هذه السخافة و الترهات الفارغة .   (بدر الحسن)

إلى الأبد ، فقد مضى علينا زمان كنا مستورين فيه وراء ستار العدم و سيأتى زمان ينتهى فيه وجودنا و يتقوض فنهجر هذا العالم و نرتحل إلى عالم الغيب ، فتندرس هنالك آثارنا نهائيا من صفحة الوجود . . وكم من خليقة ظهرت قبلنا على صفحة الكون ثم غابت و احتجبت عن أعين الناس ؟ وكم من أمة انعدمت بعد الازدهار حتى انطمست علائمها من صفحة الوجود ؟! فزوال وجودنا هذا و انفصاله و عدم خلودنا فى هذا الكون ينطق نطقا صريحا بأن وجودنا ليس ذاتيا لنا ، و كذا وجود كل كائن ، بل هو عطاء و منحة من الموجود الأصلى . . إننا نرى أن الماء يسخن بمجاورة النار و يستمد منها الحرارة ، ثم إذا انقطعت صلته بالنار عادت إليه برودته الذاتيه و زالت عنه الحرارة العارضة المستفادة من النار .

الدليل من اختلاف أحوال الكون

و الأرض تستنير بنور الشمس المشرقة ، ثم إذا آذنت الشمس بالأفول أخذ نورها الساطع بالانقباض شيئا فشيئا ، حتى إذا غربت عادت الأرض إلى ظلمتها الذاتية و خيم عليها الليل الحالك البهيم . فنحن على يقين من هذه المناظر المتكررة أن النور ليس ذاتيا للأرض و الحرارة ليست أصلية فى الماء ، بل الأرض تستنير بالنور العارض و الضوء المستفاد الذى تجود به الشمس ، و الماء يستمد الحرارة التى تفيضها النار . . وكذلك كون وجودنا بين عدمين يدل دلالة واضحة على أن وجودنا ليس ذاتيا كحرارة النار و نور الشمس ، بل هو مستعار و مستفاد كنور الأرض

و حرارة

و حرارة الماء . فاذا انقطعت عناية من يفيض علينا الوجود التحقنا بالعدم و اختبأنا وراء ستار العدم الغليظ .

إذا تقرر ذلك فاعلم: كما أن سلسلة الحرارة تنتهى بالنار و أمر النور و الضياء ينتهى إلى الشمس؛ و لا يمكننا أن نقول إن فى عالم الأسباب شيئا فوق الشمس استضاءت به الشمس أو شيء فوق النار استمدت منه النار الحرارة، بل النور ذاتى للشمس و الحرارة أصلية فى النار، كذلك لا بد أن يكون موجود ينتهى إليه أمر الوجود و يكون وجوده ذاتيا غير مكتسب و لا مستفاد، فذلك هو الموجود الأصلى الذى أفاض علينا الوجود، و هو منبع وجود سائر الموحودات، و هو الذى نسميه «بالله» و «الرب» و «مالك الملك» . و إذا كان وجوده ذاتيا غير مستفاد من الغير كان ذلك الوجود ملازما لذاته كملازمة النور للشمس و ملازمة الحرارة للنار . و كما لا يمكن أن توحد النار بلا حرارة و الشمس من غير نور كذلك لا يمكن أن توجد ذات الله عز و جل خالية من الوجود، بل يمتنع تصور ذاته منفكة من الوجود، فالنسبة بين ذاته و وجوده كالنسبة بين عدد الاثنين و الزوجية التى هى صفة ملازمة للاثنين. فكما لا تنفك الزوجية من عدد الاثنين فى حال من الأحوال كذلك انفصال وجود الله و انفكاكه من ذاته مستحيل، فلم يكن معدوما قط، و لا يطرأ عليه العدم أبدا، فان جلاله أزلى و أبدى .

و ينبغى هنا أن ندرأ الشبهة التى ربما تعترض بعض النفوس من دافع الوهم أو قلة التدبر، فيذهب بها الظن إلى مذهب . و حاصل الشك

أن الدليل الذى سبق ذكره كان مبنيا على مقدمة أساسية، وهى: ان وجودنا وكذا وجود سائر الموجودات محصور بين عدمين لم يكن من الأزل ولا يستمر إلى الأبد، قابل للزوال والفناء، فإن لم تثبت تلك المقدمة لا فائدة فى ذكر ذلك الدليل. ونحن إذا تأملنا فى حقيقة الكون وأحواله ظهر لنا أن كثيرا من موجوادت هذا العالم سائر إلى العدم قابل للزوال كما تزعم، ولكن هنا أشياء لم يشاهد قط حدوثها كالأرض والسماء والبحار المالحة ذات الأمواج وغيرها من أشياء محكمة كثيرة. فنحسب أن تلك الأشياء لا يطرأ عليها العدم وتبقى خالدة أبد الدهر، لأننا ما عاينا حدوث تلك الأشياء من العدم ولا شاهد من قبلنا فكيف نظن أن وجودها ليس من الأزل ولا يستمر إلى الأبد؟

ويمكن الجواب عن هذا الفهم الخاطئ والشبهة الزائفة بوجهين:

الأول: إن عدم رؤيتنا لشيء وعدم مشاهدتنا له لا يستلزم أن ذلك لم يقع أيضا فى الخارج، كما أن عدم العلم بالشيء لا يستلزم عدم وقوعه وثبوته، فانه يمكن أن تحدث تلك الأشياء قبل أن يوجد النوع الإنسانى على هذا الكوكب الأرضى، إذ أن عمر هذا النوع بالنسبة إلى الزمن الهائل الأزل إلى الأبد محدود كومضة برق أو غمضة عين.

الثانى: إن الوجود ليس داخلا فى حقيقة السماء والأرض، بل الذات أو الحقيقة شيء سوى الوجود، والشاهد على ذلك أن الوجود أمر مشترك مشاع بيننا وبين السماء والأرض وبين كل كائن موجود،

فلا فرق فى الوجود بيننا و بين السماء و الأرض ، و لكن الذات أو الحقيقة شىء يمتاز به كل موجود من الآخر ، فنعلم أن السماء غير الأرض ، و لكون ذلك الاختلاف بين حقيقة السماء و الأرض نعرف أن الأرض تحت أقدامنا و السماء فوق رؤسنا ، مع أن الوجود مشترك بين السماء و الأرض ، فلو لم تكن الحقائق مختلفة و ذوات الأشياء متمايزة متعددة ما أمكننا أن نفرق بين الأشياء حتى بين الأرض و السماء ، إذ الوجود أمر يوجد فى كل شىء .

فاذا تقرر أن الوجود ليس ذاتيا للسماء و الأرض و ليس داخلا فى حقيقتها فلا تكون الصلة بين الحقيقة و الوجود و ثيقة حتى لا يمكن انفكاكهما فى وقت من الأوقات . كالصلة اللازمة بين عدد الاثنين و الزوجية فاننا لا نستطيع أن نتصور فى الذهن عدد الاثنين دون الزوجية ، كما لا يمكن أن يوجد فى الخارج عدد الاثنين و لا تكون الزوجية هناك . و الزوجية أيضا لا تخلو من عدد الاثنين فى طور من الأطوار ، فان الأعداد ٤ ، ٦ ، ٨ التى نعدها زوجا فان زوجيتها لأجل الاثنين ، إذ ليس معنى كون العدد زوجا إلا أن ينقسم ذلك العدد إلى متساويين من غير كسر كما هو مقرر فى علم الحساب . و لا شك فى يكون الأعداد المفروضة مجموعة من « اثنينيات » متعددة . فثبت من هذا التدقيق الهندسى أن التلازم بين عدد الاثنين و الزوجية من الجانبين و الترابط من كلا الطرفين لا يفارق أحدهما الآخر فى حين من الأحيان فى الذهن و الخارج على السواء . و ليست هذه النسبة اللازمة بين حقيقة السماء و الأرض و وجودهما

فلا يستحيل الانفكاك بينهما، و لا مانع للعقل أن يتصور أحدهما دون الآخر . بل النظر الدقيق يفضى إلى أن الوجود إذا كان مغايرا للذات غير لازم لها فلا يكون ذاتيا للارض و السماء غير مستفاد من الغير فيثبت لهما الابتداء و الانتهاء، لأنها قبل أن يجود ذلك الغير بالوجود و يمنحهما إياه لا بد أن يكونا معدومين ، إذا كان الوجود مستفاد من الغير مستمدا من الآخر فلا بد أن يكون وجودهما قابلا للزوال كنور الأرض و حرارة الماء . و ثابت أن الشيء الذى يكون محلا للتغيرات و الحوادث - كما نشاهد فى الأرض و السماء - لا يمكن أن يكون أزليا .

نعم الذات التى وجودها عين حقيقتها و هى منزهة من شائبة الحدوث، متعالية من وصمة التغير لا شك فى كونها أزلية خالدة .

و إذا تقرر ذلك ينبغى لنا أن نفكر قليلا فى سؤال آخر ربما يساور القلب من المثال السابق الذى تقدم ذكره بأن الوجود لازم للوجود الأصلى كحرارة النار و نور الشمس مع أن النار تنطفىء و الشمس قد يعتريها الكسوف ، فهل يمكن أن ينفك الوجود من الموجود الأصلى و يفارقه ؟ ؟ لأن تلك الأشياء متساوية فى اللزوم !

و الجواب : ان النور فى كسوف الشمس لا ينفصل بل يحتجب جزئيا أو كليا لحيلولة القمر بيننا و بين الشمس فيصير كالمصباح الواقع وراء الجدار ، فان شعلته أيضا تستتر جزئيا أو كليا من غير أن تفارقه و تنفصل عنه . و بعد ما تنطفىء النار فلا تنفك الحرارة منها حينئذ بل تذهب معها

إلى العدم ، وكذا إذا اختفت أو انعدمت الشمس فيختفى أو ينعدم نورها معها وليست هذه مفارقة بل نهاية فى المعية .

و لا يتصور فى الموجود الأصلى أن يذهب مع أحد إلى العدم ، لأن معنى ذهابه إلى العدم مع كونه موجودا أصليا أن يصير النور ظلمة مع بقائه نورا ، و هذا لا يمكن ، فكذلك لا يمكن أن يتصور الموجود الأصلى دون وجوده .

(٣)

إننا إذا نظرنا إلى العالم و تأملنا فى أحوال كل كائن من هذا العالم الكبير ظهر لنا أن أحوال جميع من فى الكون منقلبة لا يبقى شيء على وجه و لا يستمر أبدا على حال ، و تلوح على أسرة جميع ما فى العالم آثار الخضوع و الافتقار وعلائم الذلة و المقهورية . و إلى أى ناحية من نواحى هذا الكون سرحنا الطرف رأينا مظاهر الذلة و الهوان ، و الحقارة و النزالة . إذا أرسلنا البصر إلى السماء و نظرنا إلى الشمس و القمر و الكواكب الأخرى السيارة التى هى فى حركة دائمة و جولة مستمرة وجدناها كالذرة التائهة فى هذا الكون الهائل ، أو كالريشة الطائرة فى مهب الريح ، فتطلع و تسير و تجرى لمستقر لها ، فترتفع ثم تزول و تغرب ، وإذا خسف القمر أو كسفت الشمس فينطمس نورهما . و إذا نظرنا إلى النار وجدناها ملتهبة مشتعلة لا تكاد تسكن . و إذا التفتنا إلى الريح وجدناها تارة تهب و تارة أخرى تهدأ ، وإذا عصفت و هبت فشرقت مرة و غربت أخرى ، و ذهبت حينا إلى الشمال و عادت حينا آخر إلى

الجنوب كأنها تطارد من الجهات الاربع . و الماء أيضا يسيل و يجرى مع الهواء من مكان إلى آخر . و إذا توجهنا إلى الأرض وجدناها خافضة معبدة توطأ تحت الأقدام ، و لا تقدر أن تدافع عن نفسها ، عاجزة غاية العجز ، تحفر و تحرث و يبول هذا و يتغوط آخر على متنها و يجعلها مزبلة توضع فيها القذرات و تدفن فيها الأرجاس .

و إذا نظرنا إلى النباتات وجدناها أيضا فى غير هدوء و سكينة لا قرار لها على حالة واحدة . فان بذرة تنبت ثم تنمو و تقوم على ساقها ، فاذا هى شجرة دوحاء . فاذا جاء الربيع أخذت الأرض زينتها و اكتسبت الحدائق و المزارع جمالا و رونقا و صار المنظر بهيجا رائعا . و إذا جاء الخريف فلفحة الومضاء تلفح وجوهها حتى تجعلها كهشيم تذروه الرياح . و الأشجار و الحدائق كلها تنبت فى أرض مثل أرضها و تسقى بماء واحد و لكنها تؤتى أكلها و أزهار مختلفة فى المذاق و الألوان ، المتنوعة فى الشكل و المنظر .

و إذا نظرنا إلى المخلوق الحيوانى - وخاصة إلى الإنسان - وجدنا مع اشتراك طريق التوليد و التناسل فرقا بينا و بونا شاسعا بين نوع وآخر بل و بين أفرد نوع واحد . فكل فراد من أفراد بنى آدم يخالف الآخر فى اللون و المظهر و حسن الهندام و جمال الهيكل و فى الخصائل و الميزات المختصة به دون غيره ، كأن المظاهر و التجليات غير متكررة على حد تعبير الصوفياء .

أما عجز الحيوانات و افتقارها فظاهر ، فالجنود المجندة من الجوع

 و العطش

و العطش و البول و الغائط و الألم و المرض و المطامع و الشهوات تكاد تشوه شرف الحياة . و بخاصة الإنسان ، فانه مغلوب من تلك المطامع و الشهوات على عقله و كياسته فلا هم له فى الحياة إلا إرضاء الشهوات تكاد تكون وصمة عار لشرفه و لكرامته التى يتميز بها من سائر المخلوقات

فان الحيوانات الأخرى تحتاج إلى الغذاء فقط لاحاجة لها إلى الألبسة الفاخرة ، و القصور العالية الشاهقة ، و المنصب العالى ، و الدرجة الرفيعة . و فى الغذاء أيضا لا تكترث بالحلو و الحامض و لاتبالى بالشهى من المطعم و لا بالردى ؛ و لكن الإنسان لا تقر عينه ساعة بدون تلك الأشياء ، و عدم تمكنه منها يكاد يقضى على حياته .

و مهما يكن الإنسان أرفع درجة و أجل شأنا يزيد افتقاره بقدر تلك المنزلة السامية و الدرجة الرفيعة العالية ، فان العامى من الإنسان لا يحتاج فى شؤن حياته إلى معونة أحد لأنه يباشر بنفسه سائر الأمور المحتاج إليها فى الحياة فذاته الواحدة الفذة كفيلة لسائر حوائجه ، و لكن الملوك و الأمراء و سراة الناس و قادتهم لايباشرون أمورهم المنزلية و حوائجهم الذاتية إذن لا بد لهم من الافتقار إلى من يكفى مؤنتهم و يسد حاجتهم من الخدم و العبيد ، حتى أن الملوك إذا أسروا و أدخلوا السجن يحتاج لحفظهم إلى بدرقة قوية و خفارة ساهرة و إلى زبانى باسلة للسجن ، و لكن السجين العامى يكفى لحراسته و مراقبته شرطى واحد فقط .

وجملة القول أن أحوال كل كائن من هذا العالم الكبير متفاوتة مختلفة تتراءى من كل شيء الذلة و النزالة مهما يكن ذلك الشيء أشرف و أعظم فى « خريطة الكون » الكبيرة . يخيل إلينا أن الشمس و القمر أشرف ما يبدو لنا فى السماء لنورهما الساطع ، و الإنسان أكرم من فى الأرض . . . . بل الإنسان أشرف من الشمس و أعلى منزلة من القمر و من كل كائن لما يمتاز به من نور العقل ، و رجاحة الأحلام . فان الشمس و القمر و إن كانت أشعتها الذهبية الراقصة فى جو السماء تنير ما بين السماء و الأرض و تملؤها ضياءا . فنور العقل و ضياؤه ينير الكون و المكان و تمتد أشعته إلى الزمن الهائل من الأزل إلى الأبد فتملؤه نورا . و إن كان نور الشمس يظهر الصور و الأشباح ، فنور العقل يبدى الحقائق و يخبر عن الدقائق الغامضة . و لكن مع ذلك الشرف و تلك الكرامة تظهر من كل ما فى العالم الذلة و الخضوع .

و هذا دليل واضح على أن الكون تحت سيطرة سلطان ذى سطوة و بأس و قوة و مراس ، هو الذى سخر جميع ما فى الأرض و السماء كالعبيدين و الأرقاء ، فكل يؤدى وظيفتـه فى خضوع تام ، له الأمر ليس لأحد أن يبغى عليه و لا يستطيع أحد أن يتمرد و يطغى ، فلا يترك شيئا على حالة كى لا يزعم زاعم أن ذلك الشيء مشيد بأمره ، مستقل فى ذاته ، ليس تحت هيمنة أحد . فكل شيء يشهد بلسان الحال أنه فى قبضة سلطان فخيم لا حد لقدرته و لا نهاية لتصرفه .

فانكار

فانكار القوة المستقلة و الصانع على الإطلاق بعد مشاهدة أ-
العالم المنقلبة غباوة فاحشة و سخافة شنيعة .

(٤)

من طريقتنا المعتادة فى الحياة اليومية أنه إذا وقع الاختلاف
فى أمر من شؤن حياتنا المنزلية أو المدنية فنعتمد على قول من هو أصر
منا رأيا، و أسلم فكرا، و أعمق غورا. فان وقع الاختلاف بين العة
فنرجح حينئذ الرأى الذى تميل إليه الأكثرية العظمى من كبار العقول
فاذا استعملنا تلك الطريقة المعتادة فى القضية التى نبحث فيها انتهى النزا
و وضعت الحرب أوزارها، و لم يبق مجال للاختلاف و التناطح بيننا و
الدهريين الذى ينكرون الإله، فان الصغير و الكبير من الهنادك و المسلمين
و النصارى و اليهود، و الوثنيين و المجوس كلهم[1] يعترفون بأن لنا خالق
و نحن عبيده، فكم يدعو إلى التعب صنيع الدهريين بأن يعملوا فى مجالس
القوية اللجنات العلمية و السياسية تلك القاعدة المالوفة و الطريقة المعتاد
و يزلوا و ينحرفوا فى هذا الموضع لعدم رؤيتهم صانع العالم و يـــترك

---

(١) وعدا أرباب الملل و الديانات تعترف الأغلبية الساحقة من الفلاسفة أيضا
بهذه الحقيقة سواء كانوا من أتباع «أرسطو» و «ديكارت» القائلين بالثنو
أى (الروح و المادة) أو من أذناب «أفلاطون» و «بركلى» و «بوجسون»
القائلين بالتصورية أى (بوجود الروح فقط) و حاشا شرذمة الماديين الذين فى
طليعتهم «ديمقراطيس» الاغريقى، لم ينكر أحد على وجود الصانع بصراحة .
(بدر الحسن)

طريقة الأغلبية الساحقة و القضاء بكثرة الآراء !! هذا ظلم صريح من الذين ينكرون الإله .

فان كانت الرؤية شرطا لازما عندهم لتسليم أمر فيتوجه إليهم أسئلة :

لمَ تقرون بالنار بمحض رؤيتكم الدخان وراء الجدار ؟

و لمَ تجزمون بطلوع الشمس برؤية الأشعة فى فناء الدار ؟

و لمَ تستدلون بآثار القدم على الطرق و الشوارع على ذهاب المار ؟

فان كان كل هذه الآثار تـــدل على مؤثرها فكيف لايدل هذا الكون الذى خلق على أبدع نظام على صانعه و موجده ؟

أفليس هذه بغباوة المتفلسفين و العلماء الباحثين المزعومين - ؟ !

(٥)

المراجـــع :

(١) تقرير دلپذير ، للامام محمد قاسم النانوتوى

(٢) حجة الإسلام ، المتوفى سنة ١٢٩٧ هـ

(٣) مباحثه شاهجهانبور ، » » » »

(٤) گفتگوئے مذهبي » » » »

(٥) قبله نما » » » »

المراجـــع الثانوية

(١) الفوز الأصغر ، الحكيم ابن مسكويه

(٢) العبقات ، العلامة إسماعيل بن عبد الغنى

(٣) دائرة المعارف ، البحاثه فريد وجدى

(٤) الحصون الحميدية ، المحقق حسين الطرابلسى

(٥) الدين القيم ، العلامة مناظر أحسن الكيلانى

نشأة العلوم الاسلامية فى الهند

للاستاد خليق أحمد النظامى

تلخيص و تعريب :

أبو بكر الغازيبورى المدرس بجامعة دابهيل ـ الهند

بداية العلاقة بين العرب و الهند

إن العلاقة بين الهند و العرب قديمة جدا ، و كان التجار العرب يتجرون على سواحل الهند قبل ظهور الإسلام بكثير . و كانت بينهم و بين أهل الهند علاقة تجارية قوية ، و إن هذه العلاقة ما زالت باقية إلى ما بعد البعثة النبوية ، و أقام التجار العرب مستعمرات لهم على سواحل الهند ، و كانوا يباشرون هناك التجارة . إلا أنه لم يكن يوجد فيهم الميلان إلى نشر الإسلام و تعميم دعوته فى أهل الهند ، و ما اثروا فى أهل الهند فى حياتهم التمدنية أثرا يذكر ، غير أنه يمكن أن تعلم منهم أهل الهند بعض الألفاظ العربية أو هم تلقوا منهم بعض الألفاظ الهندية . . و ذهب الأستاد محمد حسين النينار إلى أن هؤلاء التجار ما أدخلوا أحدا من أهل الهند فى الإسلام و لم يسلم أحد منهم على يدهم .

قيام الحكومة الإسلامية فى السند

و قد تجددت هذه العلاقة مرة أخرى حينما استولى محمد بن قاسم على السند ، و رفرف علم الإسلام على بقاعها و ربوعها ، و كان بنو أمية هم الذين يحكمون العالم الإسلامى فى ذلك الحين ، و كانت الفتوحات

الإسلامية و سيلها العارم قد بلغ إلى أسبانيا فى جانب و إلى الآسيا الوسطى فى جانب آخر . و كان ذلك العهد بالنسبة إلى العلوم الإسلامية عهدا لامعا رائعا ، فكانت آخذة فى نمو و ازدهار . و كان من البلاد الإسلامية مكة و كوفة و مدينة و بصرة تعتبر مراكز علمية كبيرة ، و نالت العلوم الإسلامية فى هذه المدن رواجا كبيرا و انتشرت انتشارا زائدا .

و كانت بصرة على قرب من إيران ، و كانت خراسان تحت ولايتها ، و كان أهل بصرة هم أول من شعروا بصعوبة فى إقامة الروابط بالأقوام الأجنبية ، لأن هؤلاء كانوا على بعد من اللغة العربية ، التى كانت هى وسيلة للربط بين العرب و بين الأمم الأجنبية ، و ذريعة التفاهم فيما بينهم ، فكيف تعلم اللغة العربية لهؤلاء ؟ و كيف يدرس القرآن لهؤلاء الأقوام؟ نشأت أمثال هذه الأسئلة فى الأذهان .

و كانت بصرة هى المسؤلة عن حل هذه العقدة ، و فعلا قد قام أهلها بحلها ، فنهض أبو الأسود البصرى المتوفى ٨٨٤ م و رتب القواعد العربية و قد فتح بجهده هذا الطريق للتقدم و الازدهار للغة العربية ، و تبعه الخليل بن أحمد البصرى المتوفى ٧٨٦ م و ألف أول كتاب فى قواعد اللغة العربية . و كان الناس قد مالوا فى هذا العهد إلى جمع الأحاديث و تدوين الفقه ، و توجه عدد كبير من علماء الأحاديث - خاصة - إلى حديث فى كوفة و بصرة و غيرهما من البلدان العربية .

و كان عبدالله بن مسعود ، و الإمام الحسن البصرى ، و الإمام الزهرى ، و مسروق بن أجدع ، و عبيدة بن عمر ، و أسود بن يزيد ، و أبو عمر النخعى

و زر بن حبيش ، و ربيع بن خيثم ، و عبد الرحمن بن أبي ليلى ، و غير هؤلاء الذين قد عم بهم علم الحديث و راجت سوقه رواجا كبيرا ، و أصبح كل بيت فى كوفة و بصرة مدرسة للحديث .

و لم يكن من الممكن أن لا يبلغ دوى هذه النهضة العلمية و الحركة الحديثية و صداها إلى السند ، وكان قد توجهت جماعة من العلماء و مشايخ الحديث إلى السند بعد أن فتحت هذه البلاد و أصبحت تحت الرقابة الإسلامية ، و قد نتج عن ذلك أنه قد انتشرت العلوم الإسلامية و راجت فى منصورة و بيكر و ديبل و غيرها من البلاد الأخرى .

العلماء المحدثون فى السند

قد ذكر العلامة أبو سعد السمعانى فى كتابه المشهور «كتاب الأنساب» كثيرا من العلماء و المحدثين انتسبو إلى «منصورة» و «ديبل» و المدن الاخرى من بلاد السند ، و اشتهر من بينهم فى الحديث محمد بن إبراهيم ، و شعبة بن محمد ، و أبو العباس محمد بن محمد . و محمد بن حسن ، و أحمد بن عبدالله ، وكانوا هؤلاء يعدون من كبار المحدثين و مشاهيرهم ، و قد ازدهر بهم الجو العلمى فى السند . وكان أبو حفص ربيع بن صبيح من أهل بصرة و كان من طبقة أتباع التابعين . وكان قد هاجر إلى السند و ألقى بها رحله و استوطنها إلى أن توفى فيها عام ١٦٠ من الهجرة ، و كان من المتضلعين فى الحديث و البارعين فيه[١] ، و ذكر صاحب ترجمة علماء الهند : يقال إنه أول من صنف فى العلوم الإسلامية[٢] .

---

(١) سبحة المرجان ص ٢٦ (٢) ترجمة علماء الهند .

و كان لأبي معشر نجيح بن عبد الرحمن السندى شهرة عظيمة فى علوم الحديث، و الفقه، و المغازى، و قد ذكره السمعانى فى كتابه بإجلال كبير، وكان من مشايخه محمد بن كعب القرطبى و هشام بن عروة و النافع و غيرهم من المشايخ الكبار: و من تلاميده أمثال محمد بن أبى معشر، و أبى نعيم، و وكيع، و محمد بن عمر الواقدى. و الإمام سفيان الثورى و غيرهم من المشاهير و كبار المحدثين. و كان قد هاجر إلى بغداد و أقام فيها مشتغلا بالإفادة و رواية الأحاديث إلى أن توفى و دفن فيها فى المقبرة الكبيرة[1].

و أما غير هؤلاء من علماء السند الذين توجد تراجمهم فى كتبها فأمثال أبى النصر السندى، و أبى العطاء السندى، و أبى ضلع السندى، و أبى النصر فتح بن عبد الله السندى.

و لما قدم أبو القاسم السندى إلى الهند فى القرن العاشر الميلادى فوجد فيها جمة عظيمة من علماء الحديث. و لقى أبا محمد المنصورى، و قد ذكر أنه صاحب تصانيف كثيرة قيمه و قال عن الإسلام فى السند: «إن الإسلام قد اخضر فيها و نما و يوجد العلم و اهله بجمة كبيرة». و لا شك أن العلوم الإسلامية قد ترقت فى السند و تقدمت تقدما ملموسا، و نال علماء السند فى العالم العربى مكانة مرموقة و خضع لهم العرب و اعترفوا بفضلهم. و كذلك مما لا شك فيه أن العلوم الإسلامية ما انتشرت و ما انتقلت إلى الأقطار الأخرى من الهند انتشارها فى السند.

و كان من سوء حظ المسلمين فى الهند أنهم ما تلقوا هذه العلوم

(١) تذكرة الحفاظ ٢/٢٠٢.

عن العرب مباشرة، بل جاءت العلوم الإسلامية إلى الهند عن البلاد العجمية حينما كانت هى مشرفة على الذبول و كانت فى انحطاط و تنقص .

نهضة العلوم الإسلامية فى العهد الغزنوى

و قد دخلت الهند من بدء الفتوحات الغزنوية فى طور جديد فى حياتها السياسية و التمدنية . و كان السلطان محمود الغزنوى تلاعبت يده بالهند و عبثت بها مرات كثيرة ، و قلبت أرضها مصارع دموية ، و استمر عبثه بها من سنة ٩٩٩ م إلى ١٠٣٠ م ، و قد شن الغارة خلال هذه المدة سبع عشرة مرة و حرب مدنها تخريبا و أذاق أهلها من الفظائع ما لم يكن لهم بها عهد من قبل . غير أنه لم يجعل قاعدة مستقلة لحكومته سوى بنجاب ، و لم يضم إلى مملكته منطقة أخرى غيرها . إلا أنه قد أسس حكومة بنجاب على أس قوى متين ، و قد بقيت أسرته حاكمة عليها بعد انهيار الحكومة الغزنوية فى الغزنى نفسها .

و كانت العلوم الإسلامية كالتفسير و الفقه و الحديث و التصوف قد نمت و تقدمت و ترعرعت حينما كانت بنجاب تحت استيلاء الغزنوى ، و انتشرت هذه العلوم فى بلاد العرب و العجم . و الذى يجب أن يتنبه له أن هذه العلوم كلها قد تقدمت و ترقت فى البلاد العجمية ، و أن الغزنى - قاعدة الحكومة الغزنوية - التى كانت أكبر مركز علمى فى عهد محمود قد أصبحت عهدا لهذه العلوم كلها .. و لما كانت بنجاب جزءا من الحكومة الغزنوية فكيف كان من الممكن أن لا تتأثر بمحيط عاصمة الحكومة .

و ما كان للعجم من الأثر البالغ فى تقديم العلوم الإسلامية يظهر من نسبة علماء هذه العلوم إلى البلاد التى ولدوا فيها و نشؤا ، فكان

صاحب تفسير الكشاف - و هو أشهر ما ألف فى التفسير من الكتب - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى المولود ١٠٧٥ م و الذى قد توفى سنة ١١٤٤ م كان ولد فى خوارزم، و كانت وفاته فيها أيضا .

و كذلك انظر إلى ما انتسب إليه أصحاب الصحاح الستة - و هن أمهات الكتب فى الحديث - من البلاد العجمية ، إن هؤلاء كلهم كانوا من بلاد العجم ، فصحيح البخارى صاحبه الإمام محمد بن إسماعيل بخارى، و صحيح مسلم صاحبه مسلم ابن حجاج نيسابورى . و سنن أبى داود صاحبه أبى داود سجستانى، و جامع الترمذى صاحبه أبو عيسى محمد ترمذى ، و صاحب السنن ابن ماجه قزوينى ، و سنن النسائى صاحبه عبد الرحمن نسائى، فهؤلاء كلهم من بلاد العجم . و كذلك حال الفقهاء فغالبهم تولدوا فى البلاد العجمية و نشؤا فيها، و نهضوا بالعلوم الإسلامية نهوضا و تقدموا بها تقدما حتى ازدهرت هذه العلوم و ترعرت .

أما التصوف فكأنما كان عجميا ، فان أكثر كتبه يتعلق بالغزنى أو البلاد المتأخمة لها ، و إن التشمر التصوفى فانه قد نشأ فى الغزنى ، و إن الحكيم السنائى الذى هو - لحد قول مولانا الرومى - بمثابة العين من الجسم للتصوف كان مولده الغزنى .

فنى مثل هذه الظروف كيف كان من الممكن أن لا تتأثر بها بنجاب - على كونها جزءا من الحكومة الغزنوية - و كيف كان من الممكن أن لا يكون لها حظ من هذه العلوم ! فان هذه العلوم كلها قد بلغت إلى بنجاب و نمت و ترقت على حسب الظروف و الأحوال .

المحيط العلمى فى لاهور

إن البلد الذى قد تقدم تقدما كبيرا و أخذ بالحظ الأوفر من التقدم و النمو فى مجال العلم و الحضارة فى العهد الغزنوى كان «لاهور»؛ قد توجهت إليه وفود العلماء و قوافلهم بعد الفتوحات الغزنوية بكثرة. و قد سبقهم إلى لاهور الشيخ إسماعيل البخارى فكان هو أول شخص قدم إلى لاهور من العلماء، و قال فى ترجمته صاحب ترجمة علماء الهند: «كان هو من عظماء المحدثين و المفسرين، و هو أول من جاء بعلم الحديث و التفسير فى لاهور»[1].

و قد عاصره فى آخر أيامه خواجه حسين الزنجانى، فقد ذكر فى «فوائد الفواد» أن الشيخ الزنجانى و الشيخ على الهجويرى كلاهما كانا يُنتسبان إلى شيخ واحد، و كلاهما كانا مريدى له، و كان شيخهما من أقطاب زمانه، و كان الشيخ الزنجانى من بلدة لاهور، و بعد أن مرت مدة من الزمان أمر الشيخ الشيخ الهجويرى - و قد كان أخبره بكون الشيخ الزنجانى فى لاهور - أن يتوجه إليه، و لما وصل الشيخ الهجويرى إلى لاهور فكانت الليل قد أظلت بظلامه، ولما أصبح رأى الناس يحملون جنازة الشيخ حسين إلى المقبرة خارج المدينة[2].

و كان الشيخ على الهجويرى المعروف «بحضرت داتا گنج بخش» المتوفى ١٠٧٢م من قرية من قرى الغزني تسمى بـ«هجوير» و كان هو منقطع النظير فى زمانه فى العلم و الفضل و الورع و الزهد، و قد تتلمذ

---

(١) ص٢٣ (٢) ص ٣٥.

على مشاهير وقته كالشيخ أبى العباس بن محمد الاشقانى و الشيخ أبى جعفر محمد بن الصباح الصيدلانى و غيرهما من الشيوخ الكبار المبرزين . ولتربية الباطن و إصلاحه كان قد سافر إلى الشام و العراق و بغداد و أذربيجان و طبرستان و كرمان و خراسان و ماوراء النهر و تركستان و إلى كثير من الممالك و البلاد ، و كان قد حضر عند المشاهير من الصوفية . و أشاع أنوار العلم و العرفان فى لاهور . و أذاع علوم التصوف ، و صنف عدة كتب قيمة فى التصوف غير أنه لا يوجد منها الآن إلا « كشف المحجوب » .. و يقول « دارا شكوه » عن الهجويرى : « ليس لأحد كلام فى أنه من كمل المرشدين . وكتبه التى قد صنفها فى التصوف لم يصنف مثلها فى الجودة و الحسن »[1] .

و قد أصبحت مدينة « لاهور » بجهود هؤلاء العلماء و المشايخ و أهل الفضل و الكمال مركزا إسلاميا فى الهند ، و أصبحت بمثابة ثانية دار الملك ، و قد ذكرها صاحب « تاج المآثر » حسن النظامى فقال : « إنها قبلة الأحرار و الأبرار ، و كعبة الأشراف ، و مركز أهل التقوى ، و مأمن الزهاد و العباد و مسكن الأقطاب و الأوتاد » .

و أما المحيط العلمى و الدينى الذى بلغ ما بلغ إليه من الرقى و الكمال فى لاهور فقال عنه : « إنه قد أحكم بناء الشرع ، و زحزحت قاعدة البدع و الضلالات . و تجد أنت فى كل مائة تسعين عالما ، و فى كل عشرة تسعا من المفسرين » .

---

(١) روضة الأولياء ص ١٦٤ .

و أما ما بلغت إليه المكاتب و دور الكتب من التقدم و الازدهار و الاشتمال على كتب النوادر فتستطيع أن تقدره بما ذكر أن فخر الدين مبارك شاه لما أخذ فى تصنيف كتابه «بحر الأنساب» فوجد ألف كتاب فى موضوع النسب فقط، و إنه قد ذكر ذلك بنفسه و قال: إنى طالعت نيفا و ألف كتاب[1].

العلوم الإسلامية فى الهند الشمالية قبل الفتوحات الإسلامية

يزعم الناس عامة أنه ما سكن المسلمون فى الهند الشمالية، و ما وجدت مؤسساتهم الدينية و الاجتماعية إلا بعد الفتوحات الغورية! و هذا خلاف الحقيقة و الواقع، فان المسلمين كانوا قد توطنوا و قطنوا فى المنطقة الشمالية من الهند قبل قيام الشوكة السياسية و الإسلامية. و كانت هذه المنطقة عامرة بهم، و إنهم قد أنشؤا فيها المساجد و الزوايا و المدارس.

و كانت مدينة أجمير أكبر الزوايا الهندية و أجل المراكز الروحانية بفضل الشيخ الكبير «الخواجه معين الدين حسن السجزى الجشتى» الذى كان ورد إلى الهند فى أيام «پرتهوى راج» و نصب رحله فى أجمير و اشتغل باشاعة السلسلة الجشتية[2].

و كذلك كانت بدايون، و ناكور، وقنوج، و بهرائچ؛ توجد فيها مستعمرات إسلامية قبل الفتوحات الغورية، كما كانت هى فى بعض مدن بهار أيضا. و ذكر فى فوائد الفؤاد نقلا عن الشيخ نظام الدين أنه قال: «إن مولانا رضى الدين حسن الصنعانى صاحب مشارق الأنوار كان من

---

(1) تاريخ فخر الدين مبارك ص 4 (2) سير الأولياء ص 46.

بدايون[2]، و كانت ولادة الشيخ رضى الدين الدين سنة سبع و سبعين و خمسمائة من الهجرة، و لما ورد مدينة بغداد عام ٦١٥ ه اشتهر كاله و ظهر فضله و ذلت له الرقاب و خضع أمامه كبار علماء بغداد . و يظهر من ذلك قطعا أنه كان قد قرأ العلوم بغاية الاهتمام، و برع فى العلوم المتداولة فى ذلك الوقت . كما يظهر من ذلك أيضا أنه كان يوجد فى بدايون مدارس علمية كبيرة عالية تخرج فيها أمثال الشيخ رضى الدين .

قيام السلطنة الدهلوية ونشأة العلوم الدينية فى الهند

إن قيام الحكومة المسلمة فى دهلى إنما هو بداية نشأة العلوم الدينية و نهضتها فى الحقيقة و كانت هذه العلوم فى ذلك الوقت عرضة للزوال و الانحطاط لحدوث التزعزع و التخرب فى المراكز الإسلامية و المعاهد الدينية فى آسيا الوسطى، فان هجومات المنغوليين و التتر و عاداتهم الوحشية الجنونية كانت قد عطلت نظام الحياة و أخلت بالنظام السياسى و الاجتماعى، و خربت البلاد و أقفرت المبانى، و قد اضطر أهلها - الكثرة الكاثرة منهم - إلى هجر أوطانهم، و تشتت هؤلاء فى بلاد مختلفة من أطراف المعمورة، و كان منهم عدد كبير من العلماء و الفضلاء، فتفرقت جماعتهم فى أطراف شتى . و كثير منهم قد ورد الهند أيضا، و أصبح ذلك خيرا للبلاد و أهلها؛ ﴿ عسى أن تكرهوا شيئا و هو خير لكم ﴾ فان هؤلاء المهاجرين من العلماء و الفضلاء كانوا من نجوم بغداد و بخارى و شموسهما التى كانت تلمع فى سمائهما، و قد سعدت الهند باجتماعهم فى أرضها، فأضحوا هنا أيضا مثل

---

(١) ص ١٠٣ .

الشموس و الأقمار. و انتشرت أضواء علومهم من أدنى البــلاد إلى أقصاها، و عمت فيوضهم فى أكنافها و أرجائها . و كانت الهند المسلمة سعيدة حيث أنه قـد وجدت فى بدء أيامهـا من العلماء و المشايخ الذين كان لعلومهم دوى و درجــة فى المحيط العلمى الهندى، و قد قال منهاج السراج : قد أمت الخلائق من أطراف العالم و أكنـافه إلى « دهلى » التى هى حاضرة بلاد الهند ، و مركز دائرة الإسلام ، و مهبط الأوامر و النواهى و الشريعة ، و حوزة الدين المحمدى . و بيضة الملة المحمدية . و قبة الإسلام ، صانها الله تعالى عن الآفات و أحضرها السادات .

و إن هذه المدينة قد أصبحت محط رجال العلم من أطراف الدنيا بكثرة عطايا الملك المتدين و بالغ جوده ، فكل من نجا من حبائل نوب البلاد العجمية و نكبات التتر بفضل من الله و كرمه فانه قد جعل ذلك الملك الكريم (شمس الدين إيلتمش) ملاذه و ملجأه و مهربه و مأمنه[1] . . قد تحولت كل بقعة أقام فيها أحــد هؤلاء العلماء مركزا علميا . و افتتحت لأهل الهند خزانة بخارى و بغداد العلمية يتمتع بها عامهم و خاصهم ، و أضاء أنوارهم كل ناحية من نواحى البلاد .

و كان السـلطان شمس الدين إلتمش شديد الرغبة فى مصاحبة العلماء و منادمتهم ، كبير الشوق إلى الشيوخ و مجالستهم . فكلما كان يسمع قدوم عالم أو شيخ من خارج الهند فكان يخرج إلى أميال لاستقباله، و كان يأتى بهم إلى قصره فى غاية الحفاوة و الإكرام و يثويه فى القصر الملكى

---

[1] سرود الصدور .

ضيفا . وقد ورد إلى الهند كثير من العلماء و المشايخ و الأدباء و الشعراء متأثرين بما سمعوا من صدق رغبتـــه فى مصاحبتهم و خالص حبه لهم، و ألقوا الرحل فيها و اتخذوها موطنا لهم .

ذكر صاحب سرور الصدور أن الشيخ نجيب الدين البخشي - الذى كان على منصب شيخ الإسلام فى دهلى - كان السلطان شمس الدين إلتمش يدعوه بالأدب و لقبه بـ « شيخ الإسلام »

ممن جاء إلى الهند من العلماء و المشايخ فى أيام شمس الدين فأسماء بعضهم فيما يلى :

(١) الشيخ قطب الدين بختيـار الـكاكى الأوشى (٢) السيد نور الدين مبارك الغزنوى (٣) القاضى حميد الدين الناكورى (٤) الشيخ جلال الدين التبريزى (٥) الشيخ نظام الدين أبو المؤيد (٦) مولانا مجد الدين الحـاجى (٧) الشيخ بدر الدين الغزنوى (٨) الشيخ محمد ترك النـارنولى .. و كان القاضى حميد الدين صاحب تصانيف ، و قد صنف كتبا قيمة فى التصوف .

الوعظ و التذكير

إن الوعظ و التذكير كان شغل العلماء المحبوب . وكان الملوك أيضا يرغبون فى مجالس الوعظ ، و قد اتخذ السلطان شمس الدين وعاظا متوظفين يلقون المواعظ فى الناس و ينفخون فيهم روح الوفاء عند ما حدث له مشاكل سيـاسية . و كان الواعظون فى الجيوش أيضا يثيرون هممهم وقت الهيجاء و يوقظون فيهم روح الفداء و عاطفة التضحية .

و كانت مجالس الوعظ تعقد ثلاث مرات فى كل أسبوع . إلا فى

رمضان فانها فى الشهر المبارك كان تعقد كل يوم[1]. و كان شمس الدين يعقد مجلسا بعد صلاة الجمعة يجتمع فيه أكابر العلماء و عظام المشايخ[2].
و كان السلطان بلبن يقول: «إن اجتماع العلماء الذى رأيناه فى عهد إلتمش لم نر مثله فى مكان آخر فى ذلك الوقت[3]».

و ذات يوم وعظ الشيخ نور الدين المبارك الغزنوى فيما يلزمه للملوك من الأمور فى البلاط الملكى وعظا مؤثرا بليغا و قد جاهر فى كلمات صريحة:

«إن كل ما يلزمه السلطان لنفسه من العوائد و الأمور الباطلة، و ما اتخذ من طريق الطعام، و الشراب، و اللباس، و هيئة الجلوس، و القيام، و الركوب، و سجدة الناس له، و ما اتخذ من التقاليد و الرسوم و البدع، و مراعاة الطغاة و البغاة لله و رسوله، و التفرد بنفسه فى الشؤن و المعاملات: كل هذا خلاف السنة و من الإشراك»[4].

(۱) طبقات ناصرى ص ۱۱۹ (۲) سير العارفين (۳) تاريخ فيروز شاهى ص ۷۰ - ۹۲ (٤) أيضا ص ٤١.
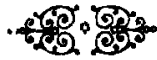
دخل على الواثق معلمه هارون بن زياد فبالغ فى إكرامه و إجلاله، فقيل له فى ذلك! فقال: هو أول من فتق لسانى بذكر الله و أدنانى من رحمة الله.

قال عيسى عليه السلام:

مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر، لا هى تشرب الماء و لا هى تترك الماء يخلص إلى الزرع.

من أقوال عائشة رضى الله عنها

جاء فى كتاب الزهد للامام أحمد بن حنبل: عن عائشة رضى الله عنها قالت:

- ما شبعتُ بعد النبى صلى الله عليه وسلم من طعام، وما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم حتى قبض.

- وعن القاسم عن عائشة رضى الله عنها قالت:

من أسخط الناس برضا الله كفاه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس.

- وعن أبى الضحى قال: حدثنا من سمع عائشة تقرأ ﴿ وقرن فى بيوتكن ﴾ فتبكى حتى تبل خمارها!

- وعن الأسود بن يزيد عن عائشة رحمها الله قالت: «أفضل العبادة التواضع».

- وقالت عائشة: «أقلوا الذنوب، فانكم لن تلقوا الله عز وجل بشىء أفضل من قلة الذنوب».

- وكتبت عائشة إلى معاوية: «أما بعد، فان العبد إذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس ذاما له».

العلامة المحدث الشيخ أنور شاه الكشميرى

(من كبار علماء و مشيخة دار العلوم بديوبند)

بقلم واصف حسين نديم الواجدى

المجاز من دار العلوم بديوبند

لقد حاولت بهذه الكلمة المتواضعة أن أصور بايجاز سيرة أحد علماء دار العلوم بديوبند ، و أكشف النقاب عن خدماته الجليلة و دوره الكبير فى مجال العلم و الدين ، اعتزت به الجامعة « دار العلوم » فى ماضيها ، ولا تزال تفتخر فى حاضرها و مستقبلها . و أعنى به العلامة المحدث الكبير الشيخ « السيد محمد أنور شاه » الكشميرى ، تغمده الله بغفرانه .

ولد فى ٢٧ من شوال سنة ١٢٩٢ ھ فى « دودهوان » بلدة من كشمير ، و تلقى الدراسة الابتدائية بما فيه من القرآن الكريم و اللغة الفارسية و العربية و مبادئ الدين على أبيه « السيد معظم شاه » ثم على أستاذه الشيخ غلام أحمد.

غادر وطنه إلى أكبر الجامعات الهندية الإسلامية « دار العلوم » بديوبند سنة ١٣١٠ ھ يحمل فى صدره جذوة العلم و لوعة الإيمان ، فالتحق بها و تتلمذ لعلمائها الكبار من أمثال العلامة الشيخ غلام رسول و الشيخ محمود الحسن و الشيخ محمد على و الشيخ المحدث الكبير خليل أحمد السهارنبورى (صاحب بذل المجهود فى شرح سنن أبى داود) و العلامة الشيخ محمود الحسن المعروف بـ« شيخ الهند » حيث أتم المنهج الدراسى النظامى و أحرز درجة جامعية ، و نال شهادة « الفاضل » سنة ١٣١٤ ھ .

اكتسب العلامة الشيخ محمد أنور شاه الكشميرى مكانة رفيعة فى العلم والدين بكفاحه المتواصل الحنيف، هيأ له القدر أن يزود نفسه - فى حياته الدراسية - بالعلوم والمعارف تزويدا وافرا لما امتلك من عقل حصيف وذهن وقاد وشعور دقيق وإحساس بالغ وقدرة خارقة على حفظ الدروس وبحثها وتحليلها . أتقن العلم وبسط سلطانه عليه، عاش له وعاش به وعاش عليه، احتل العلم قلبه. وشغله عن كل متاع الدنيا وعن كل لذة فى العيش، ففضل الحياة المنعزلة عن كل ما يشغله عن متاع العلم ويضعف صلته به .

اشتغل رحمه الله بوظيفة التدريس فى دار العلوم سنة ١٣٢٢ هـ، وتبرع بالتعليم مدة لا يقبل فيها عوضا ولا أجرة، وعلم الله أنه حينما قبل الأجر الزهيد لم يقبل إلا ليسد به حاجة الأسرة بعد زواجه ويكمل نفقات بيته على مستوى بسيط .

وتولى منصب «شيخ الحديث» بدار العلوم بعد وفاة أستاذه الإمام الشيخ محمود الحسن الديوبندى حيث حدث بوفاته فراغ واسع لا يملؤه إلا من يكون له نظير وكفؤ من جميع النواحى . وبقى مدة فى هذا المنصب الجليل العظيم، فاذا هو بأوضاع اضطرته إلى أن ينتقل إلى الجامعة الإسلامية بدابهيل فى ولاية غجرات من الهند، واشتغل بالتدريس فيها . ثم رجع إلى ديوبند، وعاش عليلا، يغذى تلاميذه بما كان عنده من غذاء على لطيف . فاختلسه الموت - والموت حق - فى ٢ من شهر صفر سنة ١٣٥٢ هـ، ولكنه لم يستطع أن يسطوها إلا على شخصه المادى . وأما شخصه المعنوى فلن يغتاله الموت ولن يعدو عليه .

قوة الحفظ

أودع الله سبحانه و تعالى فى شخصه ملكات عجيبة من خصوبة عقله و ثقوب فكره، فامتلك ناصية العلم من قوة ذاكرته النادرة، و ذكائه المتقد، و قريحته المندلعة، و بصيرته الحادة الفذة. فكان لا يسمع كلمة إلا و يحفظها، و لا يقرأ رأيا و لا حديثا إلا و يعيه و يقيده فى ذهنه، يظهره و يعيده فيخيل للسامع أنه حفظه فى أمس قريب، و هى قدرة و ملكة ظلت ترافقه طوال حياته، و قد عبر عنها بنفسه قائلا:

« سمعت ببلدتى فى كشمير و لى إذ ذاك أربع سنين رجلين يتكلمان فى أن العذاب هل يكون للجسد أو للروح؟ فاستقر رأيهما على أن العذاب لهما، ثم ضربا له مثلا فقالا: إن مثل الجسد مع الروح كمثل الأعمى و الأعرج ذهبا إلى حديقة ليجنيا ثمارها، فعجز الأعمى عن أن يراها، و عجز الأعرج عن جنيها، فتشاورا فى أمرهما، فركب الأعرج على الأعمى و جعل الأعمى يذهب به إلى الأشجار، و الأعرج يرى الثمار و يجنيها، فهذا هو حال البدن مع الروح، فالبدن بدون الروح جماد لا حراك به، و الروح بدون البدن معطلة عن الأفعال، فاحتاج أحدهما إلى الآخر، فلما اشتركا فى الكسب اشتركا فى الأجر و الوزر أيضا. و بعد مرور خمس و ثلاثين سنة رأيت فى القرطبى عن ابن عباس عين ما قالاه من رأيهما »[1].

---

(١) فيض البارى على صحيح البخارى ص ١١٥ ج ٤.

سعة الاطلاع و عمق الدراسه

لم يتجاوز الشيخ المغفور له العقد الثانى من عمره حتى و قد اشتهر بسعة الاطلاع و عمق الدراسة، و كأنما أحس العلماء بأنه قد تعمق و تبحر فى العلم مما جعلهم يطلبون إليه التأمل فى مؤلفاتهم و نظرة الإصلاح عليها و الإخبار بما فيها من خطأ أو نقص. و نرى هذا الصغير بين كثير من رجال الفكر و العلماء و أهل الدين يلقى نظرة انتقادية على «آثار السنن» للمحدث الهندى العلامة «شوق النيموى» استجابة لطلبه و تلبية لرغبته، و يسجل آراءه و تعليقاته على قراءته. و يودع فيه تأملاته فى المذهب الحنفى و رجال الحديث و متنه دون مساس لما لا يوافق ذوق المؤلف من فقه الحديث و معارفه و حقائقه. و قد حالت ظروف دون نشر هذا الزاد القيم «الاتحاف للاحناف» (و يتوقع أن يصدر فى وقت غير طويل على نفقات ابنه الأكبر السيد محمد أزهر شاه قيصر).

التبحر فى العلم

و قد اجتمعت فيه مزايا كثيرة تتجلى فيه و تلوح عليه ملامح الفهم و الذكاء و الإتقان، و يحمل فى صدره مكتبة واسعة من العلوم القديمة و الحديثة. هدته بصيرته النافذة الدقيقة إلى الأعماق فى العلوم الآلية منها كالصرف و النحو و البلاغة و الشعر و الأدب و المنطق و الفلسفة، و المقصودة كالتفسير و الحديث و الفقه و أصولها.

و يكون من الصواب أن أنقل هنا قطعة سامية من كلام الإمام الشيخ أشرف على التهانوى رحمه‌الله (و هو أحد معاصريه من مشيخة

دار العلوم) فى الاعتراف بخدمات العلامة محمد أنور شاه الكشميرى فى مجال العلم ، فيقول : « كان الشيخ محمد أنور شاه الكشميرى عالما تبحر فى العلم و تعمق فيه ، و أقول فى صراحة و جراءة - و لم أقصد إلا الحق :
إنه قد فاق على كثير من أساتذته الأجلاء فى العلم » .
(الإفاضات اليوميه ص ۱۱۱ ج ۷) .

حفظ الحديث

و من أهم ميزاته رحمه الله أنه كان حافظ الحديث النبوى (على صاحبه الصلاة و السلام) بالمعنى الحقيق الاصطلاحى ، و شديد الصلة به .
و حفظ الحديث عبارة عن معنى واسع شامل ، دون اقتصار على استحضار الحديث و تقييده فى الذهن ، و الحافظ لا بد أن يكون على معرفة تامة و بصيرة كاملة قوية فى الحديث ، جعله الحافظ ابن حجر العسقلانى المقياس الحقيق و الميزان العدل ، نقرأ له كتابا قارن فيه بين شخصيتين مقارنة موضوعية التجأ فيها إلى هذا المقياس و بحث فيهما - و هما الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقى المتوفى سنة ۸۰٦ ھ صاحب « الألفية » و تلميذه الحافظ نور الدين على الهيثمى المتوفى ۸۰۷ ھ صاحب مجمع الزوائد - عن الملكات الحقيقيه ، يقول : « لم نر فى هذا الفن أمتن منه (أى العراقى) و عليه تخرج غالب أهل عصره ، و من أخصهم به صهره شيخنا نور الدين الهيثمى ، و هو الذى رباه و علمه كيفية التخريج و التصنيف ، و هو الذى يعمل له ، كتب له خطبا و ينسبها له ، و صار الهيثمى لشدة ممارسته أكثر استحضارا

المتون من شيخه حتى يظن من لا خبرة له أنه أحفظ منه، و ليس كذلك، لأن الحفظ المعرفة»[1].

و لو نرى المحدث الشيخ أنور شاه من خلال مؤلفاته و أماليه على كتب الحديث لوجدناه متعمقا فى متون الحديث، راسخا شديد الرسوخ فى الجرح و التعديل و طبقات الرجال. و قادرا على أن يميز بين الصحيح و السقيم، و يقارن بين رجل من الرواة و آخر منهم.

حفظ الفقه و الخلافيات

هناك فى كتب التراجم تعبير عن بصيرة العلماء الأعلام فى الفقه: «كان حافظا للفقه و الخلاف»، و الذين سمعوا دروس الشيخ رحمه الله و جلسوا إليه شعروا ـ وكانوا فى شعورهم صادقين - بأنه كان خير مصداق لهذا التعبير القيم، إذ تضلع فى الفقه حتى فى المسائل الفرعية الدقيقة، و اطلع على الخلافيات و مناقشات الأئمة و آراء العلماء و مناط الخلاف فيها، و هو يقول:

«ليس عندى فن أصعب من الفقه، حتى أنى فى الفنون كلها ذو رأى و تجربة، أحكم بما أريد أو أنتخب من أقوال أهل العلم ما أريد، و أتفرع الآراء من عندى لا أحتاج إلى تقليد أحد، و لكنى فى الفقه مقلد بحت، ليس لى رأى سوى الرواية، و لذا قد يصعب علىّ الإفتاء، فان الناس لا يكون عندهم إلا قول واحد و يكون فيه عندى أقوال

---

(1) شذرات الذهب لابن عماد الحنبلى ٧/٥٦، و طبقات الحفاظ للحافظ الذهبى ص ٣٧٣.

عن الإمام أو عن المشايخ ، و التصحيح قد يختلف ، و لست من أصحاب الترجيح ، و حينئذ أفتي بما يقرب من مذاهب الأئمة و آثار السلف و السنة »[1].

و من الخطوط البارزة فی شخصية الشيخ الكبير نبوغه فی الوقوف على طبقات الفقهاء و آرائه الخاصة فی فقههم مما يدل على دقة نظره و سعة اطلاعه و رسوخه فی العلم ، و هذا لا يقع إلا ممن جعل هذا الفن حياة له يعيش به طول الليل و النهار ، و هنا يذكر رأيه عن الإمام أبی جعفر الطحاوی المتوفی ۳۲۱ ھ يقول عنه :

« أعلم الناس بمذهب أبی حنيفة ، بل أعلم الناس بالمذاهب كلها ، و هو يروی عن الشافعی بواسطة ، و عن مالك بواسطتين ، و عن أبی حنيفة بثلاث وسائط . و فی (كتاب الحج) من كتابه (شرح معانی الآثار) عن أحمد بواسطة ، قال شيخنا : و هو إمام مجتهد مجدد ، كما قال ابن الأثير الجزری ، قال : و أريد بكونه مجددا من حيث شرح الحديث ، و محامله و غوامضه ، و البحث و التحقيق فهو إمام طريقته المبتكرة حيث أن القدماء كانوا يقتنعون برواية الأحاديث فی كتبهم من غير أن يستعرضوا البحث و التحقيق كثيرا »[2].

و كان الشيخ الكشميری يثنی على كتاب ملك العلماء أبو بكر بن مسعود الكاشانی المتوفی ۵۸۷ ھ (البدائع و الصنائع فی ترتيب الشرائع) بقوله : « إن مؤلفات العراقيين من فقهاء الحنفية أثبت و أتقن من تصانيف الخراسانيين ، و لكن من البدائع أن مؤلف هذا الكتاب ملك العلماء

---

(۱) فيض الباری ۱۹۷/٤ (۲) معارف السنن (شرح جامع الترمذی) المحدث الشيخ محمد يوسف البنوری من كبار علماء دار العلوم .

أبو بكر الكاشانى من الخراسانين و لكنه فى التثبت و الإتقان مثل مؤلفات العراقيين ، بل فاق حسنا على سائر كتب فقهائنا الحنفية ، كتاب بديع ، إن طالعه عالم بالغور و الإمعان لصار فقيه الناس . و هو أنفع للدرسين و المؤلفين منه للمفتين »[1] .

و نراه فى أحد كتبه يعقب على الفقيه الشامى ، و يقارن بينه و بين الشخصيات الأخر من أعلام الفقه الإسلامى ، و هم زين العابدين بن إبراهيم بن نجيم الحنفى المتوفى ٩٧٠ ھ و محمد أمين بن عمر عابدين الدمشقى الحنفى المتوفى ١٢٥٢ ھ و الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوى المتوفى ١٢٣٩ ھ و الشيخ رشيد أحمد الكنكوهى أحد المشرفين على دار العلوم و مشيختها . يقول : « إن ابن نجيم أفقه عندى من الشامى لما أرى فيه أن أمارات الفقه تلوح ، و الشامى معاصر للشاه عبد العزيز الدهلوى و هو أفقه أيضا عندى من الشامى رحمه الله تعالى ، و كذا شيخ مشايخنا رشيد أحمد الكنكوهى قدس سره أفقه عندى من الشامى »[2] .

رأيه عن رجال آخرين

لم تقف آراؤه عند رجال الفقه و الحديث ، بل تخطتهم إلى أعلام الفنون الأخرى أيضا ، فكان رحمه الله يتمسك بدليل قوى أكيد فى إيضاح رأى من آرائه ، و هو شديد الاعتماد على ما يظهره و يقول ، فمن كلامه عن الشيخ الأكبر محى الدين ابن العربى المتوفى سنة ٦٣٠ ھ والحافظ ابن تيمية

---

(١) نفحة العنبر من هدى الشيخ أنور ، للشيخ البنورى ص ٨٥ .

(٢) فيض البارى ٢/ ٢٤١ و ١/ ١٢ .

المتوفى ٧٢٨ هـ و الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد م ٧٠٢ هـ و الحافظ ابن عبد البر م ٤٦٣ هـ و الشيخ جمال الدين الزيلعي م ٧٦٣ هـ و الحافظ ابن حجر العسقلاني م ٨٥٢ هـ : « و عندي أن الشيخ الأكبر من كبراء هذه الأمة و ساق غايات في علم الحقائق ، أما الحافظ ابن تيمية فلا ريب أنه بحر مواج لا ساحل له و لكن شذ في مسائل من الأصول و الفروع من جمهور الأمة المحمدية على صاحبها الصلاة و السلام ، و الحق مع الجمهور . و ينكر الكشف و الكرامات غير أنه قائل بمصداق الكشف و يسميه فراسة المؤمن متبعا للحديث . إن في طبعه شدة و حدة فيزعم تحقيقه كالوحي النازل من السماء و إن كان خلافا للواقع ، و لا يبالي بمن خالفه و إن كان على الحق . و هذه طبقات من الناس خلقهم الله تعالى على مراتبهم ، فمنهم من يطبع على الاعتدال و النصفة كالشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد و ابن عبد البر و الزيلعي ، و منهم من يطبع على هذه الشدة كالحافظ ابن تيمية ، و منهم من يطبع على غاية التيقظ مع شدة التعصب كالحافظ ابن حجر »[1] .

زيادات على المصطلحات العلمية

و له زيادات قيمة على مصطلحات بعض الفنون . أصبحت معروفة لدى العلماء و المشتغلين بالعلم . نراه في علم أصول الفقه الذي يعد أصعب العلوم من ناحية البحث و الدراسة و التحليل ، يضيف إلى مصطلحاته لتأدية بعض المعاني و للتعبير عنها بحيث لا يبقى فيها غموض و لا خفاء . هناك مصطلح « المتواتر » وصفه العلماء وصفا لا يحيط بجميع ما فيه من المعاني الدقيقة ، و جعلوا له قسما واحدا « تواتر الإسناد » دون اعتناء بأقسامه

---

(١) فيض الباري ٢/١٦٤ .

الأخرى . و لكن هذا العبقرى امتاز بنبوغه فى العالم الإسلامى حيث أنه حصر التواتر فى أربعة أقسام فى مؤلفه البديع (نيل الفرقدين فى مسألة رفع اليدين) و أخذ لكل نوع اسما خاصا يعرف به و يمتاز عن غيره . و تلك الأقسام الاربعة هى : « تواتر الإسناد » « تواتر الطبقة » « تواتر العمل و التوارث » و « تواتر القدر المشترك » .

و نرى لزاما أن نعرض فى صدد ذلك كلمة الشيخ شبير أحمد العثمانى (و هو من كبار علماء دار العلوم و صاحب مؤلفات كثيرة فى الحديث و التفسير و الكلام) و هى مقتبس سامق من أدب الاعتراف يتجلى فيه صدق العاطفة و حسن الإخلاص : « و هذه الأقسام الأربعة للتواتر و إن كانت جزئياتها منتشرة فى كتبهم لكنهم ما كانوا يذكرونها عند التقسيم و أول من ربع القسمة و سمى كل قسم باسمه - فيما نعلم - الشيخ العلامة أنور أطال الله بقاءه . و هو تقسيم حسن »[1] .

و لا نعرف هذا التقسيم على حسنه و كماله و دقته و استيعابه فى كتب أخرى للذين تعمقوا فى فن المصطلحات و وضعوا كتبا مستقلة فيه ، و إنما يوجد ما يحصره فى النوعين (اللفظى و المعنوى) . انظروا كتاب التعريفات للسيد شريف الجرجانى المتوفى ٨١٦ هـ ص ١٧٥ . و الكليات لأبى البقاء المتوفى ١٠٩٥ هـ ص ١٣٧ و دستور العلماء لعبد النبى الأحمد نكرى ج ٣ ص ٧٨ . و كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد على التهانوى ص ١٤٧٠ .

---

(١) فتح الملهم شرح صحيح مسلم ص ١/٦ .

عمله التجديدى فى درس الحديث

هناك ناحية أخرى تمتاز من بين نواحى حياته . فكان العلامة رحمه الله لا يدرس كتابا ، و لا يقتصر للطبة على شرح ما أودعه الكاتب فى كتابه ، بل كان يلقى فى روعهم من العلم ما يوسع لهم مجال الفهم و الدراسة و المطالعة ، و يذكى قريحتهم ، و يخلق فيهم ملكة التعليل و التحليل و التأويل ، و هذا هو العمل التجديدى الذى قام به فى درس الحديث ، و الذى ترك أثرا بعيدا فى توجيه تلاميذه العلمى و الدينى . نرى العلامة شرف الدين الطيبى الشافعى المتوفى ٧٤٣ ﻫ يشرح الحديث و يكشف الغطاء عن فقهه و بلاغته و نهجه اللغوى و أسلوبه الأدبى ، و ها هو المنهج الذى اختاره العلامة فى سائر كتب الحديث المتداولة ، و عندنا عدد كبير من الأمالى للعلماء الكبار الممتازين ، حتى أن بعضا منهم حذق فى العلوم كلها و مهر فيها ، و لكننا نجد أماليهم لا تتجاوز عن الفقه إذا كان الفقه موضوعا لها ، و لا تتجاوز عن اللغة إذا كانت اللغة موضوعها ، و لكن الشيخ أنور شاه لم ير بهذا الأسلوب بل اعتنى بجميع العلوم فى الأمالى ، و شرحها شرحا وافيا حتى أصبحت دائرة المعارف ، و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

* * *

نشرت مجلة « معارف » الأردية فى عدديها لشهرى سبتمبر و أكتوبر مقالا عن العلامة الكشميرى رحمه الله للاستاذ عبد الرحيم الچشتى (كراتشى باكستان) و إنى اعتمدت فى إعداد هذه الكلمة على مقاله ، فله منى وافر الشكر و الامتنان .

(نديم الواجدى)
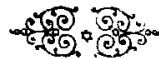
سيروا إلى ربكم

كان خليد البصرى يقول :

كلنا قد أيقن بالموت ، و ما نرى له مستعدا ! وكلنا أيقن بالجنة ، و ما نرى لها عاملا ! وكلنا قد أيقن بالنار ، و ما نرى لها خائفا ! . . فعلامَ تعرجون ؟ و ماذا عسيتم تنتظرون ؟ فهذا الموت اول وارد عليكم من الله بخير أو بشر .. فيا إخوتاه !! سيروا إلى ربكم سيرا جميلا ..

٭ ٭ ٭

العلم و العمل

قال سفيان بن عيينة : العلم يضرك إذا لم ينفعك !

و كان الأحنف بن قيس يقدم إصبعه إلى المصباح ، فإذا وجد حرارة النار قال لنفسه : ما حملك على ما صنعت يوم كذا ؟ !

٭ ٭ ٭ ٭ ٭

اطلالة على علماء الحديث فى الهند

بقلم الأستاذ محمد سالم القاسمى
أستاذ الحديث فى دار العلوم بديوبند

كلما جرى على اللسان أو طاف بالذاكرة اسم بلدة من البلاد الخادمة لحديث الرسول ـ عليه صلاة الله و سلامه ـ تدافعت على دارس تاريخ الهند ذكريات حافلة مجيدة ، و أمجاد خالدة رفيعة تهز النفس فخرا و إعجابا و سموا و كرامة بما حققه محدثو الهند الذين رفعوا لواء العلم و نشروا أعلام الفضيلة فى ربوع هذا البلد العظيم ، و ساروا بخطى ثابتة صوب الهدف المنشود . و ليس هذا فحسب بل تحلوا بفضائل جليلة كانت أسوة حسنة و قدوة صالحة لمن أخذ عنهم الحديث .

و لا شك أن نهضة علم الحديث فى أقطار الهند وليدة همم أولائك الدعاة المحدثين الذين لم يقصدوا بها مالا و لا جاها و لا رياء و لا سمعة ، إنما ابتغوا وجه الله و طلبوا الدار الآخرة ، و لهذا يراهم باحث تاريخهم فى بعض الفترات فى مقدمة القافلة و مأخذ الزمام .

فلله هذه النفوس العالية ! و لله تلك الهمم العالية و المثل العليا فى ميادين التضحية و الكفاح فى سبيل علم الحديث ! فرحمهم الله رحمة واسعة و تغمدهم بفضله و إحسانه ، لقد خلفوا ذكرى عطرة ، و سجلوا فى تاريخ الخلود سفرا رائعا ينطق بفضلهم و بخدماتهم التى لا ينساها التاريخ .

فهذه مؤلفاتهم و آثارهم ، و تلك بيوتهم و مكتباتهم ، و هؤلاء أبناؤهم و أحفادهم . فيا أبناءهم اقتدوا ! و يا أحفادهم تيقظوا ! ، و يا دنيا اسمعي ! و يا أرض الهند اشهدي ! و يا تاريخ حرر ! فلن يضيع أجر المحسنين ، و لا يزال لهم لسان صدق في الآخرين .

كانت مهمة المشتغلين بالحديث في الهند جليلة الخطر محفوفة بالمتاعب لأنهم وجدوا أمامهم أحاديث وفيرة العدد تناقلها قوم في غير حذر و لا إمعان نظر ، فلم تكن غايتهم جمع الحديث فحسب ، بل كانت غايتهم استخلاص الأحاديث الصحيحة و تنقيتها مما اعتراها من دخيل و موضوع و غير ذلك .

إن مؤلفات المحدثين في الهند في علم الحديث لا تحصى لكثرتها ، فلا نبالغ لو قلنا : إن المحدثين في الهند اكثر عددا في العالم الإسلامي بعد العراق و الحجاز .

و الذين اشتهروا لمؤلفاتهم و دراساتهم في علم الحديث فمنهم الشيخ المحدث الشهير الإمام رضي الدين حسن بن محمد الصغاني اللاهوري ، من رجال القرن السابع الهجري ، صاحب « مشارق الأنوار » . إنه كان إماما في اللغة و الفقه و الحديث ، و ظل كتابه في الهند مدة طويلة من كتب التدريس .

و منهم الشيخ علي بن حسام الدين المتقي البرهانپوري ، صاحب « كنز العمال » ، و هو من الكتب التي انتفع بها علماء الحديث كثيرا ، و اعترفوا لصاحبه بمجهود عظيم . قال الشيخ أبو الحسن البكري الشافعي من أئمة العلم في الحجاز في القرن العاشر : « إن للسيوطي منة على العالمين و للمتقي منة عليه » .

و منهم الشيخ محمد طاهر البتنى ، جمع فى كتابه « مجمع بحار الأنوار فى غرائب التنزيل و لطائف الأخبار » كل غريب الحديث . و له على أهل العلم بذلك منة عظيمة حيث تلقى بالقبول بينهم بالاتفاق .

و منهم الشيخ الإمام ولى الله الدهلوى ، الذى طار صيته فى أرجاء العالم الإسلامى بكتابه « حجة الله البالغة » المتكر فى موضوع « فلسفة التشريع الإسلامى » ؛ لا يوجد له نظير فى المكتبة العربية على سعة نطاقها .

و من مؤلفاته فى علم الحديث التى تلقاها المشتغلون بالحديث بالقبول هى « المصفى شرح الموطا » باللغة الفارسية و « المسوى شرح الموطا » باللغة العربية ، و « تأويل الأحاديث » . و اعترف العلماء بعظيم إفادتها لا سيما المؤلفات باللغة العربية ، و لو جاز لنشأة علم من العلوم أن ترتبط باسم إنسان معين لارتبطت نشأة علم الحديث فى الهند باسم العالم الربانى المحدث الكبير فضيلة الإمام الشاه ولى الله الدهلوى تغمده الله بغفرانه .

و منهم الشيخ عبد العزيز الدهلوى نجل الشيخ الإمام ولى الله الدهلوى ، الذى كان من كبار المحدثين الذين خدموا العلم و أدوا لنشره أجل الخدمات فى ربوع الهند و أعظمها فى ميدان الحديث . فمن مؤلفاته القيمة فى علم الحديث « العجالة النافعة » و « بستان المحدثين » كلاهما باللغة الفارسية .

و منهم الشيخ أحمد على السهانپورى . كان من كبار المحققين فى علم الحديث فى عصره ، و له تحشية على « صحيح البخارى » تعتبر أرقى حاشية علمية فى هذا الفن الشريف .

و منهم فضيلة الأستاذ الأكبر الإمام محمد قاسم النانوتوى المؤسس لأكبر الجامعات الإسلامية فى قارة آسيا «دار العلوم» بديوبند، الذى انتهت إليه رئاسة التدريس فى الحديث و التأليف فى تدوين فنون الحديث و شرح متونه. و لفضيلته مؤلفات قيمة عديدة، منها «حجة الإسلام» و «البراهين القاسمية» و «انتصار الإسلام».

و منهم الشيخ رشيد أحمد الكنكوهى، كان - رحمه الله - إماما فى الحديث و الفقه. و قد رزق القبول العظيم فى الأوساط العلمية و المدرسية لدرسه فى الحديث. المحتوى على النفائس العلمية. و الذخائر الفكرية. فمن تراثه العلمى الثمين دروسه المدونة لجامع الترمذى و صحيح البخارى باسم «الكوكب الدرى» و «لامع الدرارى».

و منهم المحدث الشهير فضيلة الأستاذ الشيخ محمود الحسن المعروف شيخ الهند. كان من كبار تلاميذ الإمام محمد قاسم النانوتوى، و امتاز فضيلته بكثر الوافدين من طلاب الحديث إليه من بلاد العرب و العجم، و اشتهر بنبوغه و تبحره فى الحديث، و تناقلت الألسن غزارة علمه و ورعه. فكان - رحمه الله - بذرة طيبة أينعت شجرة مثمرة امتدت جزورها فكان أضخم الأشجار و أوفرها ظلالا.

و منهم المحدث سماحة الأستاذ الأكبر الشيخ خليل أحمد السهارنبورى، نابغا فى فنه و مجمعا علميا نشيطا فى شخصيته. و من تركاته العلمية كتابه «بذل المجهود فى شرح سنن أبى داود» و هو شرح لا يتخلله الضعف، و لا يتطرق إليه الوهن، لا تزال عمدة و مرجعا لطلبة هذا الفن الشريف و علمائه.

و منهم المحدث البارع فضيلة الشيخ الأستاذ مولانا الحافظ محمد أحمد - عليه رحمة الله - نجل الإمام محمد قاسم النانوتوى، قضى - رحمه الله - أكثر من أربعين عاما فى خدمة الحديث بالتدريس من ميراثه، إنه كان يزن الحديث بميزان دقيق و ينظر فى كل رواته و صحة سنده ثم يكشف عن كنوز المعرفة و الأسرار .

و منهم سماحة المحدث الشهير الشيخ محمد أنور شاه الكشميرى، و لسعة اطلاعه على فنون الحديث و استقصائه لسائر كتبها اشتهر فيما بين الدوائر العلمية باسم « المكتبة السائرة » . و من بقاياه العلمية التى اعتنى بها العلماء فى الأقطار الإسلامية و عدوها من خيرة ما كتب فى الموضوع كتاب « فيض البارى » و « العرف الشذى » و دروسه المدونة لصحيح البخارى و جامع الترمذى .

و منهم المحدث الشهير فضيلة الأستاذ السيد حسين أحمد المدنى ، الذى كان يُعد من الشخصيات البارزة فى علم الحديث فى عصره .

و منهم فضيلة المحدث الكبير الشيخ محمد طيب ، مدير جامعة دار العلوم بديوبند حاليا . يلقى فضيلته الدروس فى الحديث فى دار العلوم بديوبند ، و معظم طلابه من العلماء و طلبة العلم الممتازين . و لفضيلته مؤلفات جليلة فى فنون شتى . منها كتابه القيم فى الحديث « المعيار القرآنى لحديث الرسول » الذى نال مكانة سامية فى الأوساط العلمية و المدرسية ، و قد صار من كتب التدريس فى بعض الجامعات .

و منهم الشيخ محمد إدريس الكاندهلوى رحمه الله ، و هو المحدث الجليل .
عند العلماء من اكابر المحدثين . و من مؤلفاته القيمة « التعليق الصبيح
مشكاة المصابيح » ؛ و لا شك أنه كتاب سوف يبقى أثره ظاهرا كلما
د حب الناس للدراسات و الرغبة فى الكشف عن مهمات الحديث .
و منهم الشيـــخ محمد يوسف البنورى ، صاحب « معارف السنن »
فضيلته فى العلماء و يعد من المحدثين الأجلاء الذين لعبوا دورا
فى ميدان العلم ، و أدوا الخدمات الجليلة الشأن فى مجال علم الحديث .
و منهم الشيخ بدر عالم المهاجر المدنى ، و هو جدير بأن نضعه فى
بة الأولى بين محدثى العصر الحاضر .
و منهم المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى . نال بنبوغه فى علم
يث مكانة سامية فى الأوساط الدينية فى الهند .
و منهم الشيخ محمد يوسف الكاندهلوى ، كان - رحمه الله - بصفة الداعى
ر شهرة من المحدث . هو صاحب « أمانى الأحبار على شرح معانى
ار » الذى يدل على عمق فكره و دقة نظره و اطلاعه الواسع على
يث و تضلعه من علوم العربية و البلاغة .
و الخلاصة ان علم الحديث موضوع طريف جليل ، و هو يقتضى
افر الجهود لخدمته و الاستمرار على تحقيق مباحثه .. فنختم المقال بما
العلامة السيد رشيد رضا منشئ مجلة « المنار » فى مقدمة مفتاح كنوز
ة : « لو لا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث فى هذا العصر لتقضى
ا بالزوال من امصار الشرق » .

نظرة تحقيقية على أسماء القدس

بقلم الأستاذ عارف باشا عارف

للقدس عدة أسماء، سميت بها على مر الدهور، تبعا للامم والشعوب التى استوطنتها. ومن هذه الأسماء:

«يبوس» نسبة لليبوسيين. فقد ورد هذا الاسم فى سجلات الفراعنة هكذا «يا بيثى».

وأسماها الكنعانيون «أورو سالم» أى مدينة السلام، وعرفها الفراعنة بهذا الاسم أيضا، ولهذا يعتقد الكثيرون أنها كنعانية الأصل. وقيل إن «اورو - سالم» بابلية الأصل آرامية. وسواء كان أصل هذا الاسم كنعانيا أو آشوريا أو بابليا منحدرا عن الآرامية فان التسمية العبرية التى عرفت فيما بعد وهى «أور شليم» مشتقة عنها، وأن القول بأن هذا الاسم عبرانى زعم باطل. ذكرها الفيروز آبادى فقال: إن شلَّم، شلَّم، شلِم: اسم البيت المقدس. وقال ياقوت: إن شاعرا من شعراء الجاهلية أسماها "أور سلمو". ولكننا لم نعثر على هذا الاسم فى الكتب ولا قرأنا الشعر الذى ذكره فى هذا الصدد.

ومن أسمائها «مدينة داود» و«صهيون». وأسماها اليونانيون «يروساليم». وأضفى عليها المؤرخ اليهودى يوسيفوس حلة هيلينية فأسماها

« هيرو سلما » . و كانت فى أوائل الفتح الرومانى تدعى « هيرو سليما » . ثم صارت « هيروسالما » . و من هنا أخذت الأمم الأوربيه اسمها المعروف « جيرو سالم » .

و عند ما حاصرها تيطس ٧٠ م كان الرومان يسمونها « سوليموس » و فى عام ١٧٥ م سمعناهم ينادونها « سوليما » . و سماها المكابيون « برو سوليما » .

و فى سنة ١٣٩ م أسماها الامبراطور أدريانوس « إيليا كابيتولينا » . و ظلت تعرف بهذا الاسم « إيليا » حتى أوائل الفتح الإسلامى ، وكذلك سميت فى العهدة العمرية . قال ياقوت : إن « إيلياء » اسم لبيت المقدس ، و معناه بيت الله . قال الفرزدق :

و بيتان : بيت الله نحن ولاته ٭ و قصر بأعلى إيلياء مشرف

و قال صاحب مثير الغرام : إن من أسمائها : إيلياء ، إليا ، إيليا .

و جاء فى إتحاف الأخصاء أن من أسمائها : « بيت إيل » و معناه بيت الرب .

و من أسمائها « القرية » و إلى ذلك تشير الآية : ﴿ ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا و ادخلوا الباب سجدا و قولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ﴾ .

و منها « الأرض المباركة » و إلى ذلك تشير الآية : ﴿ و نجّيناه و لوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين ﴾ .

و منها « الساهرة » جاء فى الآية ﴿ فاذا هم بالساهرة ﴾ .

ومن أسمائها : « بيت المقدس » و « البيت المقدس » و « الأرض المقدسة » . روى أن مروان بن الحكم قال يوما للفرزدق :

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها ° إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس
ودع المدينــة إنها محذورة ° والحق بمكة أو ببيت المقدس

وذكر ابن حجر العسقلانى « البيت المقدس » فى شعره فقال :

إن البيت المقدس جئت أرجو ° هناك الخلد نزلا من كريم
قطعنا فى مسافتــه عقابا ° وما بعد العقاب سوى النعيم

ومن أسمائها : « المسجد الأقصىٰ » وفى ذلك نزلت الآية الكريمة : ﴿ سبحان الذى أسرىٰ بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصىٰ الذى باركنا حوله ﴾ .

ومنها : « الزيتون » . وفى ذلك نزلت الآية : ﴿ والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين ﴾ . قال ابن عساكر نقلا عن ابن عباس : إن التين بلاد الشام ، والزيتون بلاد القدس ، وطور سينين الجبل الذى كلم الله موسى عليه ، وهذا البلد الأمين مكة .

ومن أسمائها « القدس » . قال الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف فى الجزء الثانى من مجلة المقتبس ما يلى : ولعل أقدم من ذكرها بهذا الاسم المطران سليمان الغزى ـ أسقف غزة والشام ـ حوالى القرن الرابع عشر للميلاد إذ قال :

أيدعوك للقدس الخيال الذى يسرى ° فهل لك فى تحرك الزيارة من عذر

وأما أنا فأقول : إن المؤلفين العرب ذكروا « القدس » فى مؤلفاتهم قبل

ذلك التاريخ بزمن طويل ، فقد ذكرها أبو العلاء المعرى (٥٤٩ هـ = ١٠٥٧ م) فى شعره :

يا شاكى النوب انهض طالبا حلبا ٭ نهوض مضنى لحسم الداء ملتمس

واخلع حذاك إذا حاذيتها ورعا ٭ كفعل موسى كليم الله فى القدس

و للعماد الأصفهانى (١٢٠٠ م) كتاب اسمه « الفتح القسى فى الفتح القدسى » . و لأبى الفرج التيمى المعروف بابن الجوزى كتاب اسمه « فضائل القدس » . و للقاضى أمين الدين بن هبة الله الشافعى (١٢٠٦م) الأنس فى فضائل القدس » . و لشهاب الدين بن سرور المقدسى (١٣٦٣ م) « مثير الغرام إلى زيارة القدس و الشام » . و لمحمد بن إسحاق القدسى (١٣٧٤ م) كتاب اسمه « تاريخ القدس » .

هذه و غيرها من الكتب تدلنا على أن اسم « القدس » كان معروفا منذ أوائل الحكم الإسلامى فى هذه البلاد . و قد احتفظ الأتراك فى بادئ الأمر باسم « القدس » ثم أضاف إليها وصف الشرف فراحت تعرف باسم « القدس الشريف » و عرفت بذلك طيلة وجودهم فى البلاد ١٥١٧ - ١٩١٧ م .

و مهما قيل فى أسمائها فانها تستحق القول الذى قال فيها أمير الشعراء شوقى :

بلد على أرض الهدى و سمائه ٭ المجد حائطه و رأس بنائه

بلد بنوه الأكرمون ، قبورهم ٭ و قصورهم وقف على نزلائه
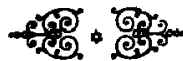
الشريعة والتصوف

بقلم فضيلة الشيخ مسيح الله خان عم فيضه
نقله إلى العربية : أفضل حسين البستوي

حقيقة التصوف

للشريعة جزاءن : جزء يتعلق بالأعمال الباطنة ، و جزء يرتبط بالأعمال الظاهرة . فالجزء الذى يتعلق بالأعمال الظاهرة يسمى فقها ، و الجزء المرتبط بالأعمال الباطنة يسمى تصوفا و سلوكا ؛ و موضوعه تهذيب الأخلاق ، و الغرض منه تحصيل مرضاة الله سبحانه و تعالى ، و طريق الحصول عليها اتباع الشريعة الغراء .

فكأن التصوف اسم لروح الدين و معناه ، أو لكيفه و كماله الذى يطهر الباطن و يخليه من الأخلاق الذميمة من : الشهوة و آفات اللسان و الغضب و الحقد و الحسد و حب الدنيا و حب الجاه و البخل و الحرص و الرياء و العجب و الكبر ، و يحليه بالأخلاق الحميدة من : التوبة و الصبر و الشكر و الخوف و الرجاء و الزهد و التوحيد و التوكل و المحبة و الشوق و الإخلاص و الصدق و المراقبة و المحاسبة و التفكر ، لكى يحصل الالتفات إلي الله الذى هو مقصود الحياة . فلا منافاة بين التصوف و الدين ، و لا بين الطريقة و الشريعة ، بل و يجب على كل مسلم أن

يتصوف لأن المسلم لا يستحق أن يطلق عليه اسم المسلم الكامل فى الحقيقة حتى يتصوف .

الحاجه إلى التصوف

و إذا اتضح أنه لا منافاة بين التصوف و الطريقة و الدين و الشريعة ، بل هو جزء هام من الشريعة السمحاء : اتضح و ثبت الاحتياج إليه .

و قد قال حكيم الأمة الشيخ مولانا أشرف على التهانوى - برد الله مضجعه - فى مبدء كتابه « حقيقة الطريقة » : أما بعد ؛ فيجب على كل مسلم أن يصلح أعماله الباطنة بعد تصحيح العقائد و إصلاح الأعمال الظاهرة ، فقد دلت بعبارة النص على فرضيته آيات كثيرة و أحاديث غير معدودة و لو أن أهل الظاهر غافلون عن هذه الدلالة من أجل اتباعهم الهوى ، و من لا يعرف أنه قد ذكر فى القرآن و الحديث فضيلة الزهد و القناعة و التواضع و الإخلاص و الصبر و الشكر و حب الله سبحانه و تعالى و الرضاء بالقضاء و التوكل و التسليم و غير ذلك ، و التأكيد على تحصيلها ؟ ! و ذكر ذم أضدادها من حب الدنيا و الحرص و التكبر و الرياء و الشهوة و الغضب و الحسد و نحوها ، و الوعيد عليها ؟ فأية شبهة فى كونها مأمورا بها و منهيا عنها ؟! و هذا هو معنى إصلاح الأعمال الباطنة ، و هو المقصود الأصلى فى الطريقة و التصوف الذى لا شك فى ثبوت فرضيته .

و قال فى كتابه « طريق القلندر » : إن الأصول الصحيحة للتصوف كلها موجودة فى القرآن و الحديث ، و ظن بعض الناس أن التصوف

ليس بموجود فيهما ظن فاسد و زعم باطل . و إن علماء الظاهر يقولون : إن القرآن و الحديث خاليان من التصوف ، فانه عندهم ليس بشيء و مسائله ثراثر محضة بعيدة عن الحقيقة ، و إنما تثبت بالقرآن و الحديث الصلاة و الصوم فحسب . فهما الجدران بالاشتغال ، و أما التصوف فليس إلا من مخترعات المتصوفين !! فكأن القرآن و الحديث عندهم عاريان من التصوف . و الصوفية الغلاة يقولون : إن فى القرآن و الحديث هى الأحكام الظاهرة فقط ، و التصوف علم باطنى ! فكأنه لاحاجة عندهم إلى القرآن و الحديث - نعوذ بالله منه .

و الحاصل أن كلا الفريقين يظنان أن القرآن و الحديث خاليان من التصوف ، ثم ترك أولهما التصوف ، و الثانى القرآن و الحديث وفق مزعومهما . و ليس الصواب مع أحد منهما .

التصوف والقرآن

كما أن الأمر ﴿ أقيموا الصلوٰة و آتوا الزكوٰة ﴾ موجود فى القرآن كذلك ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا ﴾ و ﴿ و اشكروا لله ﴾ موجودان فيه . و إن وجدتم ﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ و ﴿ و لله على الناس حج البيت ﴾ فى موضع ، فوجدتم ﴿ يحبهم و يحبونه ﴾ و ﴿ و الذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ فى موضع آخر . و حيثما تجدون فى القرآن ﴿ إذا قاموا إلى الصلوٰة قاموا كسالى ﴾ تجدون فيه ﴿ يراؤن الناس ﴾ . و إن ذم تارك الصلاة و الزكاة فى مكان فذم التكبر و العجب فى مكان آخر .

و طالعوا كتب الاحاديث ، لا شك أنكم تجدون فيها أبواب الرياء و الكبر و غيرهما كما تجدون أبواب الصلاة و الزكاة و الصوم و البيع و الشراء و النكاح و الطلاق . و أى مسلم يأبى و ينكر كون الأعمال الباطنة مأمورا بها من الله سبحانه و تعالى كما أن الأعمال الظاهرة مأمور بها منه تعالى !! فكما أن قوله تعالى ﴿ أقيموا الصلوة و آتوا الزكوٰة ﴾ خطاب بصيغة أمر ، هكذا قوله « اصبروا » و « اشكروا » صيغتيا أمر . فهل يثبت بقوله ﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ مشروعية الصيام و كونه مأمورا به و لا يثبت بقوله ﴿ الذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ كون حب الله مأمورا به ! بل يعلم بامعان النظر أن الأعمال الظاهرة كلها لإصلاح الباطن و تزكيته ، و صفاؤه مقصود بالذات و ذريعة للنجاة ، و كدورته سبب للهلاك و الانهيار فى جب الذل و الهوان ؛ فان الله سبحانه و تعالى قال ﴿ قد أفلح من زكاها و قد خاب من دساها ﴾ و قال تعالى ﴿ يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾.

فقد أوضح سبحانه و تعالى كون تزكية الباطن مستوجبة للفلاح فى الآية الأولى و عدم نفع المال و البنين من غير سلامة القلب فى الآية الثانية ، و الإيمان و العقائد التى ينحصر فيها قبول الأعمال كلها أعمال للقلب ، و لا يخفى أن الأعمال جميعها ليست إلا لإتمام الإيمان . فعلم أن المقصود الأصيل هو إصلاح القلب الذى يصير به الإنسان مقبولا فى جنابه سبحانه و تعالى ، و صاحب المدارج العليا و المقام الرفيع و هو الذى يسمى بالتصوف فى العرف و الاصطلاح .

إعداد : عبد الخالق المدراسى

جهاد فلسطين

فى مسند الإمام أحمد ٥ : ٢٦٩ عن أبى أمامة قال النبى صلى الله عليه و سلم : « لا تزال طائفة من أمتى على الدين ظاهرين ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم و لا ما أصابهم من الأعداء ، حتى يأتيهم أمر الله و هم كذلك » .

قالوا : يا رسول الله ! و أين هم ؟

قال : « ببيت المقدس و أكناف بيت المقدس » .

* * *

على سبيل التجربة

اشتهر مدير إحدى الشركات باللباقة و التلطف فى الحديث ، حتى فى أحرج الأوقات . و فى ذات يوم اضطر لأن يفصل من الشركة موظفا لم يكن يؤدى عمله كما ينبغى ، فاستدعاه إليه و قال بلطفه المعهود :

لست أدرى يا بنى ! كيف سنمضى فى عملنا بدونك ، و لكن مجلس الإدارة قرر أن يجرب ذلك ابتداء من أول الشهر !

* * *

الغنى بغير الاخلاق

كان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق ، قد نالته عسرة ، ثم ولى عملا ، فأتاه محمد زائرا و مسلما عليه ، فرأى منه تغيرا ؛ فكتب إليه :

لـئن كانت الدنيا أنالتك ثروة　　و أصبحت ذا يسر و قد كنت ذا عسر

لقد كشف الاثراء منك خلائقا　　من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

* * *

دعاء رياضى

دعا بعض الرياضيين ربه فقال : اللهم يا من يعلم قطر الدائرة ، و نهاية العدد اللانهائى ، و الجذر الأصم ، اقبضنى إليك على زاوية مستقية ، و احشرنى على خط مستقيم لا منكسر .

* * *

من هو العاقل

الحاجة تفتح أبواب الحيل ، و ليس العاقل الذى يحتال للامور إذا وقع فيها ، بل العاقل الذى يحتال للامور أن لا يقع فيها .

داء الركبتين

عاد أبو الحسين بن برهان رجلا مريضا، فقال له: ما علتك؟ قال: وجع الركبتين! فقال: و الله لقد قال جرير بيتا ذهب منه صدره و بقى عجزه، و هو:

«و ليس لداء الركبتين طبيب»!

فقال المريض: لا بشرك الله بالخير! ليتك ذكرت صدره و نسيت عجزه.

* * *

الصديق يعرف عند الضيق

قيل لبعض الفضلاء: كم لك من صديق؟ قال: لا أعلم، لأن الدنيا مقبلة علي، و الأموال موفورة لدى، و لكن أعرف ذلك لو زالت الدنيا.

* * *

قال أحد الحكماء:

الإخوان ثلاثة: مخالب، و مراغب، و محاسب.. فالمخالب الذى ينال معروفك و لا يكافئك، و المراغب الذى يرغب فى مواصلتك بغير طمع، و المحاسب الذى ينيلك بقدر ما يصيب منك.

* * *
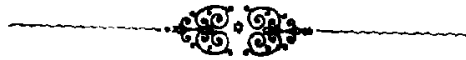
قال سلمة الأحمر: دخلت على هارون الرشيد، فلما رأيت القصور أنشأت:

أما بيوتك فى الدنيا فواسعة * فليت قبرك بعد الموت يتسع

فجعل هارون يبكى، ثم قال: يا سلمة عظنى و أوجز! قلت: يا أمير المؤمنين، لو كنت فى فلاة من الأرض فعطشت بكم كنت تشترى شربة من ماء تروى بها؟ قال: بنصف ما أملك! قلت فان أعطيتها فلما صارت فى جوفك أبت أن تخرج فبكم كنت تشترى خروجها؟ قال: بالنصف الآخر! قلت: فلعن الله الدنيا تباع بشربة و بولة.. فبكى هارون و اشتد بكاؤه.

* * * * *

كان إبراهيم بن أدهم فى بعض الليالى نائما على سريره، فاضطرب سقف ذلك البيت كأن على سطحه أحدا يمشى، فصاح إبراهيم: من أنت؟ فقال: أطلب إبلا! فقال: يا جاهل، تطلب الإبل على السطح؟ فقال: يا غافل، تطلب الله على السرير فى الثوب الحرير.. فأحرق فؤاده من ذلك الكلام و وقعت عليه هيبة.

{* * * * *}

محاولة جديدة فى شرح الصحيح للترمذى

«المعالم المنيفة للمطالب اللطيفة»

فى إيضاح مباحث الجامع الصحيح للترمذى

للعلامة المحدث الفاضل المفتى عبد اللطيف الرحمانى
رئيس القسم الدينى بجامعة على كره المسلمة (سابقا)

تقديم : الأستاذ أبو محمود حبيب الرحمن الميواتى

الحمد لوليه، و الصلاة و السلام على نبيه، أما بعد! فلا يخفى على من أوتى العلم و له مساس بعلم الحديث النبوى أن «الجامع و العلل» للامام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سؤرة الترمذى من الكتب الستة المشهورة المتداولة فى الهند و البلاد الإسلامية، و له مقام أسنى، و ميزة عظيمة. فهذا من أحسن كتب الحديث، و أكثرها فائدة، و أجملها ترتيبا، و أقلها تكرارا. و فيه ما ليس فى غيره من: ذكر المذاهب، و وجوه الاستدلال، و تبيين أنواع الحديث من: الصحيح، و الحسن، و الغريب. و فيه جرح و تعديل، و فى آخره كتاب العلل؛ و قد جمع فيه فوائد حسنة، و فرائد ثمينة، و طرائد قيمة، و ليس يخاف قدرها على من وقف عليها، فان الإمام الترمذى رحمه الله صنف هذا الكتاب - الجامع و العلل - تصنيف رجل متقن، و به كان يضرب المثل.

و الأمة الإسلامية مـع ولوعها بالحديث النبوى و محبتها لصاح
صلى الله عليه و سلم لم يقم أحد منها إلى شرح هذا السفر القيم بأن يح
غوامضه ، و يكشف عن مبهمـه ، و يفصل مجمله ، و يحلل فكر الإما
الترمذى و يجزيه مع رعاية مكانة الجامع و إكرام صاحبه رحمه ا
فتنكشف أسرار فكره ، و رموز علمه .

و من النوادر أنه لم يعتن أحد بشرحه مع الكمال - إن كان ذلك
قبل هذه المائة الرابعة عشر غير العلامة ابن العربى ، و يعلم الذين أو
العلم أنه لم يتوجه إلى شرح غوامض الكتاب ، و إيفاء البحث عن
معضلاته ؛ فانه يتكلم مرة بكلام واف إذا شاء ، و يختصر إذا أراد
غير ناظر إلى مباحث الكتاب و إقتضاءاته .

و قد شرع فى شرحه ابن سيد الناس و ابن حجر العسقلانى و غيره
من علماء الحديث و خبرائه ، لكن لم يكمل شرح الجامع و العلا
للترمذى أحد من أولئك الأعلام .

و قد عزم كثير من العلماء الحنفيين فى عصرنا هذا على هذا الشر
إلا أنهم لم يصلوا إلى إكماله ؛ نعم و قد أعلن العلامة اللوذعى و الفاض
الألمعى السيد محمد يوسف البنورى صاحب سفر قيمة و زبر ثمينة بأ
شرحه « معارف السنن » سيكون مغنيا عن « فتح البارى » شرح صحيح
البخارى لابن حجر العسقلانى ، فما لا ريب فيه أن « معارف السنن » زيا
حسنة فى خزانة شروح الحديث ، لكنه - للاسف - لم يكتمل ، و ليس
يرجو إكماله لكون مؤلفه معالجا للامور الدولية و الشؤن السياسية .

و فی هذه المائـــة (سنة ۱۳۳۲هـ) قد شرحه عالم سلفی الشیخ عبد الرحمن المبارکبوری ، و قد طبع فی الهند و البلاد العربیة مرارا ؛ لکنه شرح محض لیس مما یستضاء به نبراس الحیاة الإنسانیة فی هذه المعمورة ، و قد أورد علی الحنفیة إیرادات لا تلائم فضاء الحدیث و فقهه .

ففی مثل تلك الظروف و الأحوال قد تصدی لهذه المهمة ، و شمر عن ساق الجد لذلك العمل الجلیل العلامة الفـاضل اللبیب ، الحاذق الأدیب ، المحدث المحنك و الفقیه المتدرب « السید عبد اللطیف الرحمانی » . و قد أكمله قبل إتمام « تحفة الأحوذی » للفاضل المبارکپوری ، لکنه لم یطبع فان المؤلف كان یرأس القسم الدینیات بالجامعة العثمانیـة بحیدرآبادكن ، فلما صـار متقاعدا و عــین رئیسا للقسم الدینی بجامعـة علی گڑھ كان للمؤلف تلمیذ - و یـا حبذا التلمیذ - فی حیدرآباد ، هو صهره الفاضل الأریب و الأدیب المصقع « السید فضل الله الجیلانی » أستاذ التفسیر و الحـدیث بالجامعة العثمانیة بحیدرآباد و صاحب كتاب « فضل الله الصمد » فی توضیح « الأدب المفرد » للامام البخاری . فائتمن مسودة هذا الشرح عند هذا التلمیذ . و لما رجع ذلك التلمیذ إلی مستقره و مستقر عیاله بعلی گڑھ كانت معه هذه المسودة ، فأتاها المؤلف فدرسه بخمسة أشهر . فاستحسن ما زاد التلمیذ فی هذا الشرح ، و هنأه و قال مشجعا له : « إنك أحسنت فی درس الـكتاب و مطالعته ، و قد أصلحت صلات الأفعال التی لا نعبأ بها ، و كملت ما كان فی الشرح من نقص ، و ما زدت فهو حسن ، و حیثما أبدلت العبارات فلله درك ، ما أجمل هذه العبارات ! جزاك الله خیرا - الخ » .

وكان الشارح العلام ذا يد طولى فى العلوم الإسلامية، وخاصة فى علوم الحديث وأصوله وفقهه، وله كتب قمية، وفى كل منها أمور ظفر بها ولم يسبق إليها أحد قبله. فكما لا يخفى مكان الجامع للترمذى على أهل العلم سيما محبي السنة، فانه لاينساها أحد فى منهاج تدريسه لا أصحاب المدارس العربية الإسلامية ولا أصحاب الجامعات العصرية، كذلك شرحه هذا إن طبع وتناولته أيدى الناس؛ فان الشارح الفاضل ذو خبرة بالرجال ورواة الحديث، وذو فطنة بمتون الأحاديث، وذو بصيرة بما ذكر فيها من كلام المحدثين.

ومن مميزات شرحه:

- أنه مع توسعه فى العلم رحيب الصدر، صافى القلب؛ لا يسيء الظن بمن خالفه فى المسائل النظرية.

- يختصر البحث فيما ورد فى إسناد الحديث ومتونه من المعضلات، لا ينقد نقمة وإن كان كئيب القلب من بعض كلمات الإمام البخارى الحافظ ابن حجر العسقلانى وصنيعهما بالإمام الأعظم أبي حنيفة رحمهم الله.

- قد عثر فى كتب الرواة على أغلوطات كثيرة هامة، مع هذا لم يلوث لسانه ولا قلمه بالسوء.

- لا يطيل شرحه بذكر الفروع وما لا يحتاج إليه فى كشف مطالب الكتاب وحل عويصات الحديث.

- إذا ذكر الإمام الترمذى درجة الحديث بالصحة، والحسن، والغرابة؛ فالشارح رحمه الله إن وافقه فى حكمه يأتى بالحجة عليه ويؤيده بدفع جرح إن ذكره أحد بجرح فى رواته أو علله فى سياقه.

٦ ـ إن عرف أن حكم الإمام الترمذی لیس بسدید فیأتی بأقوال المحدثین مما یرد علی الإمام من غیر إطالة فی الکلام .

٧ ـ و یستمد علی إثبات مطالب الشرح بأصول المحدثین ، لا بأصول الفقهاء .

٨ ـ و یذکر تحت أسماء الصحابة المذکورة فیما فی الباب أسماء الکتب التی فیها أحادیثهم ، و یجتهد فی الاستقصاء . فمن ینظر فی مباحث الشرح یحسبه من شروح المحدثین المتقدمین .

٩ ـ و إذا ذکر الإمام قول فقیه و لم یجد الشارح دلیلا علیه فلا یستنکف أن یقول : لا أعرف له حجة أی من کان . و یجتنب أن یذکر أحدا بسوء .

١٠ ـ وما ثبت بالحدیث فأقره ، وقد یسرد ما قال فی تلک المسألة أئمة الحدیث .

١١ ـ و لم یجعل شرح الحدیث مصرع أفکار الفلاسفة و المتکلمین .

قد رحل تلمیذ الشارح و صهره السید فضل الله الجیلانی إلی أرض الحجاز و النجد سنة ١٩٦٩م فحدس بمذاکرة علمائهما و تحاوره معهم : ان اشتغال علماء الهند بالمنطق و الفلسفة فی کل ما یتعلق بهم من إلقاء المحاضرات فی درس الحدیث ، و تفسیر القرآن و فقهها ، و أصوله و الإفتاء ، و التعلیق علی الکتب من التفسیر و الحدیث حتی فی المحاورة ، و الوعظ ، و الإرشاد : فذلک قد نحاهم عن العالم الإسلامی سیما العالم العربی فانهم فی واد و علماء العرب فی واد ؛ فقد یصعب علیهم درس احتجاجات الفلاسفة فی الکتب الدینیة و لا یسوغ لهم ذلک . فصار هذا الاکتشاف من التلمیذ منبها عما کان هو فی زاویة الانزواء عن طریقتهم المألوفة المحببة إلیهم ، فاستبدل ذلک الأسلوب المنطقی القدیم ، و جعله وفق طبائع العرب علی طریقة المحدثین و الأدباء فی العصر الحاضر .

فهذا السفر القيم مخطوط غير مطبوع ، ينتظر من يقوم بطبعه و يجتهد في نشره . و ما من شك في أن هذا الشرح إن قدر له أن يتحلى بالطباعة فيظهر إلى حيز الظهور و معرض الاستفادة للعلماء و طلبة الحديث فيكون مغتنما و مكسبا عظيما للمكتبة الإسلامية العربية .

ندعو الله سبحانه و تعالى أن يوفق أولي الخير بطباعة و نشر هذا الشرح الفريد و ينفع به على مر الدهور .

أبو محمود حبيب الرحمن
دار المطالعة الإسلامية بقرية كهاسيره
قرب ميدان المصلى ، بولاية هريانه
(الهند)

Islamia Reading Room
V.P.O: Ghasaira, Dist. Gurgaon
Haryana (India).

{ * * * }

حديث مع الكاتب الاسلامى البنغلاديشى

كتبه واصف حسين نديم الواجدى

زار الكاتب الإسلامى الكبير الدكتور محمد إسحاق رئيس قسم اللغة العربية و القسم الدينى فى جامعة داكا عاصمة بنغلاديش الجامعة الإسلامية « دار العلوم » بديوبند ، كان سماحة الدكتور فى جولته العلمية للهند وصل إلى ديوبند فى الأسبوع الأول من فبراير ، و اجتمع برجال الجامعة و طلابها ، و تبادل معهم الأفكار و الآراء فى موضوعات علمية إسلامية .

إن الدكتور محمد إسحاق من أولئك الرجال الذين احتلوا مكانة مرموقة فى مجال العلم و الكتابة لما أدوا من خدمات غالية جديرة بالثناء و التقدير ، و قد كتب سماحة الدكتور فى رجال الحديث و رواته عدة مقالات علمية مركزة باللغة الإنجليزية ، كما صنف كتابا ضخما بعنوان « مساهمة الهند فى خدمة الحديث » حظى بالقبول الوافر و لقى حفاوة بالغة من رجال الفكر و الدراسة و البحث و التحقيق .

و قد أتيحت لنا فرصة الحديث مع الضيف المحترم ، عرضنا عليه أسئلة و طلبنا إليه الإجابة عليها كى نطلع على الأوضاع التى تمر بها بلاده فى هذه الأيام ، كما وددنا أن نعرف انطباعات سماحة الدكتور عن

دار العلوم بديوبند و خدماتها و رجالها ، فتكرم بالإجابة عما سألنا وطلبنا.
و نذكره فيما يلي ملخص الحوار مع شكر وافر لسماحة الدكتور :

o سألته قبل كل شيء عن أوضاع بلاده الراهنة من ناحية الاقتصاد و الاجتماع ؟ أجاب الدكتور محمد إسحاق في ثقة : إن الثورة شجرة إذا انشقت عن الأرض و نمت و علت فتؤتي أكلها باذن ربها . فمن الطبيعي أن يواجه الشعب البنغلاديشي الأزمات التي يواجهها اليوم ، و يتعرض لمرحلة أصعب و أعنف في تاريخه ، و نحن اليوم بفضل الله و عونه ذللنا كثيرا من الصعاب و تغلبنا على كثير من المشاكل ، و عادت الأوضاع إلى ما كانت عليه من قبل .

o قلت له : إن الشيخ مجيب الرحمن أعلن إقامة الحكم الرئاسي في البلاد ، و ذلك ـ كما تفيد الأنباء ـ رغبة في إعادة الأمور إلى مجاريها ، فما ذا رأيكم عن هذا النظام الجديد للحكم ؟

إنني أثق بأن الحكومة ستنتصر في معاركها الاقتصادية و الاجتماعية على العناصر المعارضة و الهدامة بفيض الخبرة الطويلة و التجربة المباشرة و قوة الاحتمال التي أودعها الله في شخص قائد البلاد !

o من فضلكم اكشفوا لي عن نشاطات الشعب البنغلاديشي الدينية و ما يبذله من جهود في سبيل الدين ؟

هناك عدد من الجماعات و الأحزاب التي تعمل لإشاعة الدين و نشره بين الناس ، و تسعى لغرس الروح الدينية في نفوس الشعب ، و بالجملة فان النشاطات الدينية في بنغلاديش تتضاعف و تزداد يوما فيوما .

○ ما هو مستقبل المدارس الإسلامية فى بنغلاديش ؟

أجاب الدكتور على هذا السؤال القصير : إن عدد المدارس الإسلامية بعد الاستقلال أصبح ضخما، و أقول بكل ثقة و صراحة : إنها تتقدم إلى الأمام يوما فيوما، و تعمل لأجل أهدافها النبيلة السامية أكثر من قبل، و تخدم الإسلام و الفنون الإسلامية فوق ما خدمتها فى الماضى!

○ سألت الدكتور محمد إسحاق عن الباعث الذى حمله على زيارة «دار العلوم» بديوبند ؟

قال : إن الشيء الوحيد الذى دفعنى إلى أن أزوركم و أجتمع معكم هو البحث و الدراسة، و لا أكون مبالغا لو قلت : إن هذه الزيارة - مع أنها كانت قصيرة - درّت علىّ بربح وفير و نفع كثير، جلست فى حلقات الدرس، خاصة فى درس الحديث. و تمتعت بالمحاضرات القيمة التى ألقيت فيها!

○ كيف وجدتم هذه الجامعة ؟ و ما هى الانطباعات التى تحملونها عن هذا المركز الإسلامى ؟

إن الواقع الذى لا ينكر أن جامعة دار العلوم حصن منيع من حصون الإسلام، يذود عن الدين، و ينشر الثقافة و العلم، و يستمتع بتاريخ طويل ملئ بخدمات تكتب لها صفحات المجد و الشرف. شاهدت دار العلوم و نشاطها الدراسى و العلمى عن كثب، و الشيء الذى سرنى كثيرا أن طلاب الجامعة يشتغلون بالإرشاد الدينى إلى جانب اشتغالهم

بوظيفتهم الدراسية ، يختلفون إلى القرى القريبة و النائية ، و يبلغون الناس رسالة الإسلام الخالدة !

o إنكم يا سماحة الضيف جلستم إلى حلقات الدرس ، فمن فضلكم بينوا لي كيف وجدتم ذلك المنهج الذي يسير عليه التدريس في الجامعة ؟

حقيقة أن المنهج الذي تسير عليه الجامعة في تدريسها لمنهج حسن سليم ، عائد على الطلبة و الأساتذة جميعا بكثير من النفع ، و أنا أعتقد أن هذه الجامعة لا تدرس الطالب فحسب ، بل تثقفه ثقافة إسلامية عالية ، و تدربه تربية حسنة ، و تحسن تأديبه ، و تغرس في نفسه بذور الدراسة و البحث و التحليل .

عرضت على سماحة الضيف المحترم أعداد جريدة « الكفاح » الصادرة عن جمعية علماء الهند ، و مجلة « دعوة الحق » لثلاثة أشهر الصادرة عن دار العلوم بديوبند فأثنى عليهما ، و قبلهما بشكر و دعاء بمزيد من الازدهار .

(٭ ٭ ٭ ٭)

بلاغ حول الملتقى التاسع للفكر الإسلامى

تعلن وزارة التعليم الأصلى و الشؤون الدينية (من الجمهورية الجزائرية الشعبية) أن الملتقى التاسع للفكر الإسلامى سينعقد فى تلمسان من الفاتح إلى العاشر من رجب ١٣٩٥ هـ الموافق العاشر إلى التاسع عشر يوليو ١٩٧٥م .

و سيحضره طلاب و طالبات الجامعات ، و تلاميذ و تلميذات السنتين السادسة و السابعة من الثانويات (الأولى و النهائية سابقا) من الجزائر و من أى بلد كان ، و سيسمح لغير الطلبة من الجزائر و غيرها من هم فى المستوى المذكور بالمشاركة فى الملتقى .

و قد دعيت إلى الملتقى شخصيات جامعية و رجال بحث من الجزائر و غيرها من أنحاء العالم الإسلامى لإلقاء المحاضرات ، و عقد الندوات ، و المناقشة فيما بينهم بحضور الطلبة و مشاركتهم . . . . و نظام الملتقى هو النظام الداخلى ، و يمكن السماح بالنظام الخارجى لمن يطلبه .

هذا و تتحمل الوزارة - فى اطار الملتقى - نفقات الإقامة و التنقل داخل التراب الوطنى ، و بالنسبة للطلبة الآتين من أوروبا ، فتتحمل الوزارة نفقات سفرهم ذهابا و إيابا بالباخرة من مرسيليا و إليها أو أحد موانى البحر الأبيض المتوسط .

و سيطلب من المشاركين اسهام رمزى قدره خمسون دينارا جزائريا و يعفى منه الطلبة الآتون من خارج الجزائر جزائريين كانوا أو غيرهم ، و سيعفى منه الساكنون و الساكنات فى تلمسان .

وترسل طلبات المشاركة إلى : إدارة البحوث الإسلامية ، نيابة الملتقيات ، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، ٤ نهج تيمقاد ، حيدرة ، الجزائر . مع ذكر كلمة « الملتقى » على زاوية الغلاف ... و على كل مترشح أن يبعث مع طلبه شهادة دراسية و شهادة طبية .

و آخر أجل لقبول طلبات المشاركة هو التاسع عشر من ربيع الأول ١٣٩٥ هـ الموافق للفاتح من أبريل ١٩٧٥ م عند الإرسال ، و يكون ختم البريد شاهدا على ذلك .

هذا و سيكون جدول الأعمال كالآتي .

١ - مساهمة تلمسان الزيانية في الحضارة و الفكر الإسلاميين و العالميين ، أسباب ازدهارها و عوامل انهيارها .

٢ - موقف إسطنبول أزاء الغزو الأوروبي للعالم الإسلامي .

٣ - موقف إسطنبول و باقي العالم الإسلامي من سقوط الأندلس و آخر مسلميها .

٤ - هل كان الشعر في الأندلس سببا في انحلال أخلاقها ثم سقوطها ، أم كان لها مجرد مرآة و انعكاس ؟

٥ - دور الآداب و الفنون عموما ، و الشعر و الموسيقى خصوصا ، في تعزيز أخلاق أمة أو انحلالها ، و في شحذ عزائمها أو قتل روحها .

٦ - العدالة الاقتصادية و الاجتماعية في الإسلام و أوضاع الأمة الإسلامية اليوم .

اخبار دار العلوم

إعداد: نور الحق البورنوى

كارثة وفاة الشيخ ظفر أحمد العثمانى

فى ٨/ ديسمبر ١٩٧٤م نشرت إذاعة باكستان نبأ وفاة الشيخ العلامة ظفر أحمد العثمانى، فترك هذا النبأ الفاجع أثرا سيئا على أسرة دار العلوم، و أحدث قلقا و اضطرابا بالغين فى أوساطها العلمية و الدينية .

و كانت هذه الكارثة للدار مؤلمة جدا حيث أنها أصيبت بصدمة عنيفة قبل أيام بوفاة الشيخ الكبير العلامة محمد إدريس الكاندهلوى - رحمه الله ، و هذا الألم و الحزن لم يكد أن يتخفف إلا و قد فجعت بهذه الكارثة العظمى .

كان الشيخ المغفور له أكبر سنا بين علماء الدار و أبنائها الأقدمين، و خلفا صادقا لشيوخه و أساتذته، و تذكارا لهم .

إن كارثة وفاة الشيخ تعد خسارة كبرى لأوساط دار العلوم العلمية و الدينية ، و فراغا لا يمكن سده . تغمده الله بغفرانه و أسكنه فسيح جنانه ، و جزاه خيرا عنا و عن المسلمين جميعا على خدماته العلمية و الدينية الخالدة . و علماء الدار و المنتسبون إليها جميعا ليشاطرون فى هم أسرة الفقيد و حزنها .

و بهذه المناسبة أجريت ختمة كلمة « لا إله إلا الله » و عقدت حفلة عزاء و دعاء بالمغفرة و إيصال الثواب فى دار العلوم .

كان وطنه الأصلى ديوبند و إن كان معروفا بالتهانوى . كان من ذرية ديوان لطف الله الذى كان فى عهد الملك شاهجهان متقلدا منصب « الديوان » الجليل . و « درب الديوان » الأثرى لا يزال موجودا فى ديوبند تذكارا له . كان الشيخ العثمانى ابن أخت حكيم الأمة الشيخ أشرف على التهانوى رحمه الله . و حيث أنه قضى بداية عمره فى قرية « تهانه بهون » اشتهر بالتهانوى

ولد الشيخ المرحوم فى ديوبند سنة ١٣٠٨ هـ ، و تلق العلوم الابتدائية من الشيخ مولانا عبد الله الگنگوهى . ثم التحق بمدرسة جامع العلوم بكانپور ، و أكمل دراسته النهائية للحديث فى مدرسة « مظاهر العلوم » بسهارنپور من الشيخ الكبير العلامة خليل الرحمن الأنبيتهوى رحمه الله ، و أنيط به منصب التدريس فى مظاهر العلوم سنة ١٣٠٩ هـ . و لما رجع من زيارة بيت الله المحرم سنة ١٣٢٩ هـ أمره الشيخ التهانوى بالإقامة فى تهانه بهون و فوض إليه أمر تلخيص تفسير بيان القرآن و قد طبع هذا التلخيص لبيان القرآن على هامش القرآن الكريم باسم تلخيص البيان .

و كان الشيخ أحد العلماء الذين فوض إليهم أمر تأليف « إحياء السنن » و المجلدان الأولان ا « أحكام القرآن » و « الدر المنثور » من مؤلفاته القيمة التى لا تزال صفحات مجيدة للتاريخ الإسلامى .

و كان الشيخ العثمانى عند تقسيم الهند رئيسا لهيئة المدرسين فى

المدرسة

المدرسة العالية بداكا؟ و قد غادرها إلى باكستان الغربية فى سنة ١٣٨٨ ، و تولى منصب « شيخ الحديث » فى تندوالا ․

كان ذا مكانة مرموقة و سمعة عالية فى الأوساط الدينية و العلمية و السياسية ، و كان الشيخ التهانوى يعتز به لمكانته العلمية و الدينية ․ و قد بلغ الفقيد من عمره ٩٦ سنة ․ رحمه الله رحمة واسعة ، و أمطر عليه شآبيب رحمته و رضوانه ، و يلهم جميع أسرته و محبيه الصبر و السلوان ․

فضيلة الشيخ عبد الحكيم مفتي حلب فى دار العلوم

زار فضيلة الشيخ عبد الحكيم مفتى حلب دار العلوم فى ٢٤ نوفمبر بعد صلاة الظهر ․ فاستقبله الشيخ معراج الحق و الشيخ نصير أحمد خان نائبا مدير الدار ․ و شاهد الضيف الكريم مكتبة دار العلوم و مبانيها الأخرى مع نائبي مدير الدار ․ ثم وصل إلى مكتب المدير فاستقبله كبار الأساتذه و أضافوه بالشاى ، و جرى الحديث فى شتى الأمور و القضايا الإسلامية ․ و أقيمت حفلة ترحيب بالضيف الكريم فى مسجد دار العلوم بعد صلاة العصر ․ فألقى فيها الشيخ خطبة بليغة حول موضوع « الإسلام دين عالمى حق » و أثبت حقانية الإسلام بدلائل قوية عقلية و نقلية ، و حث فيها الطلاب على استفادة كاملة من هذا المنبع لعلمى الإسلامى ، و الحصول على مهارة تامة فى العلوم الدينية ، ثم شجعهم على الخوض فى سبيل الدعوة الإسلامية و توجيه الناس إلى هذا الدين القويم ․ و حيث أن الوقت كان ضيقا ولم يطلع رجال الدار على نبأ قدومه الميمون فلذلك عجزوا عن القيام باستقباله و عقد حفلة تكريم عامة لسعادة الشيخ بصورة مرضية ․

وفد من علماء عراق

قد زار دار العلوم السكرتير العام لجمعية علماء عراق و أعيان من عضائها فى ١٥ نوفمبر ١٩٧٤ م و قدموا بعد صلاة الظهر إلى مكتب المدير استقبله الأساتذة الكبار و رحبوا به ترحيبا حارا . و حيث أن أعيان دار لم يكونوا مطلعين من قبل على قدومهم أيضا فما استطاعوا أن يستقبلوهم يقيموا لهم حفلة تكريم وفق مراتبهم و مقامهم الجليل .

برقية احتجاجية إلى الحكومة البريطانيه على إهانة الرسول الأعظم صلى الله عليه و سلم

أرسلت دار العلوم إلى الحكومة البريطانية برقيـــة احتجاجية على رضها مسرحية تلفزيونية لمس شرف النبي صلى الله عليه و سلم . و التى حتج ضدها العالم الإسلامى و جميع طبقات المسلمين ، و أظهروا قلقهم شديد و اضطرابهم البالغ . و نص تلك البرقية فيما يلى :

« إن دار العلوم بديوبند مقر العلوم الإسلامية لمسلمى الهند تحتج احتجاجا شديدا بكل قلق و اضطراب إلى الحكومة البريطانية على إهانة الرسول الأعظم و تطالب بوقف تلك المسرحية التى تجرح مشاعر المسلمين على الفور » .

* * *

اعلان ملکیت دعوۃ الحق

حکومت ہند کی وزارت اطلاعات و نشریات کا مطلوبہ بیان بابت ملکیت و دیگر تفصیلات مطابق دفعہ نمبر ۸ ضابطہ رجسٹریشن اخبارات مجریہ سنہ ۱۹٦۵ ع حسب ذیل ہے ۔

۱ ۔ نام مقام اشاعت .... دیوبند

۲ ۔ مدت اشاعت .... سہ ماہی

۳ ۔ پرنٹر ، پبلشر ، ایڈیٹر .... وحید الزماں کیرانوی

٤ ۔ قومیت .... ہندوستانی

۵ ۔ پتہ .... ابو المعالی دیوبند

٦ ۔ مالک .. .. دار العلوم دیوبند

میں وحید الزماں اقرار کرتا ہوں کہ مذکورہ بالا تفصیلات میرے علم و اطلاع کے مطابق درست ہیں۔

وحید الزماں کیرانوی

DA'WATU'L-HAQ

DAR-UL-'ULOOM, DEOBAND—U.P. [INDIA]

PRINTED AT THE DA'IRATU'L-MA'ARIF PRESS.